# القسم الثاني
## الآثار النفسية
## المترتبة على الأزمة

١- تغيير النسق القيمي.
٢- زيادة المعاناة من حدة الضغوط الحياتية.
٣- إشاعة القلق من المستقبل بين الشباب المتخرجين من الجامعات.
٤- إشاعة الأفكار الدالة على التسلطية.
٥- زيادة المعاناة من عدم القدرة على إشباع الحاجات.
٦- البغاء.
٧- جرائم القتل.
٨- زيادة نسبة الجرائم الناجمة عن الخلل الحاصل في تصميم البيئة في المدينة.
٩- اضطراب التنظيم الاجتماعي إثر تعرضه إلى الكارثة.

obeikandl.com

obeikandl.com

## تغيير النسق القيمي

### المقدمة

إن التغيرات الاجتماعية المتسارعة التي تعرَّض لها المجتمع العراقي، قد أثرت بشكل واضح على النسق القيمي، إذ أخذ النسق القيمي السائد يتوارى ويحل محله نسقٌ قيمٌ وافدٌ لم يكن له وجود في وقت مضى، أو بعبارة أخرى: إن درجة انتشاره بين أفراد المجتمع كانت ضعيفة، ومن هنا تبرز أهمية الدراسة الحالية في التركيز على النسق القيمي في المجتمع العراقي، إذ أصبحت الحياة الاجتماعية أكثر تهديدًا إثر تغير النسق القيمي، فلقد كان للأزمة الاقتصادية التي يمر بها الأثر الكبير في إحداث الكثير من التغيرات الاجتماعية، ولعل تغيير النسق القيمي هو أحد هذه التغيرات.

وفي هذا السياق يحق لنا أن نثير تساؤلات من قبيل: هل أن ما نشهده من فوضى واضطراب في الحياة الاجتماعية سببه الأزمة الاقتصادية؟ أم أن هناك ظروفًا معينة قد تفاعلت مع الأزمة الاقتصادية، فأحدثت بدورها حالة من الشرخ أو الاضطراب داخل التنظيم الاجتماعي؟ أم أن الأمر يُعْزَى إلى طبيعة التنظيم الاجتماعي كونه مأزومًا، وأن الأزمة كانت بمثابة الإشارة cue التي أحدثت فيه حالة التوتر وغياب الانسجام؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات ستكون في سياق الفقرات الآتية:

- مفهوم النسق القيمي.
- المناخ الاجتماعي الذي تشكلت فيه الأنساق القيمية الوافدة.
- الأنساق القيمية المترتبة على الأزمة الاقتصادية.
- تفسير التغير في النسق القيمي.
- الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على الأنساق القيمية الوافدة.

**مفهوم النسق القيمي**

قبل الخوض في تفاصيل النسق القيمي Value System والتغيرات التي طرأت عليه إثر الأزمة الاقتصادية التي يشهدها المجتمع العراقي، لا بد لنا من تحديد ماهية النسق القيمي، ليتسنى لنا بعد ذلك تكوين صورة واضحة منه.

نبدأ القول: إن القيم Values تعرّف بأنها: (هدف أو معيار حكم يكون بالنسبة لثقافة معينة شيئًا مرغوبًا فيه أو غير مرغوب به)[١] وطبقًا لهذا التعريف تصبح القيم إما هدفًا يسعى الفرد للوصول إليه أو إنها معيار Norm، أي قاعدة أو مقياس يتم الحكم بموجبه على الأشياء المفضلة وغير المفضلة.

وبذلك نقول: إن النمط السلوكي (س) هو نمط سلوك مفضل استنادًا إلى المعيار السائد، والنمط السلوكي (س)، هو نمط سلوكي غير مفضل استنادًا إلى المعيار السائد أيضًا.

**وفي تعريف ثانٍ** يرى أن القيم عبارة عن (محكات يتم من خلالها إصدار الحكم على أشياء معينة، بأنها أكثر مرغوبية من الأشياء الأخرى)[٢]، وهذا التعريف في الواقع يقترب من التعريف السابق، إذ أكد أن الغاية من القيم هي كونها معيارًا للحكم في الوقت ذاته، تنطوي على المرغوبية وعدم المرغوبية في شيء ما.

**وفي تعريف ثالثٍ** يرى بأنها (المعتقدات حول الأمور والغايات وأشكال السلوك المفضلة لدى الناس، توجه مشاعرهم، وتفكيرهم، ومواقفهم، وتصرفاتهم، واختياراتهم، وتنظيم علاقاتهم بالواقع، والمؤسسات، والآخرين، وأنفسهم، والمكان، والزمان، وتسوغ مواقعهم وتحدد هويتهم ومعنى وجودهم)[٣].

إن هذا التعريف ينظر إلى القيم على أنها تفضيلات مرغوب بها، يتم من

خلالها تنظيم العلاقات الحادثة بين الأفراد بطريقة مقبولة ومرضية، فضلًا عن إضفاء معنى لوجودهم. وثمة تعريفات أخرى تكاد تقترب من المعاني التي أوردناها. واضح أن القيم طبقًا لما ذكرناه تعني:

١- معيار أو قاعدة أو حكم.
٢- تفضيل لمفاهيم أو معانٍ مرغوب بها.
٣- مفهوم أو دلالة يتم من خلالها تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد وبالعالم المحيط بهم.
٤- إضفاء معنى لوجود الأفراد.

وتأسيسًا على ما سبق، تصبح القيم معيارًا أو قاعدة للحكم على أشياء معينة بالتفضيل أو عدم التفضيل، إذ تنتظم حولها اختيارات الأفراد وعلاقاتهم مع الغير، ومع العالم المحيط بهم، فضلًا عن أنها تمنحهم إحساسًا بمعنى وجودهم، هذا ما يخص القيم، أما النسق القيمي، فنعني به مجموعة من القيم مرتبة طبقًا لأهميتها بالنسبة للفرد، إذ ينتظم سلوكه حولها[٤]، وتبرز بصورة صريحة أو ضمنية وهذا يعني أن النسق القيمي عبارة عن سلم تتدرج فيه مجموعة من القيم، استنادًا لأهميتها أو أولويتها لدى الفرد.

واضح إذن أن النسق القيمي لا يشتمل على قيمة واحدة وحسب، بل يشتمل على مجموعة من القيم تترتب وفقًا لأهميتها لدى الفرد، بحيث يعطي القيمة (س) الترتيب الأول والقيمة (ص) الترتيب الثاني، والقيمة (ع) الترتيب الثالث وهكذا الأمر مع بقية القيم، والحقيقة أن الأهمية التي يوليها الفرد لقيمة معينة على حساب قيم أخرى، تتأثر بعديد من العوامل، لعل من أهمها:

عامل العمر، والجنس، والمستوى الثقافي، والمستوى الاجتماعي-الاقتصادي، وطبيعة التغير الذي يمر به المجتمع وخصائص الشخصية، فلقد

وجد أن صغار السن والمراهقين تنتظم قيمهم حول النشاط البدني والترويح والتسلية، وعندما يصلون إلى سنِّ الرشد، تبدأ حياتهم بالانتظام حول العلاقات الاجتماعية وتحقيق الذات وإشباع حاجات الغير.

وبذلك فإن أنساقهم القيمية تأخذ بالانتظام حول نوعية العلاقات الاجتماعية والأعمال التي يمارسونها والمسئوليات الملقاة على عاتقهم، وفي الرشد المتأخر تبدأ الأنساق القيمية في الانتظام حول مفاهيم الأسرة، ومستقبل الأبناء، وحياة أكثر دعة ورفاهية، مع إدامة الاتصال مع الآخرين.

كما وجد أن متغير الجنس يؤثر في الأهمية التي يوليها الفرد لقيمة معينة، على حساب قيم أخرى؛ إذ وجد أن الذكور عادة ما تنتظم أنساقهم القيمية حول مفاهيم القوة والاقتصاد والقهر والإنجاز والمواطنة، في حين تنتظم الأنساق القيمية لدى الإناث حول مفاهيم العلاقات الإنسانية والجمال والبحث عن الاستعراض.

كذلك وجد أن الأفراد الذين يتمتعون بمستوى ثقافي عالٍ تنتظم أنساقهم القيمية حول الإنجاز، والعلاقات الإنسانية، ومجاراة القواعد الخلقية، أما أولئك الذين يتمتعون بمستوى ثقافي متدنٍّ، إذ تنتظم أنساقهم القيمية حول مفاهيم القهر، والتدين، والمنافع العادية.

كما وجد أن الأفراد الذين ينتمون إلى المستوى الاجتماعي- الاقتصادي العالي تنتظم أنساقهم القيمية حول مفاهيم الترويح، والتسلية، والمتعة، والمنافع العادية.

بينما الأمر جدُّ مختلف مع الأفراد من المستويات الاجتماعية- الاقتصادية الدنيا والمتوسطة. فلقد وجد أن الأفراد من المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتدني تنتظم أنساقهم القيمية حول مفاهيم القهر، والتدين، وتحصيل الرزق،

والفقر، وعلى خلاف أقرانهم في المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط، إذ وجد أن أنساقهم القيمية تنتظم حول مفاهيم التعليم، والإنجاز، والترويح، والمكانة الاجتماعية، والعلاقات الإنسانية والأسرية، ومجاراة القواعد الخُلُقِيَّة.

إن طبيعة التغير الاجتماعي الذي يمر به المجتمع، يؤثر تأثيرًا بينًا في ترتيب القيم لدى الأفراد؛ فالتغير المنتظم الذي يمر به المجتمع، يجعل الأنساق القيمية للأفراد تنتظم حول مفاهيم الكفاءة والإنجاز والعلاقات الإنسانية والأسرية والعواطف وعلى النقيض من ذلك في حالة التغير المنفلت، إذ تنتظم الأنساق القيمية للأفراد حول مفاهيم القهر والعوز والاستعراض وتحسين الفرص واستثمارها.

أما خصائص الشخصية فلقد وجد أنها من العوامل المؤثرة في ترتيب القيم لدى الأفراد، ذلك أن الأفراد الذين يتمتعون بالميل الاجتماعي، والثقة في النفس، وإجادة الإنجاز، عادة ما تنتظم أنساقهم القيمية حول مفاهيم العلاقات الأسرية، والإنسانية، والإنجاز، وضبط النفس، ومجاراة النمط الاجتماعي الشائع، والاستعراض، في حين أن الأفراد الذين يتمتعون بالسيطرة، والميل العصابي، والانطواء، إذ تنتظم أنساقهم القيمية حول مفاهيم التدين، والاقتراب، والقهر، وأولئك الذين يتمتعون بمخالفة النمط الاجتماعي الشائع، والتعامل مع الآخرين على أساس المنفعة العادية واستثمار الفرص؛ لتحقيق الربح الوفير والاهتمام بالأذى ومخالفة القانون وإثارة المشكلات للآخرين، عادة ما تنتظم أنساقهم القيمية حول الاغتراب عن الأسرة أو المجتمع والقهر والسوق والانحراف.

**وبعد، لماذا كل هذا التأكيد على النسق القيمي؟**

سؤال يثار على الدوام، سواء في المجالس الاجتماعية أم في قاعات الدرس، ما يزال مثل هذا التساؤل مثار حديث الأفراد من الفئات الاجتماعية

المختلفة؛ ولكي نتوصل إلى حقيقة الاهتمام بالنسق القيمي، يكفينا هنا أن نستعرض وظيفته النفسية والاجتماعية.

١- إن النسق القيمي هو بمثابة أحكام أو معايير لتقويم السلوك، أو بعبارة أخرى، إن النسق القيمي يعد قاعدة يتم من خلالها تفضيل الأشياء والمفاهيم المرتبطة بالحياة الاجتماعية.

٢- يهدف النسق القيمي فيما يهدف إليه، إلى المحافظة على التماسك الاجتماعي، ففي حالة إشاعة قيم تؤكد التعاون، والمساواة، والتعاطف، والتراحم، ومساعدة الآخرين في وقت الأزمات، فمن المؤكد أن إشاعة مثل هذه القيم بين أفراد المجتمع، سيزيد من التماسك بين فئاته الاجتماعية، وعلى النقيض من ذلك، يزداد المجتمع تفككًا وانحلالًا، عندما تشيع بين أفراده قيم تؤكد قطع صلة الرحم، والتمييز، والتفرقة، والمنفعة الشخصية، وغياب العدالة، وعدم مساعدة الآخر الذي يقع في محنة أو طارئ.

٣- أن النسق القيمي يضيف على الحياة صفة الإنسانية، انطلاقًا من القول القائل: إن القيم صفة يتميز بها الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى، إذ إن العلاقات بين الإنسان والإنسان هي علاقة إنسانية تستند إلى التعاطف، والمودة، والتراحم، والتقدير، والاحترام، أكثر من كونها علاقة تراتبية كما يشيع ذلك بين الحيوانات. وبذلك فإن النسق القيمي يعمد إلى أَنْسَنَة العلاقات بين الأفراد.

٤- أن النسق القيمي يحدد طبيعة العلاقات السائدة بين الأفراد، وهذا يعني أن شيوع قيم تؤكد وحدة الجماعة والتسامح ومجاراة النمط الاجتماعي الشائع والعدالة والمساواة والعمل، نتوقع أن تكون العلاقات بين الأفراد

علاقات تعاونية، وعلى العكس تكون العلاقات السائدة بين الأفراد تنافسية عدائية، في حالة شيوع قيم تؤكد الكراهية، والحقد، والعداء، وعدم الاهتمام بالآخرين.

٥- من الضروري للفرد الذي يصل إلى مستوى النضج العقلي، والاجتماعي، والانفعالي، والبدني، أن تكون له فلسفة عن الحياة، بهدف تحسس الوجود[٥]، ومحاولة إضفاء معنى عليه، بمعنى آخر: إن تكوين فلسفة عن الحياة تجعلها أكثر معنى، فضلًا عن أن الفرد يتخذ من الفلسفة التي كونها عبر مسيرة حياته الموجه والمتحكم بنشاطاته. وحياته وفي انتقاء سلوكه، ووفقًا لهذا الرأي يصبح النسق القيمي تعبيرًا عن الفلسفة التي يتخذها الفرد في حياته.

واضح أن النسق القيمي له أهمية كبيرة في الحياة الاجتماعية، فلولاه لأصبحت الحياة داخل المجتمع البشري، عديمة المعنى، فضلًا عن إشاعة الاضطراب والصراع فيها، وعلى ذلك فإن النسق القيمي يجعل الحياة أكثر عقلانية.

**المناخ الاجتماع الذي تشكلت فيه الأنساق القيمية الوافدة**

لا بد من التسليم ابتداءً بأن الأنساق القيمية الوافدة التي تشيع الآن في المجتمع، ناجمة عن الأزمة الاقتصادية في الوقت الحاضر على الأقل، وبطبيعة الحال فإن الأزمة الاقتصادية حالها حال الأزمات الأخرى، تعتمد على تهيئة مناخ اجتماعي يتم فيه تقبل حالة المخالفة للأعراف السائدة وللقواعد الخلقية العامة. ولتبيان طبيعة هذا المناخ وأثره في تشكيل الأنساق القيمية، فإننا سنعرضه على النحو الأتي:

١- إن الأزمة التي يتعرض لها أفراد التنظيم الاجتماعي الكبير هي أزمة عامة

وشاملة، أي أنها تصيب أفراد التنظيم الاجتماعي كافة بلا استثناء، وبالتبعية فإن التنظيم الاجتماعي الصغير (الأسرة) يتعرض هو الآخر إلى الآثار المترتبة على الأزمة؛ وذلك لأن أفراد هذا التنظيم المصغر يشكلون جزءًا من أفراد التنظيم الاجتماعي الكبير، حتى لقد أظهرت نسبة كبيرة من أولئك الذين انتهكوا المعايير الاجتماعية أن أسرهم كانت راضية عن انتهاكاتهم[٦] عندما طلب منهم بيان موقف أسرهم من هذا الانتهاكات، وكان هؤلاء يعللون أسباب هذه الانتهاكات، بكونها شائعة لدى عموم الناس[٧].

وبذلك فإن الأسرة بدأت بتهيئة أفرادها لمخالفة المعايير الاجتماعية بطريقة غير مباشرة وذلك بالأحاديث المتداولة وذكر الأمثلة عن الأفراد الذين ارتقوا السلم الاجتماعي، نتيجة لعدم اتباعهم السلوك القويم، وكأن الأسرة توحي لأفرادها أن يفعلوا فعل هؤلاء.

٢- ولما كانت الأسرة قد عدت السلوك المخالف للمعايير الاجتماعية سلوكًا مقبولًا لدى بعض أفرادها؛ فمن الطبيعي أن نتوقع شيوع مثل هذا السلوك في المؤسسات التي تكون مسئولة عن إدارة التنظيم الاجتماعي؛ لأن هؤلاء وأمثالهم يشكلون كوادر هذه المؤسسات. وبطبيعة الحال، إن ما تم تعزيزه في الأسرة لسلوك المخالفة، لا غرابة أن نجده قد شاع في مؤسسات التنظيم الاجتماعي، وعلى ذلك بدأنا نشهد جرائم سرقة، واختلاس، وتزوير، ورشوة في هذه المؤسسات[٨] بعد أن كانت في ظروف سابقة محدودة وقليلة جدًّا، غير أنها بدأت تتفشى في هذه المؤسسات بدعم وإسناد من بعض أفراد الأسرة، بحجة أن مثل هذه الأنماط من السلوك يمارسها الكثير من الناس.

**والأخطر من هذا**، أن هذا السلوك المنحرف أخذ يشيع في مؤسسات غاية

في الأهمية، ألا وهي التعليم والقضاء ولا نغالي إذ قلنا أن التنظيم الاجتماعي يعتمد على هاتين المؤسستين اعتمادًا كليًّا:

**فالأولى**: تعمل على تنشئة الفرد بالمساهمة طبعًا مع الأسرة وإعداده لأداء دوره المتوقع في المجتمع.

**والثانية**: تعمل على إحقاق الحق ونشر العدل بين أفراده. بيد أن هذه المؤسسات، أخذت في التراجع عن أداء بعض وظائفها. ففي ميدان التعليم بدأنا نسمع أو نشهد تفشي الدروس الخصوصية، وعقد الاتفاقات الثنائية التي يراد منها النجاح، والبعض من المدرسين يجهر علانية عما يريد وتصرف الساعة الدراسية في الحديث عن السوق ومتقلباته، فضلًا عن تدني المخرجات التربوية.

وما يحدث في الميدان التربوي، يحدث الشيء نفسه في الميدان القضائي، فلقد بدأت قيم السوق تدخل هذا الميدان الحيوي وتعطل تطبيق النصوص القانونية. وبموجب ذلك، صار بعض اللصوص والمجرمين مواطنين معتدى عليهم والأبرياء جناة.

فماذا نتوقع أن يحدث للتنظيم الاجتماعي بعد أن عمت فيه مثل هذه الأنماط من السلوك؟

إن شيوع مثل هذه الأنماط من السلوك بين أفراد المجتمع يؤثر بكل تأكيد في تقرير نوع السلوك الذي يكون في العادة سلوكًا مخالفًا للمعايير الاجتماعية.

٣- في أجواء تشيع فيها اللامعيارية برز في التنظيم الاجتماعي، أفراد اتسم سلوكهم بالانحراف والتحايل على الآخرين، وصار هؤلاء ينتشرون في كل ركن من أركانه، يحاولون أن يحصلوا على قوتهم اليومي دون عناء أو

جهد، وكانت عاقبة ذلك أن شاعت بين أفراد التنظيم الاجتماعي حالة من الشك والريبة عند تقديم مشورة أو نصيحة أو مساعدة أو إسعاف مصاب أو الإدلاء بشهادة أو الدفاع عن مظلوم، وبموجب ذلك برزت أنماط من السلوك غير مرغوبة اجتماعيًّا وانخفض بدرجة ملحوظة السلوك الاجتماعي.

٤- إن بعض وسائل الاتصال الجمعية، لا سيما المرئية منها والمسموعة، أخذت تحرض على المخالفة للمعايير الاجتماعية بطريقة غير مباشرة، وذلك من خلال عرض برامج تتناقض مع المعايير وتدعو إلى نسق قيمي لا يتناسب مع النسق القيمي السائد فضلًا عن بث برامج عبر وسائل الاتصال المسموعة تنطوي على المضمون ذاته الذي يبث في وسائل الاتصال المرئية.

نقول: إن غياب التخطيط في إعداد البرامج لوسائل الاتصال، قد ساهم في إشاعة أجواء تحض على المخالفة، بدلاً من أن تكثف جهودها في الدعوة إلى تشكيل نسق قيمي ينبذ كل أنماط السلوك غير المرغوب فيها، لا سيما أن الأزمة التي نمر بها قد طالت، مما يستدعي الأمر إعادة النظر في خطط وسائل الاتصال وتعديل أسلوب الخطاب بشكل يتلاءم مع الأزمة وظروفها الراهنة.

٥- إن ندرة المعلومات في تفسير بعض المشكلات ذات الصلة بالفرد، وأحيانًا تناقضها مدعاة للمخالفة، وبطبيعة الحال فإن هذه الوضعية أتاحت لبعض الأفراد التأويل والتفسير بطريقة تنسجم مع توجهاتهم. كما أن ندرة المعلومات أو تناقضها عند تيسرها أوحى للبعض بعدم مصداقية المصدر، الأمر الذي هيأ مناخًا مناسبًا للشائعات في أن تنتشر بين الأفراد، وأن تتشكل اتجاهات سلبية نحو التنظيم الاجتماعي.

لا بد من التسليم ابتداء أن ندرة المعلومات أو تناقضها بشأن أية قضية تتعلق بحياة الفرد ستزيد من بحثه عنها بأساليب شتى؟ وذلك للوصول إلى حالة الاتساق، إذا إن عدم الاتساق سيسبب له إحساسًا بعدم الارتياح؛ ولذلك يسعى جاهدًا بأن يجعل أفكاره متسقة مع بعضها، بقصد الوصل إلى حالة التوازن الداخلي، وهي الغاية المنشودة من بحثه عن المعلومات.

يبدو أن البعض الذي يبحث عن المعلومات، بقصد الوصول إلى الاتساق بدأ يتعرض إلى كمٍّ هائل من المعلومات المتناقضة والمتنافرة عن وضعية التنظيم الاجتماعي؛ ولكي يحل هذا التناقض، أي الوصل إلى الاتساق، أخذ يطلق الأحكام القطعية التي تتسم بالسلبية، مفادها: الشك، والريب بالأفراد، وعدم مصداقية مصادر المعلومات، وابتعاد الناس عن أصولهم المرجعية ومنها الدين.

وعلى ذلك فقد أخذ هؤلاء يخرقون المعايير الاجتماعية بسهولة ويسر؛ استنادًا إلى الأحكام السلبية التي تكونت لديهم، فضلًا عن مشاهدة الآخرين وهم يخرقون هذه المعايير، وبالتبعية ازداد عدد هؤلاء؛ وكانت العاقبة أننا بدأنا نعيش في عالم تشيع فيه النزعة الفردية وأن الناس أخذوا يتحدثون عن سلبية الطبيعة البشرية.

٦- لقد شاعت في الآونة الأخيرة، ظاهرة التردد على السحرة والمشعوذين بقصد التماس الحلول لبعض المشكلات التي يعاني منها الناس، سواء في أرزاقهم أو الكشف عن المستقبل وما تخبئ لهم الأيام.

وإذا نحن حاولنا أن نبحث عن تفسير منطقي لظاهرة شيوع الأفكار اللاعقلانية، لوجدنا أن الأزمات التي يتعرض لها الأفراد في المجتمع قد هيأت مناخًا مناسبًا لتقبل مثل هذه الأفكار؛ فالأزمات عمومًا تؤثر في الأرزاق، إذ

تجعل التجارة تعاني من الكساد، فضلًا عن عجز الأفراد عن تحقيق بعض أهدافهم الشخصية، فنجد على سبيل المثال لا الحصر:

العزوف عن الزواج بين الشباب، وذلك يرجع أساسًا إلى غموض المستقبل وتدهور الأحوال المعيشية والتفكير في أعباء ما بعد الزواج؛ والحقيقة أن عزوف الذكور عن الزواج يعني أن الإناث سيعانين من بعض المشكلات المترتبة على هذا العزوف لعل في مقدمة هذه المشكلات: التأخر في الزواج، والتأخر سيعرضهن إلى متاعب ضعف الخصوبة وعدم القدرة على الإنجاب، وعند حصول الزواج في سن متأخرة قد يؤدي إلى خلافات بين الزوج وزوجه، وربما ينتهي الأمر بالزواج إلى البحث عن شريك آخر لديه القدرة على الإنجاب؛ وربما تكون هذه المشكلة من أكثر المشكلات شيوعًا بين أوساط النساء، لذا نجد النساء دائبات في التوجه بأنظارهن صوب السحرة والمشعوذين، بهدف الكشف عن طالعهنّ ومعرفة ما يخبئ لهن القدر.

واللافت للانتباه، أن المترددين على السحرة والمشعوذين يبدو عليهم أنهم من ذوي النعمة والقلة القليلة منهم يبدو أنهم من الفئات الاجتماعية المهشمة التي فقدت الأمل في تحسين حالها المعيشي، فاتجهت صوب هؤلاء لعلها تجد عندهم ما يكشف عن سر تدهور أحوالها!!

٧- أن زيادة معدل الإعالة، قد أضاف عبئًا جديدًا إلى أعباء الفرد، فلقد أصبح على الفرد الواحد القادر على العمل أن يعيل عددًا من أفراد. وطبقًا لبيانات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا في عام ١٩٩٧، بلغ معدل الإعالة في العراق (٣.٥) شخص[٩]. وهذا يعني أن الفرد القادر على العمل يعيل (٢.٥)[١٠] من الأشخاص، فضلًا على إعالة نفسه في ظروف تشهد ارتفاعًا مستمرًا في الأسعار، ولمواجهة حالة الإعالة وتغطية بعض مستلزمات المعيشة، فقد لجأ الكثير من الأفراد إلى البحث عن فرصة عمل

يزاولونها بقصد تحسين الدخل، عادة ما تكون مختلفة تمامًا من المهنة التي يزاولونها في الساعات الأولى من النهار، وهذا يقضي بطبيعة الحال، الانسجام مع النسق القيمي الذي تنتظم حوله المهنة الجديدة، وإلا فإن مثل هذه الفرصة ستكون من نصيب الغير، وبالتالي الحرمان من فرصة تحسين الدخل.

وقد يلجأ البعض من الأفراد للتخفيف من نفقات المعيشة وارتفاع الإعالة، تشغيل بعض الصغار والأحداث في أعمال هامشية؛ الأمر الذي يؤدي بهؤلاء الصغار إلى التسرب الدراسي والانشغال في المهن التي احترفوها، وقد يترتب على ذلك أن نسبة لا يستهان بها من الصغار قد لا تجيد قواعد القراءة والكتابة على مدى الأيام المقبلة، والأخطر من ذلك أن انتظام هؤلاء مبكرًا بسوق العمل قد يفضي إلى اكتسابهم قواعد التحايل كما يفعله بعض أرباب العمل، وربما يتطور التحايل لدى هؤلاء الناشئة إلى سلوك يلحق الأذى بالآخرين، وذلك لتحقيق المزيد من المنافع في عالم لا تحكمه القواعد الخلقية.

٨- إن استمرار الأزمة الاقتصادية وتصاعد معدلات التضخم قد قلل فرص العمل لدى الشباب، لاسيما المتخرجون منهم من الجامعات، فلقد وجد هؤلاء أن السنوات التي قضوها في الدراسة بهدف الحصول على الشهادة، قد ذهبت أدراج الرياح مما ولد لديهم إحباطًا، وبالتالي استثارة قلقهم حول المستقبل[١١]، وذلك يرجع أساسًا إلى أن الشهادة الجامعية التي عقد عليها الكثير من الآمال والأهداف، لم تعد تحظى بالقبول الاجتماعي، بسبب أن الناس أخذوا يطلقون أحكامهم على المهن أثر العائد العادي المتحقق منها، كما أن الاتكال على الشهادة لوحدها، سوف لا يحقق البعض من الأهداف الحياتية التي كونها هؤلاء أثناء مسيرتهم في الحياة. ولذلك فإن هذه الفئة الاجتماعية، قد وجدت نفسها إزاء ضغوط حياتية جمة، ولأجل التوافق معها، كان على هؤلاء أن يختاروا أسلوبًا مناسبًا

للتعامل معها، فلقد وجد البعض في الانسحاب عن المجتمع أسلوبًا مناسبًا للتعامل معها؛ وذلك بالإدمان على المسكرات أو المخدرات أو تعاطي بعض العقاقير، عله يجد فيها ما يخفف بعض معاناته.

في حين وجد البعض الآخر الانخراط في أعمال هامشية ما يحقق له العائد العادي الذي يتمكن من خلاله أن يشبع بعض حاجاته.

وقد زاول البعض الثالث مهنًا لا تخلو من التحايل على الآخرين أو التحايل على القانون، بعد أن سئموا من حالة البطالة. ومما له دلالة في هذا العدد أن الأوضاع المعيشية التي يمر بها هؤلاء ربما تجعلهم أكثر من غيرهم إلى تقبل أسلوب الخطاب الذي ينطوي على التحايل والغش والخديعة.

وما نريد قوله هنا: إن الحال النفسية والاجتماعية لهؤلاء ربما تجعلهم لا يبدون أية مقاومة ذكر إزاء الإغراءات التي يقدمها لهم أولئك الذي سبقوهم في ممارسة هذه الأعمال، بقصد حثهم في العمل معهم والانخراط في مزاولة نشاطاتهم، ومما نخشاه قد يصبح هؤلاء بمرور الوقت على درجة عالية من الحذق في فنون الانحراف.

٩- إن استمرار الأزمة الاقتصادية لفترة طويلة من الزمن قد أدى إلى إشاعة الفقر بين أفراد المجتمع، ولا سيما بين أصحاب الدخول المحدودة، إذا أن هؤلاء يشكلون النسبة الكبيرة، وبالرغم من عدم تيسر الإحصاءات الرسمية التي تشير إلى نسبة الفقراء في المجتمع، إلا أننا نستطيع أن نتوصل إلى نسبة تقديرية اعتمادًا على بيانات سابقة. ففي عام ١٩٧٩، بلغت نسبة الأفراد الذين هم تحت خط الفقر (٢٣.٤٪)[١٢]. وبعد مرور تسع سنوات، وتحديدًا في عام ١٩٨٨، زادت هذه النسبة إلى (٢٥.٣٪)[١٣].

وهذا يعني أن ربع السكان هم الفقراء، وفي عام ١٩٩٢، بلغت هذه

النسبة (٤٥٪)[١٤] استنادًا إلى بيانات اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ١٩٩٧، نتوقع أن تكون هذه النسبة أكثر من (٤٥٪) عند بداية الألفية الثالثة.

ومن ذلك يتضح أن نصف السكان أو أكثر من ذلك بقليل يعانون من الفقر أو هم فقراء، وهذا يعني أن خطاب النسق القيمي الوافد سيتمكن من هؤلاء وإقناعهم بجدوى رسالته، أكثر مما يتمكن فيه خطاب النسق القيمي السائد.

١٠- إن الوضعية التي يمر بها التنظيم الاجتماعي في الظروف الراهنة، قد أدت إلى عدم إشباع حاجات الأفراد.

إذا نحن عدنا إلى نظرية الترتيب الهرمي للحاجات Needs لوجدنا أن ثمة حاجات دنيا وحاجات عليا:

**فالحاجات الدنيا:** هي حاجات البقاء والأمان وتتمثل تحديدًا بالحاجات الفسيولوجية والأمن والسلامة.

**أما الحاجات العليا:** فهي تلك الحاجات المتمثلة بالحب والانتماء والاحترام والتقدير وتحقيق الذات، ومن الطبيعي، أن للمجتمع دورًا في إشباع حاجات الأفراد، فلقد وجد أن المجتمعات النامية تهتم عادة بإشباع الحاجات الدنيا[١٥] ووفقًا لهذا المنطق، أن المجتمعات النامية تركز على إشباع الحاجات الفسيولوجية والأمان والسلامة أكثر من تركيزها على الحاجات العليا، بينما الأمر جد مختلف مع المجتمعات المتقدِّمة التي حققت مستويات عالية في التنمية البشرية، إذ إن إشباع الحاجات الدنيا أصبح من الأمور المفروغ منها ولقد قطعت شوطًا كبيرًا في إشباع الحاجات العليا، وإذا نحن عدنا إلى المتحقق مما أشبع من الحاجات الدنيا في المجتمع العراقي، بوصف مجتمعنا ناميًا، نجد أن ثمة معاناة من عدم إشباع هذه الحاجات.

ونشير في هذا السياق إلى أن إحدى الدراسات التي أجريت على بعض الفئات الاجتماعية في المجتمع، قد وظفت الحاجات التي تنطوي عليها النظرية، ولقد كشفت نتائج الدراسة بين ما كشفت، أن الأزمة الاقتصادية قد أثرت بشكل واضح في عدم إشباع الحاجات، ولأجل معرفة الحاجات غير المشبعة، وأشارت النتائج، أن هذه الحاجات اتخذت الترتيب الآتي:

١- الحاجة إلى الأمن والسلامة.
٢- الحاجة إلى التقدير والاحترام.
٣- الحاجة إلى الحب والانتماء.
٤- الحاجات الفسيولوجية.
٥- الحاجة إلى تحقيق الذات[١٦].

واضح أن عدم إشباع الحاجات، ولا سيما الدنيا منها، سيهيئ الأفراد لخرق القواعد الخلقية العامة في محاولة منهم لإشباع البعض منها.

١١- لا ننسى ونحن نعالج موضوع المناخ الاجتماعي الذي شاعت فيه الأنساق القيمية الوافدة، أن نشير إلى أننا بدأنا نشهد تغيرًا اجتماعيًّا منفلتًا Non-systematic.

ولإعطاء صورة واضحة عن هذا النوع من التغير نقول: إن المجتمعات البشرية قد شهدت نوعين من التغيرات الاجتماعية:

**الأول**: ويعرف بالتغير الاجتماعي المنتظم systmatic.

**والثاني**: ويعرف بالتغير الاجتماعي المنفلت إذ يشيع الأول في المجتمعات المستقرة نسبيًّا، وعادة ما يكون محكومًا بضوابط أو بمعايير محددة تؤهل الفرد للانتقال من مكانة اجتماعية أدنى إلى مكانة اجتماعية أرفع.

ويشيع الثاني في المجتمعات غير المستقرة أو المأزومة وهذا النوع من التغير لا تحكمه الضوابط أو المعايير عند الانتقال من مكانة اجتماعية إلى أخرى، بل إنه يتأثر -إذا جاز لنا القول- بالمحسوبية والمنسوبية؛ وعلى ذلك فإن الفرد الذي يحصل على ترقية وظيفية، إنما يحصل عليها استنادًا إلى علاقته بمتخذ القرار وكونه مواليًا له ومحسوبًا عليه؛ أما مسألة الكفاءة والخبرة الوظيفية فلا يؤخذ بها في المجتمع الذي يمر في مثل هذا النوع من التغير.

وتأسيسًا على ذلك فإن التغير المنفلت يؤدي في العادة إلى اضطراب التراتب الاجتماعي[١٧] Social stratification؛ وذلك يرجع أساسًا إلى أن المكانة الاجتماعية التي يحتلها الفرد تتحدد بموجب مؤشرات أخرى لا علاقة لها بشرط الكفاءة أو الجهد المبذول أو الشهادة، بل إن المكانة الاجتماعية تتقرر هنا استنادًا إلى مورده الاقتصادي ليس إلا.

وعلى سبيل المثال لا الحصر: يمثل الأستاذ الجامعي الترتيب (٤) في قائمة المهن من حيث المكانة الاجتماعية، بينما يحتل الترتيب (٢٥) في القائمة ذاتها من حيث المكانة الاقتصادية، ولو عقدنا مقارنة بينه وبين مهنة أخرى أقل مكانة، لوجدنا شيوع حالة من الاضطراب والفوضى في التراتب الاجتماعي!! بدليل أن المطرب وهو أقل مكانة في قائمة المهن، احتل الترتيب (٧) في المكانة الاقتصادية، وبينما يحتل الترتيب (٧٤) في المكانة الاجتماعية.[١٨] ويغدو لا منطقيًا أن يتغلب الثاني على الأول بمكانته الاقتصادية، بعد أن تراجعت مكانة الأول الاجتماعية التي أصبحت بدورها لا تؤهله لأن يكون من أهل الجاه والحظوة.

نخلص إلى القول: إن المجتمع أخذ يشهد تغيرًا منفلتًا بدرجات متصاعدة لا مثيل لها إذ كلما اشتدت الأزمة الاقتصادية، شاع هذا النوع من التغير على نطاق واسع، وسيصبح الحال أكثر سوءًا فيما لو استمرت الأزمة الاقتصادية لفترة زمنية أخرى.

**الأنساق القيمية المترتبة على الأزمة الاقتصادية**

نخلص من الفقرة السابقة، أن الأزمات المجتمعية تعتمد على تغيير النسق القيمي للأفراد، ولما كانت الأزمة الاقتصادية التي يمر بها المجتمع هي نوع من الأزمات المجتمعية، فإنها ستؤدي إلى تغيير الأنساق القيمية لاسيما إذا استمرت آثارها لفترة زمنية طويلة.

ووفقًا لهذا المنطق يمكن القول: إن النسق القيمي السائد أخذ يضعف تدريجيًا، ولقد حل محله نسق قيمي وافد، والحقيقة أن هذا النسق، كان موجودًا في وقت سابق ولكنه كان ضعيفًا وبعبارة أدق أن شيوعه كان محدودًا وبين فئات اجتماعية معينة. ولمعرفة طبيعة هذه الأنساق، فإننا سنفصِّل القول في ذلك على النحو الآتي:

إذا نحن عدنا إلى الأنساق القيمية السائدة في المجتمعات البشرية، أو ما يصطلح عليها في بعض الأحيان بنماذج البشر، لوجدنا أن ثمة نماذج إيجابية وأخرى سلبية وهو أمر طبيعي ولا غرابة فيه، ذلك أن البناء الاجتماعي ينطوي على الجانب الإيجابي والسلبي من نماذج البشر Types of men وبهدف معرفة نماذج البشر الشائعة، ندرج في أدناه أهمها:

١- نموذج الإنسان المتدين.
٢- النموذج الإنساني.
٣- نموذج الإنسان المواطن.

٤- نموذج الإنسان المنجز.
٥- نموذج الإنسان المغترب عن المجتمع.
٦- نموذج الإنسان المقهور.
٧- نموذج إنسان السوق.
٨- نموذج الإنسان الاستعراضي.
٩- نموذج الإنسان المنحرف[١٩].

معروف أن هذه النماذج من البشر هي نتاج الظروف المجتمعية، أو هي انعكاس لتوجهات المجتمع وتصوراته الحياتية ونظامه الاجتماعي وطبيعة الحضارة السائدة فيه، سواء كان هذا المجتمع متقدِّمًا أو ناميًا.

**وما يهمنا هنا**، أن الأزمة الاقتصادية عمدت إلى تقوية نماذج معينة من البشر وأضعفت نماذج أخرى. واستنادًا إلى ذلك، فإن الأزمة الاقتصادية عمدت إلى تقوية نماذج البشر السلبية التي تعني بها حصرًا:

نموذج الإنسان المغترب عن المجتمع ونموذج الإنسان المقهور ونموذج الإنسان السوقي ونموذج الإنسان الاستعراضي ونموذج الإنسان المنحرف، بينما عمدت إلى إضعاف نماذج البشر الإيجابية التي تعني بها حصرًا: نموذج الإنسان المتدين ونموذج الإنسان المواطن والنموذج الإنساني ونموذج الإنسان المنجز.

وهنا نصل إلى مسألة في غاية الأهمية وهي أن البلاد العربية مقبلة الآن على استلام القنوات الفضائية، لاسيما الأمريكية منها على وجه التحديد، واستلام هذه القنوات يعني فيما يعني، التأثر بأسلوب الخطاب الذي تشتمل عليه، وهو في حقيقة الأمر خطاب ينطوي على تفضيل الحياة الغربية.

ومما نخشاه، أن المناخ الاجتماعي كما رأينا مهيأ أكثر من أي وقت مضى

obeikandl.com

لجعل الأفراد يتأثرون بخطاب هذه القنوات، الأمر الذي يعني أننا سنشهد مزيد من الفوضى في الحياة الاجتماعية، فضلًا عن عدم قدرة النظام الاجتماعي على فرض سلطتها بقصد تنظيم العلاقات بين الأفراد.

إذا نحن عدنا إلى الأهداف المتوخاة من البث الوافد، سنجد أنها تهدف فيما تهدف إلى إشاعة نمط الحياة الأمريكية، وذلك باتباع الخطوات الآتية:

١- تهيئة الظروف المناسبة لتقبل التغيير في النسق القيمي، وبطبيعة الحال، فإن ذلك يقتضي إحداث تغيير في بنية المجتمع؛ لكي يكون الأفراد على استعداد لتقبل النسق القيمي المستحدث أو الوافد، والحقيقة إن الظروف الاقتصادية والاجتماعية التي يشهدها المجتمع مهيأة لجعل الأفراد يتقبلون أسلوب الخطاب السائد في هذه البرامج، بعد أن ضعفت نماذج البشر الإيجابية وشاعت على مستوى الحياة الاجتماعية نماذج البشر السلبية.

٢- بث برامج تتناول الحياة الأمريكية بطريقة إيجابية، بحيث تتمكن من إحداث حالة من الإعجاب لدى الفرد، وهذا معناه أن هذه الخطوة يراد بها تكوين اتجاهات إيجابية تنطوي على تفضيل الحياة الأمريكية.

٣- بعد أن يتعرض الفرد إلى برامج البث الوافد من الفضاء، ومشاهدة ما يتمتع به الإنسان في العالم الغربي وفي أمريكا على وجه الخصوص، يبدأ بمقارنة أوضاعه الحالية في مجتمعه مع أوضاع أولئك الذين يعيشون في العالم الغربي، وقد تؤدي هذه المقارنة إلى إحداث التناشز المعرفي Dissonance cognitive إذ تحدث عملية صراع بين الأفكار التي يتعرض لها الفرد وبين معتقداته عن الواقع الذي يعيش فيه، وهي الغاية التي يسعى إليها القائمون على البث الوافد، فهم يريدون أن يصلوا بالفرد في مختلف المجتمعات إلى حالة المقارنة، لأن بدء الفرد بعملية المقارنة بين أحواله

وأحوال الأفراد الآخرين في العالم الغربي تعني أنه انتهى إلى تبني وجهة نظر مفادها: أن العالم الغربي هو العالم الذي يتمتع فيه الإنسان بالحرية وهو عالم يضمن له حقوقه، فضلًا عن كونه عالمًا يتحرر فيه الإنسان من الخوف.

وبعبارة أخرى، سيجد نفسه في نهاية المطاف وسط عالم من الرحمة والرأفة.

٤- بعد أن تشيع وجهة نظر تؤكد أن العالم الغربي عالم رحمة ورأفة، يبدأ الفرد بعد ذلك بتمني الحياة الغربية وتعني أن يكون الغرب حاكمًا يدير شئون البلاد.

٥- طالما أن الفرد تقبل فكرة أن يكون الغرب حاكمًا يدير شئون البلاد وكون نمط الحياة الغربية أو الأمريكية البديل المناسب لنمط الحياة السائدة في المجتمع، من الممكن أن يكون هناك تخلٍّ عن المعتقدات الدينية التي يعتقد بها إذ أنها لم تقدم له شيئًا طيلة اعتقاده بها، بل على العكس من ذلك، إنها أخذت تسوغ حالة الظلم والغبن بطريقة تنم عن كونها امتحانًا سماويًّا واختبار صبر الصابرين. ومعتقدات مثل هذه تسوغ للظالمين ظلمهم لا تنفع أن تكون معتقدًا يعتقد بها الفرد[٢٠].

نخلص إلى القول: إن الأنساق القيمية الوافدة، ستزداد رسوخًا وتثبيتًا داخل المجتمع، لا سيما وأن الأزمة الاقتصادية ما زالت مستمرة بآثارها السلبية حتى هذه اللحظة، الأمر الذي سيزيد الأمور تعقيدًا بعد استلام القنوات الفضائية، وإغراق الفرد المشاهد بفيض من البرامج التي تدعو إلى تبني نمط الحياة الغربية أو الأمريكية.

تفسير التغير في النسق القيمي

لعل من المناسب أن نشير هنا إلى أن نظرية التبادل الاجتماعي تعد النظرية المناسبة لتفسير التغيرات الحاصلة في النسق القيمي، وذلك لعديد من الأسباب، لعل من أبرزها:

١- إن نظرية التبادل الاجتماعي، تتعامل مع النظام الاجتماعي في منتهى الواقعية والسبب يعود إلى أنها تنظر إلى السلوك الاجتماعي يكونه يرتكز على المكافأة والكلفة، فكلما زادت المكافأة وقلت الكلفة، نتوقع أن يظهر نمط السلوك الإيجابي والعكس صحيح كلما زادت وقلت المكافأة، نتوقع أن يظهر نمط السلوك السلبي.

٢- إن هذه النظرية تطرح قاعدة العدالة التوزيعية كأساس لبناء علاقات اجتماعية متوازنة، ولهذا فهي تقلل إلى حد كبير من الغبن أو الظلم التي يعاني منه الأفراد في النظام الاجتماعي.

٣- ومما يجعل هذه النظرية، الأنسب في تفسير التغيرات الحاصلة في النسق القيمي، أنها تنظر إلى الأفراد بأنهم أحرار في الدخول إلى عملية التبادل الاجتماعي وهذا معناه أنها تتخذ من حرية الإرادة منطلقًا فلسفيًا في تأطيرها النظري، على العكس مما تذهب إليه النظرية السلوكية، من أن الأفراد ليسوا أحرارًا، بل هم مواد خام تشكله البيئة كيفما اتفق.

لقد عدت نظرية التبادل الاجتماعي Social exchange واحدة من النظريات التي تفسر التغيرات الحاصلة في النسق القيمي للأفراد، فهي تنطلق في تفسيرها للسلوك الاجتماعي من قضية أساسية ما تزال تشغل اهتمام الباحثين في الميادين النفسية والاجتماعية، وهي أن الإنسان يبحث عن اللذة ويتجنب الألم. ومن هذا المنطلق أخذت تنظر إلى الحياة الإنسانية على أنها شبكة من العلاقات

الاجتماعية يؤدي فيها الإنسان دورًا فعَّالًا معتمدًا في ذلك على سلسلة من المكافآت والتكاليف وهي بمثابة ضوابط تحكم هذه العلاقات، إذ تعمل على تقويتها أو إضعافها في المجتمع. إن النظرية تشتمل على أربعة عناصر هي:

١- المكافأة.

٢- الكلفة.

٣- النتيجة.

٤- مستوى المقارنة[٢١].

فالمكافأة تعني إشباعًا للحاجة، فكل ما يشبع حاجاتنا أو اهتماماتنا تعد مكافأة. مقابل ذلك، أن ثمة كلفة، والكلفة بلغة النظرية الجهد المبذول في أية عملية تفاعل، هذا الجهد قد يكون تعبًا أو قلقًا أو عدم ارتياح أو خوف. ويترتب على المكافأة والكلفة في موقف معين نتيجة، وقد تكون النتيجة إيجابية إذا كانت المكافأة أكبر من الكلفة، وقد تكون النتيجة سلبية إذا كانت الكلفة أكبر من المكافأة ثم بعد ذلك تنتهي النتيجة بعملية تقويم (مستوى المقارنة)، استنادًا إلى ما يشعر به الفرد في اللحظة الراهنة. ويتأثر هذا التقويم بالخبرات الماضية وتقدير نتائج الآخرين[٢٢].

وتأسيسًا على ما سبق فإن التفاعل الاجتماعي يحسب على العموم من الناحية النفسية - الاجتماعية بالمكافأة والكلفة، وهذا معناه: أن التفاعل الحادث في أي موقف اجتماعي يترتب عليه مكافأة أو كلفة على سبيل المثال النسق القيمي السائد والنسق القيمي الوافد -وهو موضوع دراستنا- فلكي يقرر الفرد نوع النسق القيمي الذي سيلتزم به في حياته اليومية لا بد أن يفكر مليًّا بالمكافآت والتكاليف المترتبة عليه فإن وجد أن الالتزام بالنسق القيمي السائد يحقق له مكافآت أكثر من التكاليف التي يتحملها جراء عدم الالتزام أبقى على التزامه.

وإن وجد أن الالتزام بهذا النوع من النسق القيمي يسبب له تكاليف أكثر من المكافآت التي يحتمل أن يحصل عليها جراء التزامه هذا تخلى عنه وتبني نسقًا قيميًّا وافدًا يحقق له المزيد من المكافآت ويقلل من التكاليف. وعلى ذلك يمكن القول: إن الالتزام بالنسق القيمي أو محاولة تغييره إنما تعتمد على قواعد المكافأة والكلفة. ويقصد تقويم النتائج المترتبة على المكافأة والكلفة أدخل جورج هومانز -وهو أحد المنظِّرين في النظرية- مصطلح العدالة التوزيعية[٢٣].

الذي أخذه من الاقتصاد ليعني به أن عملية التبادل الاجتماعي التي تحدث بين شخصين اثنين لا بد أن تنطوي على مساواة بين المكافآت والتكاليف الأمر الذي يحقق حالة من الرضا لدى الطرفين، وهذا معناه أن الكلفة الناتجة من التبادل يجب أن تساويها مكافأة؛ فإذا بذلت جهود كبيرة (تكاليف) أثناء التبادل يتوقع أن تكون هناك مكافآت كبيرة أيضًا، وفي حالة تقديم مكافآت أكبر لا بد أن يكون هناك تكاليف أكبر ترافق عملية التبادل.

وبمقتضى ذلك طرحت النظرية المعادلة الآتية لحساب المكافآت والتكاليف في الموقف الاجتماعي.

$$\frac{\text{مدخلات الشخص أ}}{\text{مخرجاته}} = \frac{\text{مدخلات الشخص ب}}{\text{مخرجاته}} \quad (٢٤)$$

وطبقًا للمعادلة فإن مدخلات ومخرجات شخص ما عادة ما تكون المكافآت والتكاليف في الموقف الاجتماعي. وعلى هذا الأساس فإن مكافآت وتكاليف الشخص الأول يجب أن تساوي مكافآت وتكاليف الشخص الثاني وبذلك فإن المعادلة تصبح في حالة توازن وعند غياب التوازن بين طرفي المعادلة أي تصبح مدخلات ومخرجات الشخص الأول أكبر من مدخلات ومخرجات الشخص الثاني، أو بالعكس نتوقع من الأفراد أن يعيدوا النظر في أنساقهم القيمية إثر انتهاك قاعدة العدالة التوزيعية.

إن كل هذا الذي ذكرناه يدل دلالة قاطعة على أن التغير الحادث في النسق القيمي إنما حدث بفعل المنافع أو الخسائر التي فكر الأفراد بتحملها جراء المجاراة أو المخالفة للنسق القيمي السائد.

**الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على الأنساق القيمية الوافدة**

لقد توصلنا في الفقرة السابقة إلى أن الأزمة الاقتصادية التي يمر بها المجتمع الآن قد عمدت على إضعاف نماذج البشر الإيجابية وإلى تقوية نماذج البشر السلبية ومعنى ذلك أن الأنساق القيمية الوافدة أخذت تحل محل الأنساق القيمية السائدة مما ترتب على ذلك آثار نفسية واجتماعية بدأنا نتلمسها على الصعيد المجتمعي لعل من أبرزها:

**١ - إشاعة التحلل الاجتماعي**

إن إشاعة النماذج السلبية من البشر بين صفوف المجتمع قد أدت بطبيعة الحال إلى إشاعة اللامعيارية وعند ذاك سيجد الأفراد أنفسهم إزاء وضع اجتماعي يصعب إحداث تغييرات فيه أو التوافق معه؛ ومرد ذلك يعود إلى أن مظاهر اللامعيارية Nermlessness قد أخذت بالانتشار في كل أركان المجتمع وأن ثمة شواهد واقعية تشير إلى ما ذهبنا إليه فلقد سجلت جرائم القتل ارتفاعًا ملحوظًا عن السنوات التي سبقت الأزمة الاقتصادية كذلك ارتفعت معدلات الجنوح للأحداث والبغاء[٢٥] بشكل لافت للانتباه.

كما سجلت جرائم سرقة الممتلكات العامة وحالات التزوير والاختلاس والرشوة داخل المؤسسات الحكومية معدلات عالية لم يسبق لها مثيل في السنوات السابقة فضلًا عن ضعف دور المؤسسات الحيوية في المجتمع وغياب فاعليتها في الحياة الاجتماعية كل ذلك يؤشر أن الأزمة الاقتصادية قد فعلت فعلها في إشاعة بعض مظاهر التحلل بين صفوف المجتمع.

**٢- تطلع الأفراد إلى الجاه والثروة**

من المتوقع في الحالات التي تشيع فيها النماذج السلبية أن يكون هناك تطلع إلى الجاه أو الثروة وذلك يعود إلى أن الإكثار من الثروة أو التماس الجاه عادة ما يرتبط بالخشية من الأيام المقبلة التي ربما تكون أشد بؤسًا أو فقرًا، ولذا فإن قيمة الفرد هنا ستتركز على ما يمتلكه من ثروة وما يتمتع به من جاه أما مؤهلاته العلمية فسوف لا تؤخذ بعين الاعتبار؛ لكونها لا تمنحه قوة أو نفوذًا Prestige يذكر في المجتمع؛ وعلى ذلك فإن الأفراد الذين يتمتعون بمستوى من الإنجاز سيظلون يعيشون في الواقع حياة مهمشة بسبب أن القيم التي تؤكد الإنجاز لم تعد فاعلة في المجتمع المأزوم مما يعني أن هؤلاء سيتوارون عن مسرح الحياة الاجتماعية، والانسحاب عن المجتمع وربما يتطور ذلك إلى الإحساس بالاغتراب.

**٣- زيادة معدلات التسرب من الدراسة**

لعل من الآثار الاجتماعية المترتبة على شيوع النماذج السلبية من البشر زيادة معدلات التسرب من الدراسة بصورة غير طبيعية وربما يعود السبب إلى أن الأسرة على العموم أخذت تتداول أحاديث عن المعيشة وهمومها والأساليب التي يتم من خلالها تحسين حال الفرد، مع ذكر الأمثلة عن الأفراد الذين ارتقوا في السلم الاجتماعي وذلك من خلال الاشتغال بمهن تتناسب وظروف الأزمة، وبطبيعة الحال إن أحاديث الأسرة عن الغنى وتحسين الحال بعيدًا عن الدراسة سيؤدي إلى أشراط الصغار -ونعني بأشراط الصغار هنا هي العملية التي يتم من خلالها تنفير الصغار من الدراسة وترغيبهم بالأعمال الحرة أو تلك الأعمال التي لا تستدعي بذل أي جهد دراسي- وبالمحصلة النهائية ستنشأ حالة من الاقتران الشرطي بين الصفات السلبية والمهنة المراد إشراطها فالمهنة التي تقترن في العادة بصفات إيجابية سيجد فيها الصغار تفضيلًا وإقبالًا على ممارستها واحترافها، بينما المهن التي تقترن بصفات سلبية

سيجد فيها الصغار نفورًا وعدم تفضيل واستنادًا إلى ذلك شاع بين الصغار بعض الحجج في العزوف عن الدراسة وهذه الحجج هي في الواقع مستمدة من الإشراط السابق في المحيط الأسري.

ومما يخشى منه أن عزوف الصغار عن مواصلة التعليم من جانب وزيادة معدلات التسرب في المراحل الدراسية المختلفة من جانب آخر قد يؤثر تأثيرًا بينًا في عملية تكوين رأس المال البشري؛ وذلك لأن المجتمع يعول على هذه الفئات العمرية في المستقبل المنظور في أن تصبح كادرًا علميًا في كل قطاعاته بعد أن تهرم وتشيخ الكوادر العلمية الحالية[٢٦] وأنه أمر مخيف حقًا إن استمرت عملية التسرب بالازدياد دون إيجاد الحلول الناجعة لها.

**٤- إشاعة المخالفة لمعيار المسئولية الاجتماعية**

معروف أن التنظيم الاجتماعي لكي يحافظ على ديمومته واستمراره وبقائه لا بد من أن يجد له بعض القواعد والنظم والمعايير التي من شأنها أن تنظم العلاقات بين أفراده. وأن تحول دون سيطرة قانون الغاب على الحياة الاجتماعية، وبموجب هذه القواعد يتوقع أن تكون الحياة الاجتماعية داخل التنظيم الاجتماعي باعثة على الأمان والاطمئنان، وإزاء ذلك يصبح الفرد ملزمًا بأداء بعض الالتزامات والواجبات تجاه الأفراد الآخرين الذين يشاركونه الحياة في التنظيم الاجتماعي إن تعرضوا إلى أزمة أو محنة من قبيل تقديم الإسعافات الأولية، أو تقديم المشورة أو النصيحة لشخص يعاني من أزمات شخصية أو تحذير من خطر ما. ووفقًا لهذا المنطق تصبح المسئولية الاجتماعية الأساس الذي يستند عليه التنظيم الاجتماعي في عملية تنظيم العلاقات بين أفراده من جهةٍ ومن جهة أخرى تضفي جانبًا إنسانيًا على الحياة فيه لذا فإن المسئولية الاجتماعية تعد ضرورة ملازمة للنظام الاجتماعي إذ لا يمكن أن يكون هناك نظام اجتماعي بدون مسئولية اجتماعية ولا يمكن كذلك أن تكون هناك مسئولية اجتماعية بدون نظام اجتماعي فكلاهما وحدة واحدة لا

انفصام بينهما.

ومهما يكن من أمر فإن ثمة ما يهدد النظام الاجتماعي بالفوضى أو الاضطراب وفي الوقت ذاته يخل بوظائفه داخل التنظيم الاجتماعي وذلك في حالة ضعف المسئولية الاجتماعية لأفراد التنظيم نفسه فلقد أشارت الأدبيات في علم النفس الاجتماعي أن التنظيمات الاجتماعية التي تمر بكوازث أو أزمات تضعف المسئولية الاجتماعية لأفرادها وبالتالي فإن شبكة العلاقات داخل هذه التنظيمات تتأثر هي الأخرى بالأزمة أو الكارثة وتكون عاقبة ذلك الفوضى وعدم الإحساس بالأمان، فضلًا عن تفشي أنماط من السلوك التي لا تنسجم مع طبيعة التنظيم الاجتماعي؛ الأمر الذي يتيح للفئة المنحرفة أن تتخذ من الأزمة المجتمعية فرصة مناسبة لتحقيق رغباتها التي لم تشبعها في ظروف الاستقرار.

وهذا معناه أنها تتخذ من الأزمة المجتمعية أساليب تكيفية للتخلص من الاغتراب المجتمعي إذ لا مندوحة من تعزيز النظام الاجتماعي شئنا أم أبينا؛ لأن في النظام الاجتماعي الأمان والاستقرار، وفي اضطرابه الفوضى وتهديد حياة الأفراد؛ ولكي يستمر النظام الاجتماعي بوظيفته هذه يقتضي من الأفراد في التنظيم الاجتماعي مجاراة معاييره التي أوجدها بهدف المحافظة على شبكة علاقاته.

ولعل معيار المسئولية الاجتماعية أحد هذه المعايير، ووفقًا لذلك يتمكن النظام الاجتماعي من ديمومة التنظيم الاجتماعي والمحافظة على حياة أفراده وإضفاء الجانب الإنساني على شئونه وأحواله المختلفة بوجود المعيار والالتزام به، وإلا فإن الاضطراب والفوضى ستعم أفراد هذا التنظيم عند مخالفة المعيار.

ولقد وجد النظام الاجتماعي في معيار المسئولية الاجتماعية ما يساعده

على تحقيق مهمته في جعل أفراد التنظيم الاجتماعي يتحسسون مشكلات بعضهم ويساعد بعضهم الآخر إن تعرض لمحنة أو أزمة أو طارئ.

لقد أظهرت الأزمة الاقتصادية التي يمر بها المجتمع آثارًا دالة على ضعف معيار المسئولية الاجتماعية إذ إن تصاعد معدلات التضخم وارتفاع الأسعار قد تسبب عن صعوبات معيشية وبمقتضى الأزمة الحادة وانشغال الناس بهمومهم الحياتية المتلاحقة فقد ضعف التزام الأفراد بمعايير التنظيم الاجتماعي؛ وضعف الالتزام بالمعايير له ما يسوغه ولعل مسوغاته تكمن في أن الأزمات التي تتعرض لها التنظيمات الاجتماعية تتسبب عن مشكلات متعددة من أهمها: ندرة المواد الغذائية وشحة بعض السلع الأساسية التي يزداد الطلب عليها في الظروف العصبية لا سيما في الظروف التي تستغرق وقتًا طويلًا فيتسبب عن استمرارها إحساس الفرد بالإرهاق والتوتر مما يجعله يفكر بنفسه أولًا وقبل كل شيء استنادًا إلى المكافآت والتكاليف التي تحسب في كل موقف يتعرض له وعلى هذا الأساس فقد يسعى للحصول على مكافآت أكثر وتقليل التكاليف انطلاقًا من أن الأزمة التي يمر بها المجتمع هي بحد ذاتها تكاليف.

ومن هنا يبدأ الفرد بالبحث عن المكافآت ويحاول أن يقلل التكاليف، فما بالك إن تفشى هذا النمط من السلوك بين أفراد التنظيم الاجتماعي كله؟!

لقد أصبح بحكم المؤكد أن الأزمات التي تمر بها المجتمعات البشرية واستمرارها لفترة زمنية طويلة تؤدي إلى إضعاف التزام الفرد بمعايير التنظيم الاجتماعي ومنها على وجه الخصوص معيار المسئولية الاجتماعية.

**٥- إشاعة التسول**

لعل من أبرز الآثار المترتبة على الأزمة الاقتصادية التي يمر بها المجتمع هو ازدياد معدلات التضخم المالي، وبطبيعة الحال إن ازدياد معدلات التضخم

سيؤثر على الأجور السائدة وهذا يعني أن الأجور سوف لا تتمكن من مواكبة الأسعار الجارية الأمر الذي يعني أن الفرد سيعاني من ضنك واضح في العيش وعندما ما يصل الحال بالفرد إلى الإحساس بضنك في العيش فإن الأمر يقتضي أن يزيد من الدخل بما يوازي الأسعار الجارية؛ لكي يتمكن من إشباع بعض حاجاته الأساسية وإلا فإن النتيجة المعروفة سلفًا إضافة أرقام جديدة إلى الرقم السابق للفقراء.

ولقد حدث ذلك بالفعل في ظروف الأزمة الاقتصادية إذ إن ثبات الدخول مع التصاعد المتزايد للأسعار قد جعل الكثير من أفراد المجتمع يعانون من ضائقة حقيقية في المعيشة، ولمعالجة هذه الضائقة لجأت بعض الأسر على تشغيل أبنائها في أعمال هامشية مختلفة ولمعظم ساعات النهار أو اضطرار كل من الأب والأم إلى العمل المستمر لمواكبة الغلاء المتزايد أو اللجوء إلى السؤال وطلب المعونة من الآخرين ولقد عد ذلك حلًا معيشيًّا فلقد بدأنا نشاهد جماعات من هؤلاء وهم يفترشون الأرصفة في أماكن الإشارة الضوئية أو أمام المحال التجارية أو الأسواق بعد أن سجل التسول معدلات ضئيلة في المجتمع في أوقات سابقة، والجدير بالإشارة أن التسول كان محصورًا بأولئك الذين يتمتعون بخصائص نفسية واجتماعية تمكنهم من التماس السؤال من الناس الآخرين، وهو أمر متوقع في ظروف اليسر الاقتصادي!! بيد أن ظروف العسر الاقتصادي جعلت من السهل على الأفراد تحصيل الرزق عن طريقه لاسيما أولئك الذين يتمتعون بحكم خلقي متدني.

وآية ذلك أن التسول أخذ يشيع في المجتمع إثر شيوع النماذج السلبية التي هيأت مناخًا مناسبًا لتقبل التسول، وفي بعض الأحيان نجد أن الأفراد في المجتمع يقدمون بعض المسوغات المنطقية لشيوعه، وبسبب ازدياد معدلات التضخم المالي واستمرار الأزمة الاقتصادية إلى أجل غير مسمى فلقد أصبح التسول مؤسسيًّا وهذا معناه أن هناك مؤسسات -إن صح التعبير- تدير

التسول وتشرف عليه وذلك بالاتفاق مع المتسولين أنفسهم، أو الإتيان بأشخاص يعملون بصفة متسولين دون حياء مقابل تقديم الأجور المغرية لهم مع ضمان سبل حمايتهم من الآخرين أو من السلطات عندما يقعون في مأزق.

وإلى جانب ذلك فإن هذه المؤسسات تؤمن لهم النقل إلى منازلهم والمجيء بهم إلى الأماكن التي يتسولون فيها، كما اتضح أن هذه المؤسسات تتخذ من الشقق في العمارات أو من الدور السكنية مكانًا مناسبًا لممارسة أعمالها سواء في توزيع المتسولين على الأماكن الجغرافية، أو لأغراض المحاسبة أو استقدام الإجراء. ولقد اتخذت هذه المؤسسات من ممارسة التجارة أو المقاولات نشاطًا علنيًا لها لكي تكون بمنأى عن مساءلة السلطات.

وغاية ما يمكن قوله بشأن التسول: إن شيوع نماذج البشر السلبية وإضعاف النماذج الإيجابية قد جعل من التسول مهنة كغيرها من المهن الشائعة في المجتمع، ومما ساعد على انتشارها استحداث مؤسسات لإدارتها والإشراف عليها على أن القائمين عليها من أولئك الذين تشيع بينهم نماذج إنسان السوق والإنسان المنحرف بدرجة لافتة للنظر.

**زيادة معدلات الإصابة بالاضطرابات النفسية والعقلية**

لقد ازدادت معدلات الإصابة بالاضطرابات النفسية والعقلية بصورة ملحوظة لا سيما بين أولئك الذين لم يتمكنوا من التوافق مع الأنساق القيمية الوافدة ولما لم يتمكنوا من التوافق مع هذه الأنساق فقد أصبحوا إزاء خيارين اثنين لا ثالث لهما: فإما التمرد على الظروف التي جلبت لهم هذه الشدائد والمحن وذلك بإشهار العصيان واستخدام العنف ضد رموز السلطة.

وإما التزام الصمت والسكوت إزاء ما يحدث داخل التنظيم الاجتماعي ويبدو أن البعض قد فضل الخيار الثاني وقد تعرض جراء ذلك إلى بعض

الاضطرابات النفسية أو العقلية من قبيل الاكتئاب والقلق والأعراض النفسية- الجسدية والشيزوفرينيا (الفصام) وحالات الهوس والاكتئاب.

ولقد كشف هؤلاء عن اضطراباتهم بعديد من المظاهر السلوكية لعل من أبرزها: الحديث المستمر مع الذات، أو لوم الذات أو الحزن أو بطء الاستجابة أو العزلة على الناس أو التفوه بألفاظ غريبة وأحيانًا نابية أمام جمهرة من الناس دون حياء أو التحديق بوجوه الآخرين بشكل غير طبيعي أو الثرثرة اللفظية بصوت عالٍ دون أن يجمعها معنى أو دلالة أو الحديث عن أشياء وهمية وكثير من هذا القبيل. وللتخلص من معاناة هذه الاضطرابات ألجئ البعض إلى تعاطي المسكرات أو المخدرات أو أنواع معينة من العقاقير بوصفها أسلوبًا مناسبًا للتعامل معها. وكانت عاقبة ذلك أن المجتمع زاد من استهلاك هذه المواد وكذلك تعطلت إنتاجية هؤلاء في الحياة فمنهم من كان كاتبًا عزف عن الكتابة ومنهم من كان باحثًا يواصل دراسته العليا أحرق كتبه وأوراقه وغيب وعيه إلى أجل غير مسمى، ومنهم من كان معيلًا لأسرته أصبح شخصًا اتكاليًا يستدر من أفراد أسرته العطايا.

وإذن فإن الأنساق القيمية الوافدة قد أحدثت اختلالًا في البناء النفسي للأفراد وقد كشف عن هذا الاختلال بصورة اضطرابات نفسية وعقلية.

**٧- ضعف التدرج الهرمي للسلطة في الأسرة**

معروف أن الأسرة العربية تتأثر كثيرًا بالتراتب العمري[٢٧] بمعنى أن الشخص الأكبر سنًا وهو عادة ما يكون الأب أو من حل محله، وهو الشخص الذي يتمتع بالمكانة والنفوذ داخل أسرته أما الأبناء فهم الأتباع ومن الواجب عليهم أن يظهروا فروض الطاعة والولاء له فهو المتخذ الأول للقرارات وهو الخبير الأول والناصح والموجه والمرشد داخل الأسرة. بيد أن هذه الهرمية أخذت بالضعف أثر الأزمة الاقتصادية التي يمر بها المجتمع.

إذا نحن عدنا على الأسباب التي أدت إلى ضعف هرمية السلطة داخل الأسرة لوجدنا أن العامل الاقتصادي المساهم الرئيس في إضعافها، فالأب كما قلنا هو الشخص المهيمن في أسرته وهو الناصح والموجه وهو علاوة على ذلك هو الشخص الممول لأسرته ماديًا وهو الذي يتدبر سبل المعيشة ما دام حيًا غير أن الأزمة الاقتصادية وما ترتب عليها من تصاعد مستمر في الأسعار قد أثر ذلك على دخله ولم يعد بالإمكان تدبير المعيشة لأفراد أسرته الأمر الذي أدى إلى بيع الممتلكات الشخصية والأسرية بأثمان لم تمكنه من الصمود إلا قليلًا. وكان لزامًا أن يلجأ إلى تشغيل بعض الأبناء في أعمال هامشية تساعده على سد بعض الاحتياجات الأسرية وعند انخراط هؤلاء الأبناء بسوق العمل واكتساب مهارات التعامل معه توسع هؤلاء قليلًا مما أدى إلى المساهمة بميزانية الأسرة بنسبة كبيرة جدًا تفوق نسبة دخل الأب وكانت عاقبة ذلك أن سلطة الأب قد ضعفت في فرض هيمنته على الأبناء، إذ لم يتمكن من فرض سلطته سواء بالتوجيه والإرشاد أو بالإرغام في تعديل سلوكهم عندما يرتكبون مخالفات قانونية أو اجتماعية وأثر الأوضاع المعيشية التي مرت بها الأسرة قد أدت إلى اضطراب هرمية السلطة، وهنا تكمن الخطورة! ويمكن تشخيص بعض ملامح هذه الخطورة على النحو الآتي:

أ- إن إضعاف هرمية السلطة داخل الأسرة ستزيد من حالات المخالفة للمعايير الاجتماعية وهذا يعني أن الأب سوف لا يؤدي دور الرقيب كما كان سابقًا في رصد حالات المخالف التي يلاحظها في سلوك أبنائه الأمر الذي يعني أن المجتمع قد فقد إحدى أساليب الضبط الاجتماعي السائدة فيه.

ب-وقد يترتب على إضعاف هرمية السلطة ضعف العلاقات الاجتماعية السائدة بين أفراد الأسرة الواحدة ذلك أن الأب هو الذي يؤدي الدور الفاعل في تقوية العلاقات بين أفراد أسرته في حالات فتورها أو تأزمها

فيعمد إلى حث هذا الطرف أو ذاك إلى تخفيف الغلواء والتسامح أو تقديم الإسناد الاجتماعي في الحالات التي يكون فيها أحد الأطراف بحاجة إلى الإسناد.

**٨- إحساس الشباب بالشيخوخة**

إن الأنساق القيمية الوافدة التي أخذت تشيع في المجتمع قد ولدت إحساسًا بالاغتراب لدى البعض من الأفراد لا سيما المثقفون منهم إذ لم يتمكن هؤلاء من التوافق مع هذه الأنساق ولقد ترتب علي ذلك تدهورًا ملحوظًا في الصحة النفسية فقد تعرض هؤلاء إلى بعض الاضطرابات النفسية والسايكوسوماتية (أمراض عضوية ذات منشأ نفسي) أخذت تظهر على شكل مظاهر سلوكية من قبيل: القلق، والاكتئاب، والحزن، والانطواء، والعزلة، وآلام في المعدة، والانثى عشر، واضطراب وظيفة القلب، وضيق في الصدر، وآلام في الأمعاء والقولون، وانسداد الشرايين، وكثير من هذا القبيل الأمر الذي يعني أن هذه الفئة أخذت تتعرض إلى الاحتراق من الداخل أو بلغة علم النفس أنها تعرضت إلى الاحتراق النفسي Burnout واستمرار الاحتراق هذا سيؤدي إلى استنزاف طاقة نفسية كبيرة وبالتالي الوصول إلى حالة من الإعياء والإنهاك؛ لذا فإن هذه الفئة العمرية التي بدت عليها علامات الشيخوخة مبكرًا قد عانت من ضغوط نفسية شديدة يفوق درجة احتمالها ولعل من الآثار البدنية المترتبة على استمرار حالة الصراع والتوتر النفسي التعرض إلى الوفيات المفاجئة.

فلقد لوحظت حالات كثيرة من هذا النوع تعرضت إلى الوفاة المفاجئة دون أن تظهر عليها أعراض مرضية كما ترتب على استمرار الصراع والتوتر النفسي إقدام البعض من هؤلاء الشباب الذين فقدوا الأمل في تحسين أحوالهم الحياتية بالانتحار تخلصًا من المعاناة والإحباطات المتكررة.

**٩- الحنين إلى الماضي بوصفه بعدًا زمنيًّا مفضلًا**

لقد شاع بين الأفراد من مختلف الفئات الاجتماعية نكوصًا إلى الماضي والتغني بأمجاده وأيامه بعد أن سئموا من الحاضر الذي لم يحمل لهم بشائر الخلاص المتمثل بانتهاء الأوضاع المؤلمة وأن ثمة شواهد واقعية تشير إلى أن الأفراد في نكوص دائم إلى الماضي ذلك أن أحاديثهم في المجالس الاجتماعية، أو في الأماكن العامة أو في المواقف التي يحدث فيها تجمع جماعي تسرد وقائع وأحداث حدثت في زمن مضى والانتهاء إلى إجراء مقارنات مع ما يحدث من وقائع في الحاضر ثم بعد ذلك تنتهي مثل هذه المقارنات إلى تفضيل واضح للماضي، ورفض للحاضر على أن النكوص إلى الماضي عادة ما ترافقه عملية تزيين لوقائعه وذلك بإخفاء عيوبه والمبالغة في حسناته[٢٨]. وبذلك يتحول الماضي إلى عالم طوباوي يجد فيه الأفراد إشباعًا لحاجاتهم النفسية. وما نريد قوله هنا: إن الماضي أصبح لدى الغالبية هو السعادة أو الهناء[٢٩] أو الذكريات السارة وأصبح الحاضر هو الشقاء والتعاسة ولعل العواقب المترتبة على ذلك هو غياب التطلع إلى المستقبل وغياب التطلع إلى المستقبل يعني فيما يعني قطع الاتصال مع العالم وعدم القدرة على مجاراة الأحداث الحادثة فيه ويعني جملة أن تقادم الزمن سيزيدنا خسائر تلو الخسائر؛ لأن الزمن القادم بعد عام ٢٠٠٠ سوف لا يتيح للإنسان التفكير ببدائل العيش ذلك أن هذه البدائل قد نظمت بطريقة معدة مسبقًا الأمر الذي يعني صعوبة إحداث تغييرات فيها هذا من جانب وصعوبة فهم التغيرات الحاصلة في النظام العالمي من جانب آخر؛ لذا أصبح لزامًا أن يعيش الأفراد الحاضر ليتسنى لهم فهم أحداثه ووقائعه ومن ثم التطلع إلى المستقبل بالرغم من الغموض الذي يكتنف بعض جوانبه وإلا فإن النكوص المستمر إلى الماضي وعدم الاندماج في الحاضر سنكون كمن يعيش في قبيلة بدائية بعيدة كل البعد عما يحدث من تطورات في الحضارة الإنسانية.

## زيادة المعاناة من حدة الضغوط الحياتية

**المقدمة**

لقد أثيرت في الآونة الأخيرة دعوات تؤكد، أن العصرنة التي يمر بها المجتمع البشري قد زادت من ضغوط الحياة، مما أثرت تأثيرًا بينًا في صحة الإنسان النفسية منها والبدنية وراحت هذه الدعوات تنبه، إلى خطورتها والآثار المترتبة عليها، ولقد عقدت ذلك، الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية التي كانت جلها يحاول أن يلتمس بعض الحلول الناجعة لها، ولا سيما بعد أن بلغت الحضارة شأوًا واسعًا من التعقيد، مما يقتضي بذل المزيد من الجهود للتغلب على المشكلات الناجمة عنها.

إن محاولة الإنسان المستمرة لتحسين أوضاعه الحياتية وسعيه في أن يحيا في عالم أكثر رفاهية، ومن ثم المحافظة على المنجزات التي حققها، فإن الأمر يقتضي أن يبذل المزيد من الجهود لتحقيق أهدافه، وبطبيعة الحال أن بلوغ تلك الأهداف يجعله في غاية الاطمئنان في أن يعيش حياة حرة كريمة، وبالتأكيد فإن هذا السعي المتواصل للوصول إلى عالم أكثر رفاهية، قد أدى إلى إحساسه بالإنهاك الانفعالي مما ترتب علي ذلك الكثير من المشكلات النفسية التي أخذ يعاني منها، فضلًا علن المشكلات البدنية.

ولتسليط الأضواء على الضغوط الحياتية المترتبة على العصرنة، أثرنا أن نقتصر مناقشتنا على الفقرات الآتية:

- أسباب ضغوط الحياة.
- الآثار النفسية المترتبة على ضغوط الحياة.
- أساليب التعامل مع ضغوط الحياة.

## الهوامش

(1) R.K. White. Value analysis: The nature and use of method. (New Jersey: Libration Press, 1951), p. 13.

(2) R.A. Kalish and K.W. collier. Exploring human values. (California: Brooks/ cole publishing company, 1981)

(٣) حليم بركات. المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي، ط ٥. (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٦)، ص ٣٢٤.

(٤) عبد اللطيف محمد خليفة – ارتقاء القيم: دراسة نفسية. (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٩٢)، ص ٦١.

معتز سيد عبد الله. الاتجاهات التعصبية. (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، سلسلة عالم المعرفة، ١٩٨٩)، ص ٩١.

(5) L.A. H Jelle and D.J. Ziegler. Personality thearies: Basic assumptions, Research and Application, 2nd ed. (Auckland: MoGrow - Mill Book company, 1981), p. 311

(٦) نبيل نعمان إسماعيل. الجرائم الاقتصادية في العراق:

دراسة اجتماعية تحليلية. (أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٢) ص ٢٠٩.

(٧) المصدر نفسه، ص ٢١٠- ٢١١.

(٨) مها عبد المجيد العاني. الخصائص النفسية لمرتكبي جرائم السرقة والاختلاس والتزوير والرشوة للعاملين في المؤسسات الحكومية. (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٤)، ص ٦٣.

(٩) محمد كاظم المهاجر، الفقر في العراق قبل وبعد حرب الخليج، سلسلة دراسات مكافحة الفقر ٤. (نيويورك: الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، ١٩٩٧)، ص ٢١.

(١٠)المصدر نفسه، ص ٢١.

obeikandl.com

(١١)محمود شمال حسن (قلق المستقبل لدى الشباب المتخرجين من الجامعات) المستقبل العربي، السنة ٢٢، العدد ٢٤٩. (تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩)؛ ص ٨٤.

(١٢)قصي قاسم الكليدار (قياس مستوى المعيشة في العراق) (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ١٩٩١)، ص ٢٥٦.

(١٣) المصدر نفسه، ص ٢٥٦.

(١٤) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا. الفقر والمأوى في منطقة غربي آسيا. (نيويورك: الأسكوا، ١٩٩٧)، ص ٥.

(15) D.M. Smith. MuMan Geography. (London: Edward Arnold, 1977), p. 29.

(١٦) محمود شمال حسن (مستوى إشباع الحاجات وفقًا لنظريات ماسلو) العلوم التربوية والنفسية (بغداد)، العدد ٣٣ (تموز، ١٩٩٩)، ص ٣٥٢- ٣٥٤.

(١٧) حسن (قلق المستقبل لدى الشباب المتخرجين من الجامعات) ص ٧٢.

(١٨) عبد الجبار توفيق البياتي وبهاء الدين عبد الله، (المنزلة الاجتماعية للمهن من وجهة نظر معلّمي ومعلمات المدارس في بغداد) (بغداد: جامعة بغداد، مركز البحوث التربوية والنفسية، ١٩٧٤)، ص ١٣- ١٦.

قاسم حسين صالح (المكانتان الاجتماعية والاقتصاية للمهن في المجتمع العراقي من وجهة نظر طلبة الجامعة) الآداب (بغداد)، العدد ٤٢ (١٩٩٧). ص ١٨٧-١٩١.

(١٩) محمود شمال حسن (دراسة المتغيرات المساهمة بسلوك المجاراة لمعيار المسئولية الاجتماعية) (أطروحة دكتوراه غير منشورة، الجامعة المستنصرية، ١٩٩٧)، ص ٩٩- ١٠١.

(٢٠)محمود شمال حسن، (بث برامجي أم تشكيل نسق قيمي دراسة الأنساق القيمية المترتبة على البث الفضائي في المجتمع العربي) شئون عربية، العدد ٩٧ (آذار/ مارس ١٩٩٩) ص ٥١- ٥٢.

محمود شمال حسن (سيكولوجية الخطاب في برامج البث الوافد من الفضاء) الحكمة (بغداد)، السنة ٢، العدد ٩ (آيار/ مايو ١٩٩٩)، ص ٩٨- ٩٩.

(21) P.F. Secord and etal. Understanding social life: Anintreduction to social psychology. (New York: McGraw - Hill Book company, 1976), p. 108.

(22) A. Baum and etal - social psychology. (New york: Random House, 1985), p. 201-202.

(23) G.C. Hemans. Social behavier: its elementary forme. (London: Routlege and kegan paul, 1961), p. 75.

(24) Ibid, p. 75.

(٢٥)محمود شمال حسن (الكارثة الطبيعية: وضعيات السلوك البشري أثناء وقوع الكارثة وما بعدها) الموقف الثقافي (بغداد)، السنة ٤، العدد ٢٤. (تشرين الثاني- كانون الأول، ١٩٩٩)، ص٣٩.

(٢٦)محمود شمال حسن (صغار في أزمة: دراسة الآثار النفسية والاجتماعية الناجمة عن تعرض الأطفال للأزمة الاقتصادية) بحث ألقي في المؤتمر العلمي العربي الأول حول سبل حماية الطفولة في الوطن العربي، الذي نظمه مركز البحوث النفسية بوزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد للفترة ٢٤-٢٦ تشرين الثاني ١٩٩٨.

(٢٧)قيس النوري (الأسرة مشروعًا تنمويًا) (بغداد: دار الشئون الثقافية العامة، سلسلة آفاق، ١٩٩٤)، ص ١٠٨.

(٢٨)مصطفى حجازي (التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سايكولوجية الإنسان المقهور)، ط ١ (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦)، ص ١٦٢.

(٢٩)المصدر نفسه، ص ١٦٢.

obeikandl.com

## أسباب ضغوط الحياة

هناك العديد من الأسباب لضغوط الحياة ولعل من أبرزها:

### ١- السكن في المدينة

لقد ازدادت ضغوط الحياة Stress of Life بعد أن سكن الإنسان المدينة وعاش فيها. وأثر التكدس والتزاحم في السكن، كثرت الضوضاء وتلوث الهواء، فضلًا عن زيادة الفضلات الناتجة عن الاستخدامات البشرية المختلفة[١]. ومما يزيد من ضغوط الحياتية في المدينة، أن أسلوب الحياة فيها آخذ بالتعقيد، مما أشعر السكان فيها بالإنهاك والتعب قياسًا بساكني الريف، ولقد ترتبت على ذلك بعض الآلام والمعاناة جراء العيش فيها.

فقد وجد أن الاضطرابات السايكوسوماتية Psychosomatic Disorders تشيع بدرجة كبيرة بين الأفراد الذي يأخذون بأسلوب الحياة المتحضرة، مقارنة بأفراد يعيشون في مجتمعات تقليدية، نشير في هذا السياق إلى أن إحدى الدراسات، كما وردت على لسان الباحث (أبو النيل) ١٩٨٤، عقدت مقارنة في الآثار النفسية المترتبة على التحضر بين الأفراد الذين يأخذون بأسلوب المجتمعات الغربية وأولئك الذين يعيشون في الأسكيمو، إذ توصلت إلى أن الاضطرابات السايكوسوماتية تشيع بنسبة (١.٥)[٢]. وهذا يشير إلى حقيقة، أن المدينة بأسلوب الحياة السائدة فيها مع كثرة منغصاتها من الضوضاء والازدحام وسوء الخدمات، قد أسهمت في زيادة ضغوط الإنسان في الوقت الحاضر.

### ٢- المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي

تشير الدراسات، أن المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي للفرد، يعد من المتغيرات التي لها إسهام في ضغوط الحياة، فلقد برز على وجه التحديد

المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي المتدني؛ بكونه أكثر إسهامًا من المستويات الأخرى[٣]. وربما يعود السبب إلى أن أفراد المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي المتدني هو أكثر إحساسًا بالقهر والغبن مما يزيد من حالة المعاناة، بمعنى آخر: إن هؤلاء يشعرون أن الوسط الاجتماعي والظروف المحيطة بهم قد خططت لإحباط أهدافهم في الحياة، ربما تكون هناك وجهة نظر أخرى تنطلق من مقولة: إن أفراد المستوى المتوسط، أو ما يسمى بالطبقة الوسطى، أكثر تعرضًا لأشغال المراكز الاجتماعية ولتحسين مستوى حياتهم. فضلًا عن إنهم أكثر إخلاصًا وحرصًا في ميدان عملهم، وهو الأمر الذي يزيد من متاعبهم الحياتية، وأن ثمة رأيًا ثالثًا يؤكد، أن أفراد المستوى الراقي، ربما يكونون أكثر تعرضًا لضغوط الحياة، بسبب أنهم يسعون باستمرار إلى المحافظة على مستوى المعيشة الذي حققوه لأنفسهم، وإنهم في سعي دائب للوصول إلى مراكز اجتماعية مرموقة في المجتمع، وبمقتضى ذلك، يصبح هؤلاء أكثر معاناة بمرور الوقت، وبهذا المعنى يصبح هؤلاء أكثر تعرضًا لضغوط الحياة، كلما زاد حراكهم الصاعد، فضلًا عن زيادة ثرواتهم.

إن الحقيقة التي نخلص إليها، هي أن الأفراد في المستويات الاجتماعية/ الاقتصادية الثلاثة، يدركون المنبهات البيئية الدالة على الضغوط، طبقًا للخصائص الاجتماعية التي يتمتعون بها، وعلى ذلك، فإن المدركات المتكونة على المنبهات، هي التي تضفي عليها معنى الضغوط.

**٣- المهنة التي يحترفها الفرد**

إن طبيعة المهنة التي يحترفها الفرد، ربما تسهم في زيادة الضغوط التي يتعرض لها، انطلاقًا من مقولة: إن بعض المهن، تنطوي على أعباء في غاية الإرهاق والتوتر. فعلى سبيل المثال، إن مراقبي الطيران في المطارات، يكونون طوال الوقت في حالة من التوتر والترقب[٤] للإشارات القادمة من الطائرات، بقصد السماح لها بالهبوط، وحقيقة الأمر إن مثل هذه المهنة تزيد من حالة

التوتر لدى الفرد، إذ إن الشرود الذهني أو عدم الانتباه للإشارات القادمة سيؤدي إلى كارثة بشرية تلحق بركاب الطائرة، وربما بركاب آخرين، لذا فإن مراقبي الطيران هم في حالة من اليقظة والحذر مصحوبة بالتوتر للإشارات التي تظهر على شاشة أجهزة الاستقبال. وبطبيعة الحال، إن استمرار حالة الانتباه للإشارات المرسلة، سيعرض المراقب إلى مزيد من الألم، فما بالك إن كانت ثمة هموم حياتية تشغل بال هذا المراقب؟!

لقد بات بحكم مؤكد، أن الهموم المتعلقة بالمهنة مضافًا إليها هموم الحياة، ستزيد من المعاناة، وسيكون الفرد أكثر تعرضًا للإصابة بأمراض مختلفة.

**٤- فقدان الإسناد الاجتماعي**

بات واضحًا، أن الإسناد الاجتماعي الذي يقدم إلى الفرد، يخفف كثيرًا من معاناته اليومية ويجعله يعيش حالة من التوافق النفسي والاجتماعي، وبالفعل، فلقد وجد أن الأفراد الذين يتمتعون بكثرة مصادر الإسناد الاجتماعي، يتمتعون بحالة نفسية تبعث على الارتياح والسرور، وعلى النقيض من ذلك، فإن الأفراد الذين تقل مصادر الإسناد الاجتماعي عندهم يعيشون في حالة من التوتر والقلق، وبناء على ذلك، فإن الإسناد الاجتماعي يؤدي دورًا مهمًا في حياة الفرد، ولا سيما في ظروف التوتر الشديد.

فلقد أشارت الدراسات التي أجريت في الميدان العسكري إلى أن الجنود الذين يفقدون زملاءهم أثناء القتال. ويعرضون إلى ما يسمى (بإعياء المعركة) أكثر من أولئك الذين لم تشترك وحداتهم في العمليات العسكرية[٥] وسبب ذلك يعود إلى وجود بعض الجنود الذين يرتبط بهم الفرد بعلاقة حميمة في موقف ضاغط ينطوي على تهديد للحياة، يخفف من القلق والتوتّر والتوجس إلى حد كبير، وبذلك فإن ضعف مصادر الإسناد، قد يؤدي إلى إحساس الفرد بالشقاء والتعاسة[٦] والضيق، وعلى النقيض من ذلك، فإن قوة الإسناد

الاجتماعي، تسهل بطبيعة الحال، عملية التعامل مع التغيرات التي تحدث في الحياة ومن ثمة التوافق معها.

**٥- غياب الرجل عن الأسرة**

إن غياب الرجل عن أسرته عدَّ أحد الأسباب الدالة على ضغوط الحياة، وذلك يرجع أساسًا إلى انشغاله بالحراك الاجتماعي الذي يمر به المجتمع ومحاولاته لتحسين أحواله وانهماكه بمقتضيات الحياة اليومية.

ولقد ترتب على غيابه هذا، بعض المشكلات النفسية نذكر منها:

أ- إن العلاقات الحادثة بين الأب وأبنائه قد ضعفت جراء الغياب المستمر عن المنزل لساعات طويلة، مما أفضى إلى أن يكون الأب من وجهة نظرهم شخصًا يشبع لهم حاجاتهم المادية فحسب، أما الحاجات النفسية المتمثلة بالدفء والتعاطف والأبوة وتجاذب الحديث معه في قضايا حياتية شتى، فإنه غير قادر بالمرة على إشباعها، الأمر الذي يعني أن الأبناء في سن مبكرة ربما يُكَوِّنون مفهومًا عن الأب يتسم بالتشوش وعدم الوضوح.

ب-إن المعاناة النفسية لم تقتصر على الأبناء جراء غياب الأب فحسب، بل إن الأم طفقت هي الأخرى تعاني من غيابه عنها، ذلك أن غياب الرجل، ولا سيما في المجتمعات التي تشيع فيها ثقافة الرجل إن صح التعبير، أخذت تشعر بالوحدة وعدم الاطمئنان، فضلًا عن عدم إشباع حاجاتها الجنسية مما ولد لديها حالة من التوتر النفسي طيلة غيابه عنها. وعلى النقيض من ذلك، إن الرجل الذي يوفق بين حاجة أسرته إليه ومقتضيات الحراك الاجتماعي. قد أفضى إلى إحساس الزوجة بالارتياح والطمأنينة، ومن ثم خفت حدة المشكلات المترتبة على غيابه بدرجة ملحوظة.

ج- ومما ترتب على غياب الرجل عن أسرته، أنه أخذ يشعر بالهامشية، أي لم

يعد شخصًا مهمًا، وكان عاقبة ذلك، كثرة الخلافات مع الأبناء من جهة، ومع الزوجة من جهة أخرى، بسبب أن التصرفات الصادرة من الزوجة أو من الأبناء لم تكن متطابقة مع توجهاته الشخصية، لذا فإن الخلافات تظل تتكرر ما دام الغياب مستمرًا.

**٦- الأزمات المجتمعية**

معروف أن الأزمات التي تمر بها المجتمعات البشرية تؤثر تأثيرًا بينًا في زيادة الضغوط، وهذا يعود بطبيعة الحال، إلى أن الأزمات المجتمعية، قد تسببت بزيادة معدلات التضخم الاقتصادي، مما ترتب على ذلك، زيادة معدلات البطالة وارتفاع تكاليف المعيشة، فضلًا عن أن الأجور لم تكن بمستوى الأسعار الجارية، مما أدى إلى التحسس بوطأة الضغوط الحياتية على صعيد الأفراد.

وفي حال استمرار الأزمات المجتمعية لفترة زمنية طويلة، فإن الأمر يعني مزيدًا من الأعباء والضغوط التي ستضاف إلى كاهل الفرد. وبقصد التخفيف من حدة الضغوط. فقد لجأ الكثير من الأفراد إلى البحث عن فرصة عمل يزاولونها بعد الدوام الرسمي إن كانوا موظفين، وفي أغلب الأحيان، إن المهنة التي يتم مزاولتها بهدف تحسين الدخل، عادة ما تكون مختلفة تمامًا عن المهنة التي تزاول بداية النهار.

وقد يلجأ بعض من الأفراد للتخفيف من حدة الضغوط إلى تشغيل بعض الصغار والأحداث في أعمال هامشية، مما يؤدي بهؤلاء الصغار إلى التسرب من الدراسة والانشغال في المهن التي احترفوها، وقد يترتب على ذلك أن نسبة لا يستهان بها من الصغار قد لا تجيد القراءة والكتابة على مدى الأيام المقبلة، والأخطر من ذلك أن انتظام هؤلاء مبكرًا بسوق العمل قد يفضي إلى اكتسابهم قواعد التحايل كما يفعله بعض أرباب العمل، وربما يطور التحايل لدى هؤلاء

الناشئة إلى سلوك يلحق الأذى بالآخرين[٧]. وذلك لتحقيق المزيد من المنافع في عالم لا تحكمه القواعد الخلقية، كما أن الأزمة التي يمر بها المجتمع، ربما تؤدي إلى عدم إشباع حاجات الأفراد. وهذا يعني أن ثمة ضغوطًا حياتية أخذت تضيفها الأزمة المجتمعية.

إذا نحن عدنا إلى نظرية الترتيب الهرمي للحاجات Needs وجدنا ثمة حاجات دنيا وحاجات عليا، فالحاجات الدنيا هي حاجات البقاء والأمان، وتتمثل تحديدًا بالحاجات الفسيولوجية والأمن والسلامة، أما الحاجات العليا، فهي تلك الحاجات المتمثلة بالحب والانتماء والاحترام والتقدير وتحقيق الذات، ومن الطبيعي، إن للمجتمع دورًا في إشباع حاجات الأفراد. فلقد وجد أن المجتمعات النامية تهتم عادة بإشباع الحاجات الدنيا[٨]، ووفقًا لهذا المنطق تركز المجتمعات النامية على إشباع الحاجات الفسيولوجية والأمن والسلامة أكثر من تركيزها على الحاجات العليا، بينما الأمر جد مختلف مع المجتمعات المتقدمة التي حققت مستويات عالية في التنمية البشرية إذ إن إشباع الحاجات الدنيا أصبح من الأمور المفروغ منها، فلقد قطعت شوطًا كبيرًا في إشباع الحاجات العليا.

وإذن، تعد الأزمات المجتمعية إحدى الأسباب الدالة على ضغوط الحياة.

**الآثار النفسية المترتبة على ضغوط الحياة**

إن اشتداد ضغوط الحياة. يعني فيما يعني، أن ثمة آثارًا نفسية ستترتب عليها، وهنا سنتعرض إلى أهم تلك الآثار:

**١ - زيادة معدلات الإصابة بالاضطرابات النفسية والسايكوسوماتية**

معروف أن الضغوط الحياتية الشديدة، تسبب للأفراد عديدًا من المشكلات النفسية، ولعل من أبرزها: الإصابة بالاضطرابات النفسية

والسايكوسوماتية[٩].

في هذا السياق، تشير أحد التجارب كما وردت على لسان صالح ١٩٧٨ التي أجريت على القرود في حديقة الحيوانات بجامعة موسكو، إذ ركزت هذه التجربة على أحد قرود هذه الحديقة، البالغ عددها (٤٠) قردًا، ومرد ذلك يعود، إلى أن هذا القرد يعد زعيمًا في مجموعة القرود التي يعيش بين ظهرانيها، إذ كان قويًّا ومهيبًا وعزيزًا في مجموعته، فإذا سار، أفسحت له القرود المجال، وفي حال إلقاء الطعام إليه، لم يستطع أحد من أبناء مجموعته الاقتراب منه، وفضلًا على هذا وذاك، لا يجرؤ أحد من القرود، أن يغازل أنثى في حضرته، ولقد اقتضت إجراءات التجربة فيما اقتضت عزل هذا القرد الزعيم عن مجموعته، وذلك بوضع حاجز يفصله عن بقية القرود، لكي يتمكن من خلاله رؤية القرود عن كثب ومراقبتها، بيد أن هذا القرد الذي كان زعيمًا في قومه ثارت ثائرته حينما رأى القرود أخذت باللعب والمرح خلافًا لقواعده وإجراءاته، فضلًا عن مغازلة الذكور للإناث[١٠]. ومما زاد توتره هذا، أنه لم يكن بمقدوره أن يفعل شيئًا لكي يعيد الأمور إلى سابق عهدها، فلقد أفضى ذلك إلى تعرضه إلى حالة من الإجهاد، وكانت نتيجة ذلك، أن ارتفع ضغط دمه بدرجة كبيرة واضطربت نبضات قلبه، واستمر هذا التوتر لعديد من الأشهر، أصيب إثرها بنوبة قلبية[١١] ثم فارق الحياة بعد ذلك.

واضح، أن الأزمات الحياتية الشديدة التي يتعرض لها الأفراد قد تسبب لهم اضطرابات نفسية أو سايكوسوماتية. على أن الأفراد يتفاوتون فيما بينهم في التعرض للإصابة بأحد هذه الاضطرابات، تبعًا للمستوى الاجتماعي/ الاقتصادي الذي ينتمون إليه ومستواها الثقافي وخبراتهم الحياتية وأساليب التعامل مع الضغوط، فهذه المتغيرات بطبيعة الحال، يمكن أن تسهم في التعجيل بالإصابة، فلقد وجد، أن الأفراد من ذوي المستوى الاجتماعي/ الاقتصادي المتدني أكثر تعرضًا للضغوط من أقرانهم في المستويات الأخرى،

ويعود السبب إلى ظروف القهر والكدح المستمر وضنك الحال. إذ تجعل هؤلاء أكثر تعرضًا للإصابة فضلًا عن توافر الاستعداد.

كذلك، فإن المستوى الثقافي، يسهم هو الآخر بدرجة معينة في التعجيل بالإصابة بأحد هذه الاضطرابات، انطلاقًا من القول القائل: إن ارتفاع المستوى الثقافي للفرد يجعله أكثر تحسسًا بمشكلات العالم من حوله، ومن ثم يكون أميل إلى اكتساب الاضطراب. وعلى ذلك، فإن الفرد الذي يتمتع بمستوى ثقافي عال أكثر تعرضًا للإصابة بهذه الاضطرابات، وكذا الحال. مع أساليب التعامل مع الضغوط، إذ إن نوع الأسلوب الذي يلجأ إليه الفرد عند التعامل مع الضغوط، ربما يعجل بالإصابة، ومن ذلك على سبيل المثال: لوم الذات، الذي يستند إلى توجيه اللوم إلى الذات عند مواجهة مشكلة ما.

وعلى ذلك فإن الفرد الذي يكثر اللوم والتقريع لذاته. ربما يكون أميل إلى اكتساب الاضطراب، وعلى النقيض من ذلك، أسلوب الإسناد الاجتماعي، الذي يلتمس فيه الفرد العون والمساعدة من معارفه وأصدقائه وأسرته، حينما يتعرض لمشكلة ما أو محنة ألمت به، فهذا الفرد يكون أقل اكتسابًا للاضطراب من غيره.

**٢- الإحساس بالإنهاك والإعياء**

إن التعرض المستمر والمتواصل لضغوط الحياة أدى إلى الإحساس بالنحول والتعب[١٢]. وبمرور الوقت أخذت هذه الضغوط تستهلك طاقة نفسية كبيرة، مما ترتب علي ذلك، الإحساس بالإنهاك والإعياء. الأمر الذي جعل الإحساس بالإعياء صفة ملازمة للفرد الذي يعيش في حضارة غاية في التعقيد.

**٣- العجز عن اتخاذ القرار**

لقد لوحظ، أن الضغوط الشديدة التي يتعرض لها الفرد تجعله غير قادر

على اتخاذ قرارات بشكل سليم[١٣]، وذلك يرجع أساسًا، إلى أن الضغوط الشديدة لا تمنع الوقت الكافي للتفكير بروية في القضية المراد اتخاذ قرار بشأنها، وعلى ذلك، فإن الفرد الذي يتخذ قرارًا صائبًا، لا بد أن يتيسر له الوقت الكافي الذي يساعده على إنجاز مهمته، بيد أن زيادة قراره أو اتخاذ قرارات تنطوي على المزيد من الأخطاء، لذا فإن شدة ضغوط الحياة، ربما تعيق الفرد من اتخاذ قرارات صائبة.

**٤- زيادة معدلات الاستهداف للحوادث**

معروف، أن الفرد الذي يعمل في ظروف تنطوي على ضغوط شديدة، ستؤدي إلى خفض درجة الانتباه لديه، ومن ثم ستزداد درجة شروده، مما يفضي إلى زيادة الأخطاء، مما يجعله أكثر استهدافًا للحوادث.

**٥- هبوط مستوى إنتاجية الفرد**

من المفيد الإشارة هنا، إلى أن اشتداد الضغوط الحياتية ربما تفضي إلى خفض إنتاجية الفرد سواء كانت إنتاجية فكرية أو إنتاجية مادية، وإن ثمة مسوغات تدعونا إلى تأكيد فكرة مؤداها، أن زيادة الهموم والأعباء في الحياة قد تؤدي إلى الانشغال بها والتفكير بالحلول اللازمة للحد منها، وبذلك، فإن صرف الوقت في التفكير بها وفي أساليب التعامل معها، قد يفضي إلى تشتت الانتباه، ومن ثم عدم إتاحة الفرصة للفرد بتقويم إنتاجيته ومعرفة مواطن الضعف فيها، وعلى ذلك، فإن استمرار الضغوط الحياتية، دون إيجاد الحلول الناجعة للتخفيف من آثارها. ربما يفضي إلى خفض إنتاجية الفرد.

**٦- إشاعة الاغتراب عن المجتمع**

من اللافت للانتباه أن ضغوط الحياة، كلما اشتدت وطأتها على الفرد، مال إلى الاغتراب عن محيطه الاجتماعي.

إذا نحن بحثنا عن أسباب ذلك، وجدنا أن ضغوط الحياة تعمد في واقع الأمر إلى تكوين وضعية اجتماعية مغتربة إن صح التعبير، ذلك إن اشتداد الضغوط وعدم تيسر السبل الكفيلة للتخفيف منها، تجعل الفرد يفقد معنى وجوده. وهذا معناه، إن اشتداد ضغوط الحياة تجعله يشعر بالضآلة واللاجدوى من وجوده، وفي حالة استمرار حدة الضغوط الحياتية، من المتوقع أن ينعزل عن الآخرين مكونًا لنفسه عالمًا يوتوبيًّا. بعد أن ضاق ذرعًا من العالم الواقعي.

وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها وهي: إن الفرد الذي يعاني من الاغتراب عن مجتمعه، يتصف بإهمال نفسه وعدم الاهتمام بها. ذلك أنه منشغل طوال الوقت بعالمه اليوتوبي الذي اصطنعه لنفسه، إذ تراه منشغلًا بتنظيم العلاقات السائدة فيه والشخصيات المناسبة التي تكون لها القدرة على التحريك في فضاء هذا العالم، وبعد الانتهاء من ترتيب عالمه اليوتوبي هذا، يبدأ بمحاكاة تلك الشخصيات التي أعد لها أدوار معينة.

وبذلك لا يكترث بوجود الآخرين من حوله؛ بالرغم من أنهم يحيطون به من كل اتجاه، بيد أن انشغاله بعالمه هذا وتوالي الأحداث فيه، جعله غير آبه لما يجري حوله، وعلى ذلك فإن اشتداد الضغوط الحياتية وعدم تيسر السبل الكفيلة للتخفيف منها، تجعل الفرد يكثر من الهروب إلى عالمه اليوتوبي، وإذن فإن اصطناع العالم اليوتوبي هو وسيلة هروبية للتخلص من وطأة الضغوط، وفي الوقت نفسه وسيلة تنفيس عن الانفعالات المكبوتة.

٧- زيادة معدلات الانتحار

بات واضحًا، أن معدلات الانتحار أخذت تزداد في المجتمعات البشرية التي تمر بأزمة اجتماعية أو اقتصادية أو في المجتمعات التي تأخذ بأسلوب الحياة المتحضرة، وإذا نحن عدنا إلى إحصاءات الانتحار، وجدنا أن

المجتمعات المضطربة أو غير المستقرة بدأت تسجل معدلات كبيرة، ونعرض في أدناه جدولًا بمعدلات الانتحار لكل (١٠٠) ألف نسمه من السكان.

**جدول رقم (١)**

**يوضح معدلات الانتحار لكل (١٠٠) ألف نسمة[١٤]**

| البلد | الانتحار في الذكور | الانتحار في الإناث |
|---|---|---|
| ليتوانيا | ٨٢ | ١٣ |
| روسيا | ٧٤ | ١٣ |
| استونيا | ٧١ | ١٥ |
| لاتفيا | ٧١ | ١٤ |
| هنغاريا | ٥٦ | ١٧ |
| سلوفينيا | ٥٠ | ١٤ |
| روسيا البيضاء | ٤٩ | ١٠ |
| فنلندا | ٤٤ | ١٢ |
| كازخستان | ٤٠ | ٩ |
| أوكرانيا | ٣٨ | ٩ |
| النمسا | ٣٣ | ١٢ |

تشير بيانات الجدول، أن معدلات الانتحار ازدادت في المجتمعات التي تعاني من أزمات مجتمعية، كما هو الحال في ليتوانيا وروسيا واستونيا ولاتفيا وغيرها، أو في مجتمعات أخرى، ازدادت فيها هذه المعدلات، أثناء تصاعد الحراك الاجتماعي فيها. كما هو الحال في فنلندا والنمسا.

وهنا نصل إلى مسألة لا بد من الإشارة إليها وهي أن ضغوط الحياة تعد السبب الرئيس في زيادة هذه المعدلات، فلقد وجد أن ضغوط الحياة تضعف

مصادر الإسناد الاجتماعي، ومن ثم تفرغ الحياة من معناها وتحولها إلى بؤس وشقاء، والحقيقة أن الإسناد الاجتماعي يعمد إلى إضفاء معنى لوجود الفرد في هذا العالم، ذلك أنه يجعل الفرد واثقًا من نفسه ومن الآخرين، فضلًا عن أن الإسناد يجعل الفرد على الدوام يعدل في خططه وأهدافه.

وبذلك كان الإسناد الاجتماعي الذي يقدم إلى الفرد يمنحه الأمل بأن يحقق بعضًا من أهدافه الحياتية، وبطبيعة الحال، إن دل ذلك على شيء، إنما يدل على أن الإسناد الاجتماعي يعمد إلى زيادة الروح المعنوية لدى الفرد إذ يجعله محبًّا للحياة متطلعًا إليها بتفاؤل، وبهذا المعنى يغدو فردًا باحثًا عن المعنى.

إن كل هذه الذي ذكرناه، يدل دلالة قاطعة على أن قدرة الإسناد الاجتماعي تمنح الفرد القوة في مواجهة الضغوط الحياتية، نشير في هذا السياق، إلى إحدى المذكرات التي كتبها أحد الأسرى الذين تم أسرهم في الحرب العالمية الثانية، إذ تشير هذه المذكرات، أن الأسرى في معسكرات الأسرى استطاعوا التغلب على المعاناة النفسية الشديدة الوطأة، تلك المعانة على المعاناة الناجمة عن تدهور الأوضاع الصحية وقلة الغذاء، فضلًا عن التهديد بالموت بين لحظة وأخرى، وذلك من خلال إيجاد معنى لوجودهم[١٥]. فلقد تمكنوا من خلال العلاقات السائدة بينهم؛ أن يخففوا المعاناة النفسية للأفراد الذين أهملوا أنفسهم وفقدوا الأمل في العودة إلى أوطانهم.

وما نريد قوله هنا: إن ازدياد ضغوط الحياة وفقدان مصادر الإسناد الاجتماعي، ربما تجعل الفرد يقدم على الانتحار، تخلصًا من آلامه ومعاناته اليومية.

### ٨- زيادة معدلات الطلاق

لا نغالي إذا قلنا: إن ضغوط الحياة غدت العامل الرئيسي في انفصام عرى العلاقة الزوجية، إذ تشير الإحصاءات، أن نسبة الطلاق من مجموع الزيجات،

ازدادت بدرجة كبيرة في البلدان التي أخذت تعاني من أزمات حياتية مختلفة، والجدول الآتي يوضح نسبة الطلاق من مجموع الزيجات في بلدان مختارة.

جدول رقم (٢)

يوضح نسبة الطلاق من مجموع الزيجات[١٦]

| البلد | النسبة المئوية للطلاق |
|---|---|
| لاتفيا | ٧١ |
| بلجيكا | ٦٨ |
| السويد | ٦٧ |
| روسيا | ٦٢ |
| فنلندا | ٥٩ |
| الجيك | ٥٧ |
| روسيا البيضاء | ٥٥ |
| أوكرانيا | ٥٤ |
| إنكلترا | ٥٣ |
| النرويج | ٥٣ |
| الولايات المتحدة | ٥٠ |
| كندا | ٤٩ |

يتضح من الجدول أن المجتمعات التي ازدادت فيها صعوبات الحياة، ارتفعت فيها معدلات الطلاق أكثر من تلك التي انخفضت فيها تلك الصعوبات، وإذا نحن تفحصنا العلاقة بين ضغوط الحياة والطلاق، وجدنا أن ثمة متغيرات وسيطة تتخلل هذه العلاقة، إذ تُعجل من وقوع الطلاق، ولعل من أبرز هذه المتغيرات: خروج المرأة إلى العمل، فلقد وجد أن خروج المرأة إلى العمل قد أسهم في إحداث بعض المشكلات الاجتماعية، ومن بينها: قلة

الاهتمام والرعاية بالأطفال، وصعوبة التوفيق بين مقتضيات العمل الوظيفي ومقتضيات المنزل والحياة الزوجية والسعي المتواصل للزوج إلى بلوغ بعض أهدافها الحياتية.

وبطبيعة الحال إن مثل هذه المشكلات قد تفضي إلى خلافات ومشاحنات بين الزوجين وربما تنتهي إلى القطيعة بينهما، وفي حال استمرار القطيعة قد يؤدي ذلك، إلى إحداث الطلاق، وأن ثمة أدلة تؤكد الرأي الذي ذهبنا إليه، فلقد أشارت إحدى الدراسات التي أجريت على النساء المتزوجات من العاملات وغير العاملات، إن الساعات التي تقضيها الزوجة خارج المنزل قد أضعف من عملية التوافق الزواجي، وعلى النقيض من ذلك، وجد أن الزوجة التي تصرف ساعات قليلة في عملها، ارتفع لديها التوافق الزواجي[١٧]، كما وجد أن الزوجات غير العاملات يتمتعن بتوافق زواجي أعلى من الزوجات العاملات[١٨].

واضح إن انتظام المرأة في عالم العمل، قد جعلها تشعر بالاستقلالية والاعتداد بالنفس، وأنها ليست أقل شأنًا من الرجل، بيد أن النجاح المهني والشعور بالاستقلالية، قد جعلها أكثر توافقًا في المجال المهني وأقل توافقًا في المجال الزواجي، مما أدى إلى ضعف العلاقات بين الزوجين، كما وجد أن الانشغال بمقضتيات الحياة، قد ولد عديدًا من الرغبات المتناقضة بين الزوجين، ولقد كان التناقض في الرغبات مبعثًا على الخلاف أو القطيعة، إذ إن كلًا منهما يحاول أن يبلغ أهدافه الحياتية دون أن يشبع الحاجات النفسية للآخر، وواقع الأمر إن كلًا منهما بحاجة إلى اهتمام ورعاية الآخر وتجاذب أطراف الحديث معه، وتجديد العهد بحبه وولائه له، بيد أن الانشغال بمقتضيات الحياة قد صرف كلًا منهما عن الاهتمام بالآخر، كذلك وجد أن الإحباطات الحياتية التي يواجهها أحد الزوجين أو كلاهما، ربما تكون مبعثًا على الخلاف أيضًا، وهذا يعود بطبيعة الحالة، إلى أن الخيبة والفشل التي تعرض

لها أحدهما قد تضعف المودة والتعاطف بينهما، وربما يفضي ذلك إلى الشقاق والقطيعة والكراهية، منذرة باحتمال انفصام عرى العلاقة الزوجية بينهما.

وإذن، فإن زيادة الأعباء الحياتية وما يترتب عليها من منغصات، قد تزيد من معدلات الطلاق.

**٩- زيادة معدلات الجريمة**

لقد أخذت معدلات الجريمة بالازدياد إثر تصاعد الأعباء الحياتية، وهنا نثير سؤالًا مؤداه، كيف تستثير ضغوط الحياة الجريمة؟

بقصد الإجابة على هذا التساؤل، نقول: إن الجريمة في العادة تستثار لدى الأفراد الذين يتمتعون بمستويات متدنية في الحكم الخلقي، بيد أن استثارة الجريمة أو التحريض عليها، يعتمد على توافر بعض العوامل، منها على سبيل المثال؛ ضغوط الحياة وما يرتبط بها من منغصات، وعلى ذلك، فإن اشتداد ضغوط الحياة وغياب الحلول الناجحة للتخفيف منها، قد يجعل أولئك الأفراد من ذوي الحكم الخلقي المتدني يرتكبون الجرائم، ووفقًا لهذا المنطق، تزداد معدلات الجريمة، ولا سيما لدى الأفراد من ذوي الحكم الخلقي المتدني، شريطة أن تكون الأحداث البيئية شديدة الوطأة.

**١٠- زيادة معدلات الإدمان على الكحول والمخدرات**

إن كثرة الضغوط التي يتعرض لها الفرد في حياته اليومية، ربما تبعث على الألم، فضلًا عن الإحساس باللاجدوى، وللتخلص من تلك الهموم، أخذ بعض الأفراد تعاطي كميات من الكحول أو المخدرات، هربًا من مواجهة مشكلاتهم الشخصية التي عجزوا عن إيجاد حلول ناجحة لها، ولقد أصبح تعاطي الكحول أو المخدرات وسيلة هروبية للتخلص من واقع اجتماعي مؤلم أو محبط، فكلما اشتدت وطأة الضغوط الحياتية مال الأفراد إلى تعاطي هذه المواد.

والحقيقة أن اشتداد الأزمات الحياتية مصحوبة بتقليل مصادر الإسناد الاجتماعي إلى جانب قلة أماكن الترفيه والتسلية، قد يضفي إلى زيادة تعاطي مثل هذه المواد، وأن ثمة شواهد واقعية تشير، إلى أن المجتمع الذي يمر بأزمات حياتية حادة يستهلك كميات كبيرة من المواد المسكرة أو المخدرة أكثر من أي وقت آخر، بل ويستهلك كميات كبيرة منها أكثر من مجتمعات أخرى تجري فيها الحياة بشكل هادئ، وعلى ذلك، فإن اشتداد الأزمات الحياتية وغياب السبل اللازمة للتخفيف منها، ربما يؤدي ذلك إلى لجوء بعض الأفراد إلى تعاطي المواد المسكرة أو المخدرة، هربًا من المشكلات التي أخذوا يعانون منها.

**١١- إحساس الشباب بالشيخوخة**

من الملاحظ أن اشتداد الأزمات الحياتية في المجتمع ربما تفضي إلى الإحساس بالإعياء والإنهاك إلى جانب تدهور الأحوال الصحية، ولا سيما لدى الفئات العمرية الشابة، وهذا يعود بطبيعة الحال، إلى أن هؤلاء أرهقوا بأعباء حياتية شتى، نذكر منها على سبيل المثال: الدخول إلى سوق العمل مبكرًا والإسهام في الإنفاق الأسري والحرمان من فرص مواصلة التعليم، فضلًا عن حرمانهم من فرص التمتع بمباهج الحياة في هذه المرحلة العمرية.

وكانت عاقبة ذلك، تدهور الصحة النفسية والبدنية. فلقد وجد أن الأفراد الذين تعرضوا لضغوط حياتية شديدة، أخذوا يعانون من اضطرابات نفسية وسيكوسومايتة[١٩]، تلك الاضطرابات التي أخذت تعبر عن نفسها بمظاهر سلوكية من قبيل: القلق، والاكتئاب، والحزن، والانطواء، والعزلة، وآلام في المعدة والاثنى عشر، واضطراب وظيفة القلب، وضيق في الصدر، وآلام في الأمعاء والقولون، وانسداد الشرايين وارتفاع الضغط وزيادة السكر في الدم، وما إلى ذلك. الأمر الذي يعني أن هذه الفئة أخذت تتعرض إلى الاحتراق من الداخل أو بلغة علم النفس: إنها تعرضت إلى الاحتراق النفسي Burn out واستمرار الاحتراق هذا، سيؤدي إلى استنزاف طاقة نفسية كبيرة،

ومن ثم الوصول إلى حالة من الإعياء والإنهاك، لذا فإن هذا الفئة العمرية التي تتمتع بالحيوية والنشاط بدت عليها علامات الشيخوخة مبكرًا، جراء تعرضها لضغوط شديدة يفوق درجة احتمالها.

### ١٢ - الحنين إلى الماضي بوصفه بعدًا زمنيًّا مفضلًا

لقد لوحظ بين الأفراد الذين يتعرضون إلى أزمات حياتية حادة ونكوصًا إلى الماضي والتغني بأمجاده وأيامه، بعد أن سئموا من الحاضر الذي لم يحمل لهم بشائر الخلاص المتمثلة بانتهاء الأزمات الحياتية المؤلمة، وأن ثمة شواهد واقعية تشير إلى أن الأفراد في نكوص دائم إلى الماضي، ذلك أن أحاديثهم في المجالس الاجتماعية و في الأماكن العامة أو في المواقف التي يحدث فيها تجمع جماعي، تسرد وقائع وأحداثًا حدثت في زمن مضى والانتهاء إلى إجراء مقارانات مع ما يحدث من وقائع في الحاضر، ثم بعد ذلك تنتهي مثل هذه المقارنات إلى تفضيل واضح للماضي ورفض الحاضر، على أن النكوص إلى الماضي عادة ما ترافقه عملية تزيين لوقائعه، وذلك بإخفاء عيوبه والمبالغة في حسناته[٢٠].

وبهذا المعنى، يتحول الماضي إلى عالم يوتوبي يجد فيه الأفراد إشباعًا لحاجاتهم النفسية، وما نريد قوله هنا: إن الماضي أصبح لهؤلاء الأفراد هو السعادة والهناء[٢١] أو الذكريات السارة وأصبح الحاضر هو الشقاء والتعاسة، ولعل العواقب المترتبة على ذلك، هو غياب التطلع إلى المستقبل، يعني فيما يعني، قطع الاتصال مع العالم وعدم القدرة على مجاراة أحداثه.

### أساليب التعامل مع ضغوط الحياة

يتضح من الفقرة السابق، أن ثمة آثارًا نفسية تترتب على اشتداد ضغوط الحياة، وبقصد التخفيف من هذه الآثار، فإن هناك عديدًا من الأساليب النفسية التي يلجأ إليها الفرد، بهدف بلوغ حالة التوازن الداخلي أولًا والتوافق مع العالم المتغير الذي يعيش بين ظهرانيه ثانيًا.

إذا نحن أجرينا حسمًا للأساليب السائدة في التعامل مع ضغوط الحياة، وجدنا أن ثمة نوعين رئيسيين، هما:

١- الأساليب النفسية للتعامل مع ضغوط الحياة.

٢- أساليب التوجيه والإرشاد الديني.

ولأجل معرفة هذه الأساليب ودورها في تخفيف ضغوط الحياة، سنفصل القول فيها على النحو الآتي:

**١- الأساليب النفسية للتعامل مع ضغوط الحياة**

تشير الأدبيات في هذا المجال إلى أن هناك عديدًا من الأساليب النفسية التي يتم من خلالها التعامل مع ضغوط الحياة ولعل من أبرزها:

- أسلوب الإسناد الاجتماعي.
- أسلوب الهروب والتجنب.
- أسلو التعامل الذي يستند على المشكلة.
- أسلوب التعامل مع المشكلة عن طريق المواجهة.
- أسلوب ضبط النفس.
- أسلوب لوم الذات.
- أسلوب إعادة تقدير الموقف.
- أسلوب تخفيض الحد الأدنى[٢٢].

ففي أسلوب الإسناد الاجتماعي، يتم تخفيف الضغوط التي يتعرض لها الفرد، عن طريق أساليب الإسناد التي تقدم إليه من مصادر مختلفة، ويمكن حصرها بالأسرة والأصدقاء والأقارب، فضلًا عن الآخرين الذين يحيطون به في المحيط الاجتماعي، وعلى ذلك، فإن الإسناد الاجتماعي الذي يقدم إلى الفرد أثناء تعرضه إلى أزمات حياتية، يساعد على تخفيف وطأة تلك الضغوط أو الأزمات، مما يؤدي إلى تخفيف توتره، ومن ثم استعادة توازنه الداخلي، وقد

يلجأ الفرد إلى أسلوب الهروب والتجنب، عند غياب مصادر الإسناد الاجتماعي، وذلك بالعمل على ترك المشكلة وهجرها، أي: تجنبها وعدم إثارتها، بل وقد يصل به الأمر إلى منع الآخرين من الحديث فيها أو الخوض في تفاصيلها، وذلك يرجع أساسًا إلى أن إثارتها يسبب له ألمًا وتوترًا، لذا فهو يسعى جاهدًا إلى الهروب منها، بقصد نسيانها، والحقيقة، أن هذا الأسلوب، ربما يساعد الفرد على تخفيف الضغوط التي يتعرض لها.

وقد يلجأ الفرد إلى الأسلوب الذي يستند على المشكلة، وذلك عن طريق التركيز على المشكلة بهدف الحد من آثارها السلبية، وبهذا المعنى، فإن جهود الفرد تنصب كلها على المشكلة التي أخذت تسبب له قلقًا، وربما يلجأ الفرد إلى أسلوب التعامل مع المشكلة عن طريق المواجهة، وذلك بتهيئة مستلزمات المواجهة، التي تقتضي فهم المشكلة والظروف المحيطة بها والإمكانيات الذاتية المتاحة للتغلب عليها، وقد يجد الفرد في ضبط النفس، أسلوبًا نفسيًّا يتمكن من خلاله، التعامل مع الأحداث الضاغطة، وذلك بالسيطرة على انفعالاته.

انطلاقًا من المقولة القائلة: إن الاتزان الانفعالي يمكِّن صاحبه من رؤية الأمور على حقيقتها؛ فالفرد الذي يتملكه الغضب، لا يتمكن في الواقع من الوصول إلى حلول ناجحة لمشكلة ما، ذلك أن الغضب يشتت الانتباه ومن ثم يشوه الإدراك، لذا، فإن ضبط النفس يعد أحد أساليب التعامل مع الضغوط، وربما يلجأ الفرد عندما يواجه ضغوطًا حياتية شديدة إلى أسلوب لوم الذات، وذلك بالإكثار من اللوم والتقريع لذاته، مدعيًا أنه السبب في الأحداث والمشكلات التي حصلت له، بقصد تخفيف وطأة تلك الضغوط عليه، وفي أسلوب إعادة تقدير الموقف إيجابيًّا، يلجأ الفرد إلى تقويم الموقف الضاغط الذي يتعرض له، ثم البحث بعد ذلك عن الخبرات السارة فيه، وبهذا المعنى يصبح تقويم الموقف من الناحية الإيجابية واحدًا من الأساليب النفسية في التعامل مع الضغوط.

وأخيرًا فإن أسلوب تخفيض الحد الأدنى يستند إلى حصر المشكلة ومحاولة التغلب عليها، فإن يلجأ هنا، إلى تخفيض آثارها السلبية إلى مستويات أدنى، بهدف الوصول إلى حالة من التوازن الداخلي، وتلك غاية أساليب التعامل مع الضغوط.

**٢- أسلوب التوجيه والإرشاد الديني**

يعد الدين أحد أساليب التعامل مع الضغوط الحياتية، ولا سيما في المجتمعات البشرية التي ترسخ فيها الدين إلى حد كبير، وفي الوقت نفسه غدا جزءًا من أطرها الحضارية كما هو الحال في المجتمعات الإسلامية، إذ يركز أسلوب التوجيه والإرشاد الديني، على زيادة إيمان الفرد بقدره ونصيبه في الدنيا وقبوله بحاله الراهن، بقصد تخفيف وطأة الضغوط التي يعاني منها، وعلى ذلك، فإن أسلوب الوعظ والإرشاد الديني، يعد من الأساليب الفاعلة في تخفيف المعاناة النفسية ولا سيما لدى الفرد الذي يتمتع بالتزام ديني، إذ يعرف من خلال الوعظ والإرشاد، أن ما يتعرض له من شدائد ومحن وضيق. إنما هو امتحان سماوي لصبره، وإن الصبر على المحنة والشدة التي يتعرض لها، سيجزي عليها ثوابًا في الآخرة، فلقد بشر الله -سبحانه وتعالى- الصابرين على المحنة والكرب بثواب عظيم، إذا قال في القرآن الكريم: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٥]، وفي قوله سبحانه -وتعالى- مخاطبًا المؤمنين في آية أخرى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] وهذا معناه استنادًا إلى الآية الكريمة، إن العسر والضائقة التي يرمون بها، لا بد أن تنتهي في يوم ما، وعلى المؤمنين الصبر، وأن ثمة مأثورات تتردد على ألسنة المسلمين مفادها: إن الله إذا أحب قومًا ابتلاهم، وبهذا المعنى فإن الابتلاء بالكرب أو الضائقة أو المحنة، إنما هو خير من الله وسيجزى المؤمنين عليه ثوبًا أخرويًّا، وبذلك يغدو الخطاب الديني الذي يستند إلى القرآن الكريم وسنة النبي إسلوبًا فاعلًا في التعامل مع الضغوط الحياتية.

## الهوامـــش

(1) Glass.D.C. and Singer. J.E-urban stress: Experiments on noise and social stressors. (New York: Academic press, 1972). P. 5.

(٢) أبو النيل. محمود السيد وزيور مصطفى، الأمراض السايكوسوماتية: الأعراض الجسمية النفسية المنشأ، دراسات عربية وعالمية، ط١ (القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٩٨٤). ص ٢٠.

(3) Doherenwend. B.S. social status and stressful life events. Journal of personality and social psychology. Vol. 28, No. 2. 1973, P. 230 Krantz, D.S. and Raisen, S.E.

Environmental stress, reactive and ischaemic heart disease. British Journal of Medical psychology, Vol. 61, part 1, 1988. p. 5.

Hultsch, D. and Deutsch, F. Adult development and Aging: A life – span perspective. (New York: McGrow – Hill Book company, 1981) p. 239.

(4) Wrightsman. L.S. and san ford. F.H. psychology: Ascientific stydy fo Human behvior. 4th ed. (California: Brooks/ cole publishing company, Monterey, 1975) p. 340.

(5) Sarason, I.G. Test anxiety, stress, and social support. Journal of personality. No. 1, 1981, p. 101.

(6) Holahan. C.J. and Moos. R.H. social support and psychological distress: Alongitudianal analysis. Journal of Abnormal psychology, No. 4, 1981, P. 365.

(٧) حسن، محمود شمال، النسق القيمي وخطاب الأزمة الاقتصادية، بحث مقبول للنشر في مجلة المستقبل العربي ٢٠٠٠.

حسن، محمود شمال. صغار في أزمة. بحث ألقي في المؤتمر العلمي الأول الذي نظمه مكتب الاستشارات النفسية في مركز البحوث النفسية بوزارة التعليم العالي. وذلك

في بغداد للفترة ٢٤-٢٦ تشرين الثاني، ١٩٩٨.

(8) Smith, D.M. Human Geography. (London: Edward Arnold, 1977), p. 29.

(٩) حسن، محمود شمال، وضعيات السلوك البشري أثناء وقوع الكارثة وما بعدها الموقف الثقافي العدد ٢٤ (تشرين الثاني/ كانون الأول)، ١٩٩٩، ص ٣٦-٣٧.

حسن، محمود شمال، ضغوط الحياة وعلاقتها ببعض المتغيرات، بحث ألقي في المؤتمر العلمي الثاني عشر لكلية الآداب – الجامعة المستنصرية، وذلك في بغداد للفترة ٢٤-٢٥ نيسان، ٢٠٠٠.

(١٠)صالح عبد المحسن، الإجهاد والتوتر، العربي (الكويت)، العدد ٢٤١، ١٩٧٨، ض ٦٥.

(١١) المصدر نفسه، ص ٦٥.

(12) Holding, D.Fatigue. in: Hockey, R. (E d) Stress and Fatigue in human performance (chichester: John Wiley, 1983). P. 143.

(13) Keinan, G. Decision, Making under stress: scanning of alternatives under controllable and uncontrollable threats, Journal of personality and social psychology. Vol. 52. No. 3, 1987, p. 641-642.

(١٤)برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨، (نيويورك، اكسفورد: مطبعة جامعة اكسفورد، ١٩٩٨) ص ١٩٥.

(١٥)فرانكل. فكتور، الإنسان يبحث عن المعنى، ترجمة طلعت منصور، ص ١٠ (الكويت: دار القلم، ١٩٨٢)، ص ١١١.

(١٦)برنامج الأمم المتحدة الإنمائي، تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٨، المصدر السابق، ص ١٩٥.

(١٧)الدوري، سافرة سعدون، التوافق الزواجي لدى المرأة العاملة وغير العاملة: دراسة مقارنة. (بغداد: جامعة بغداد رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٧)، ص ١١٨.

(١٨)المصدر نفسه، ص ١١٩.

(١٩)حسن، ٢٠٠٠. النسق القيمي وخطاب الأزمة الاقتصادية، المصدر السابق.

obeikandl.com

(٢٠)حجازي، مصطفى. التخلف الاجتماعي: مدخل إلى سايكولوجية الإنسان المقهور، ط١. (بيروت: معهد الإنماء العربي، ١٩٧٦)، ص ١٦٢.

(٢١)المصدر نفسه، ص ١٦٢.

(22) Holahan: C.J. and Moos, R. H. personality. Coping and Family resources in stress resistance: Alongitudinal analysis. Journal of personality and social psychology. Vol. 51, No. 2, 1986, p. 389-395.

Holahan. C.J. and Moos. R. H. personal and contextual determinants of coping stratigies.

Journal of personality and social psychology. Vol. 52. No. 5, 1987, p. 946-955.

obeikandl.com

obeikandl.com

## إشاعة القلق من المستقبل
## بين الشباب المتخرجين من الجامعات

**مقدمة**

إن ظروف التغير الاجتماعي التي تمر بها المجتمعات البشرية، قد تستثير قلق المستقبل لدى أفرادها المتمثل بالتوجس والخوف والتوتر مما تخفيه الأيام المقبلة، الأمر الذي يدعو الأفراد إلى إعادة النظر بخططهم وأهدافهم الحياتية بما ينسجم وظروف التغير من جانب والتكاليف المترتبة على هذا التغير من جانب آخر. وآية ذلك، يبقي التغير الاجتماعي الذي يحدث في ظروف تتسم بعدم الاستقرار والاضطراب باعثًا على زيادة القلق من المستقبل، والدراسة الحالية هي محاولة للكشف عن مستوى قلق المستقبل والمتغيرات المساهمة فيه.

**أولًا: الخلفية النظرية لقلق المستقبل**

لا بد من التسليم ابتداءً بأن قلق المستقبل يُستثار بفعل عوامل اجتماعية ثقافية، وهذا معناه تدهور الأوضاع داخل المجتمع، قد تستثير التوجس والخوف من الأيام المقبلة التي ستعمد على تغيير أهداف الفرد الحياتية، فضلًا عن أن استمرار حالة الاضطراب وعدم الاستقرار داخل المجتمع ستقلل من فرص الحراك الاجتماعي (Social Mobility) ولا سيما الحراك الاجتماعي الصاعد، بل إن الأمر سيزيد من فرص الحراك الاجتماعي النازل؛ أي انتقال الفرد من مهنة ذات مكانة عالية إلى مهنة ذات مكانة واطئة، فيترتب على ذلك تدهور دخله الاقتصادي وفقدان بعض الممتلكات الشخصية، وعلى ذلك فإن استمرار حالة الاضطراب وعدم الاستقرار داخل المجتمع، ستستثير الخوف والتوجس من الغد الآتي الذي قد يحمل المزيد من التدهور.

وللتعرف على طبيعة المناخ الاجتماعي المهيأ لحالة القلق من المستقبل، فإننا نكتفي هنا بتسليط الأضواء على أشكاله السائدة في المجتمع العربي.

١- ضغوط الحياة

إن زيادة الأعباء أو الصعوبات التي يواجهها الفرد في الحياة ستجعله أكثر تشاؤمًا، أو قل: إن زيادة أعباء الفرد في الحياة ستجعله يُغير نظرته إلى الحياة، وبالتأكيد إن هذه النظرة ستتسم بطابع سوداوي أو تشاؤمي، والنظرة التشاؤمية إلى الحياة ستزيد من خوفه وتوجسه من المستقبل الذي قد يحمل الكثير من الآلام استنادًا إلى خبرة الحاضر المؤلمة، وعلى ذلك فإن زيادة الضغوط التي يتعرض لها الفرد يوميًّا ستزيد من قلقه من المستقبل على أساس أن أحوال المجتمع آخذة بالتدهور، وليس هناك ما يُبشر بإصلاح الحال.

ويكفينا هنا أن نعرض بعض المؤشرات الدالة على ضغوط الحياة، لعل من أبرزها:

أ- أزمة السكن

أصبح واضحًا أن الفرد أخذ يشعر بندرة التغيرات الاجتماعية الاقتصادية التي شهدها المجتمع العربي في الآونة الأخيرة، وذلك يرجع أساسًا إلى ارتفاع أسعار الأراضي مع زيادة تكاليف البناء، وقد انعكس ذلك على ارتفاع أسعار الإيجار للمساكن أو الوحدات السكنية، ومما زاد من حدة المشكلة أن ثمة طلبًا متزايدًا على الوحدات السكنية أو الأراضي من المهاجرين من الأرياف إلى المدينة، ورافق ذلك زيادة توجه الأفراد من الشباب إلى الاستقلال بوحدات سكنية عن الأسرة الممتدة، وهو أحد العوامل التي ساهمت في خلق الأزمة.

كما أن تحسن الأحوال الاقتصادية لبعض الأفراد قد جعلهم يطلبون المزيد من الوحدات السكنية ادِّخارًا للمستقبل، كل ذلك ساهم بطريقة أو بأخرى في خلق أزمة على مستوى الإسكان، وبطبيعة الحال فإن استمرار هذه الأزمة وغياب الحلول من جانب المؤسسات المعنية أو عدم اكتراثها بالأمر سيجعل القسم الكبير من الشباب في حالة عزوف عن الزواج وعدم الارتباط

مع الآخر لتكوين الأسرة، وعند استمرار حالة العزوف عن الزواج، ولا سيما من جانب الذكور ستزيد نسبة غير المتزوجين، وسيترتب على ذلك بروز بعض الأنماط السلوكية غير المقبولة اجتماعيًّا، من بينها: شيوع الانحراف من كلا الجنسين، وقد يفضي ذلك إلى حالة من حالات البغاء على مستوى الإناث بقصد إشباع الحاجة إلى الجنس، وستزداد جراء ذلك حالات القتل من كلا الجنسين، بسبب الأعراف العشائرية التي تحاول أن تقتص من الطرفين.

لا ندعي أن الإسكان يوفر الحماية اللازمة لهذه الفئة من المجتمع من أن تنحرف، ولكننا نقول: إن الإسكان أو توفير الوحدات السكنية لهذه الفئة قد يساهم بدرجة معينة في حمايتها من الانحراف.

**ب-ارتفاع الأسعار مع ثبات الدخول**

من اللافت للانتباه أن الدخول في المجتمعات المأزومة تحافظ على ثباتها رغم تصاعد الأسعار، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى زيادة نسبة الفقراء نتيجة تصاعد نسبة التضخم وتخلي الحكومات عن دعم بعض المواد الأساسية، وقد أثر ذلك في بعض الفئات الاجتماعية، ولا سيما فئات الدخل المحدود نتيجة عدم مواكبة دخولهم للزيادات الحاصلة في الأسعار.

ومما زاد من سوء حال هؤلاء أنهم يعيشون في أسر كبيرة الحجم، والواقع أن حجم الأسرة الكبير سيترتب عليه زيادة معدل الإعالة، فالفرد الواحد القادر على العمل سيعيل بدوره عددًا من الأفراد، ولو أجرينا مسحًا لمعدل الإعالة السائد في عدد من البلدان العربي التي تعاني الأزمات في الوقت الحاضر نجد أن معدل الإعالة في العراق مثلًا، قد بلغ ٣.٥ أشخاص[١]، وهذا يعني أن على الفرد القادر على العمل أن يعيل ٢.٥ من الأشخاص، فضلًا عن إعالة نفسه[٢] في ظروف تشهد ارتفاعًا مستمرًّا في الأسعار.

ولمواجهة حالة الارتفاع الحاد في الأسعار، فإن الأفراد يلجئون في العادة إلى بيع بعض ممتلكاتهم الشخصية، أو البحث عن عمل إضافي بعد أوقات الدوام الرسمي أو الاضطرار بزجِّ بعض الصغار[٣] من الأطفال والأحداث في سوق العمل لسد النقص الحاصل في الدخول، وإزاء ما يحدث من اضطراب الأحوال الاقتصادية داخل التنظيم الاجتماعي وغياب المعايير في تنظيمها نتوقع أن تشيع اتجاهات سلبية لدى الأفراد، وقد يفضي ذلك إلى إطلاق الصور النمطية على القيادات والنظام الاجتماعي والأفراد والمؤسسات الاجتماعية عمومًا.

والأخطر من ذلك أن استمرار الأفراد بإطلاق الصور النمطية، سيؤدي بطبيعة الحال إلى غياب الجديَّة في العمل، وسيقلل بالتالي من فرص الإبداع، وبالمحصلة النهائية إن استمرار إطلاق الصور النمطية سيؤدي إلى التباطؤ في تنمية المجتمع.

**ج- غياب العدالة التوزيعية**

من المسَلَّم به في أدبيات علم النفس الاجتماعي أن العدالة التوزيعية (Distributive Justice) تتأثر بنوع التغير الاجتماعي الذي يمر به المجتمع، وفي العادة فإن المجتمعات البشرية تمر بنوعين من التغيرات الاجتماعية: أحدهما يُسمى بالتغير الاجتماعي المنتظم، والآخر يُسمى بالتغير المنفلت[٤].

فالتغير المنتظم نعني به هنا التغير الذي يكون محكومًا بضوابط أو بمعايير محددة تُؤهل الفرد للانتقال من مكانة اجتماعية أدنى إلى مكانة اجتماعية أرفع، وعلى ذلك فإن الفرد الذي يحصل على ترقية وظيفية إنما يحصل عليها بعد انطباق معايير الترقية الجديدة عليه، وهي على سبيل المثال: شهادته العلمية، وخبرته الوظيفية، وأداؤه الوظيفي، إذ إن هذه المعايير هي التي ساهمت في ترقيته، وبالتالي انتقاله إلى مكانة اجتماعية أرفع، وعلى العكس من هذا ما

يحدث في التغير المنفلت، إذ إن هذا التغير لا تحكمه الضوابط أو المعايير عند الانتقال من مكانة اجتماعية إلى أخرى، بل إنه يتأثر إذا جاز لنا القول بالمحسوبية والمنسوبية، وعلى ذلك فإن الفرد الذي يحصل على ترقية وظيفية، إنما يحصل عليها استنادًا إلى علاقته بمتخذ القرار وكونه مواليًا له ومحسوبًا عليه، أما مسألة الكفاءة والخبرة الوظيفية، فلا يؤخذ بها في المجتمع الذي يمر بمثل هذا النوع من التغير.

وتأسيسًا على ما سبق نجد أن العدالة التوزيعية تُعد إحدى خصائص المجتمع الذي يحدث فيه على الدوام تغير منتظم، والحقيقة أن هذا النوع من التغير يتيح للأفراد عمومًا فرصة التباري من أجل بلوغ الامتياز، ومما له دلالة في هذا الصدد أن المجتمع الذي يتميز أفراده بالتباري من أجل بلوغ الامتياز هو مؤشر له دلالة واضحة بكونه مجتمعًا منجزًا أو من المجتمعات المتوجهة نحو الإنجاز(٥)، في حين أن غياب العدالة التوزيعية عن المجتمع الذي يحدث فيه على الدوام التغير المنفلت يغدو أمرًا متوقعًا، وتعد واحدة من الخصائص الدالة عليه.

وما يهمنا هو أن غياب العدالة التوزيعية على نطاق واسع في المجتمع سيترتب عليه آثارًا نفسية واجتماعية، لعل من أبرزها:

١- ضعف الاندماج الاجتماعي بين الفئات الاجتماعية التي يضمها المجتمع، وذلك من خلال هيمنة بعض الفئات الاجتماعية التي تتمتع بالجاه والنفوذ على فئات أخرى، وبذلك تنشأ حالة من العداء بين تلك الفئات، وخطورة ذلك أن المجتمع عندما يمر بأزمة ستكون الأجواء مهيأة للهياج الجمعي، وبالتالي التمرد على النظام الاجتماعي وإشاعة حالة من الفوضى والتخريب.

ومجتمعنا العربي يحفل بالكثير من هذه الأنماط السلوكية، غير أن غياب الظروف المهيأة لها هي التي تجعلها مستترة أو كامنة.

ففي المجتمع اللبناني، وقُبيل الحرب الأهلية التي شهدها في السبعينات كان المناخ الاجتماعي مُهيَّأ لحالة الاقتتال والتمرد على النظام الاجتماعي، إذ إن زيادة معدلات البطالة، وارتفاع الأسعار، وغياب العدالة التوزيعية على مستوى الأفراد ومناطق المجتمع عمومًا، مع إحساس الأفراد بالظلم والغبن والحرمان[٦] قد أدت كلها إلى تراكم الإحباط، غير أن إشهار السلاح من القلة القليلة في المجتمع كان بمثابة الإشارة (Cue) للتحريض على الاقتتال، إذ وجد الشباب ولا سيما المحبطين منهم إشهار السلاح تنفيسًا عن حالة القهر والحرمان، كما وجدوا في الخروج على النظام الاجتماعي تعويضًا من حالة التسلط والقهر التي عانوها في الأسرة والمجتمع.

٢- إن غياب العدالة التوزيعية سيضعف من عملية الإبداع في المجتمع على أساس الانطباع الذي سيكونه الفرد لاحقًا بمساواة الإنسان المبدع بنظيره العادي، سواء في المكانة الاجتماعية أو في الأجور التي يتقاضاها كلٌّ منهما، مما يؤدي بمرور الوقت إلى عزوف الصغار عن مواصلة الدراسة، وسيفضي ذلك إلى إشاعة الأمية، والأخطر من ذلك أن عزوف الصغار عن مواصلة التعليم، سيحرم المجتمع من تهيئة الكوادر اللازمة في قطاعاته المختلفة، بعد أن تهرم الكوادر الحالية وتشيخ، الأمر الذي سيضع المجتمع على شفا كارثة، ألا وهي: إفراغ المجتمع من ذوي المهارات العلمية.

٣- من النتائج المترتبة على غياب العدالة التوزيعية، اضطراب التراتب الاجتماعي (Social Stratification). ونقصد بالتراتب الاجتماعي هنا، المكانة الاجتماعية التي يحتلها الفرد داخل التنظيم الاجتماعي وفقًا لمعايير الكفاءة، والجهد المبذول، والشهادة، إلى غير ذلك، وعند غياب العدالة التوزيعية التي

يتقرر بموجبها احتلال الفرد لمكانة اجتماعية معينة، تنهار بذلك النظم والقوانين ويتهدد التماسك الاجتماعي، وتأسيسًا على ذلك فإن التغير المنفلت يقرر المكانة الاجتماعية التي يحتلها الفرد بموجب مؤشرات أخرى لا علاقة لها بشرط الكفاءة، أو الجهد المبذول، أو الشهادة، بل إن المكانة الاجتماعية تتقرر استنادًا إلى عائدها الاقتصادي.

وعلى سبيل المثال لا الحصر، يحتل الأستاذ الجامعي الترتيب (٤) في قائمة المهن من حيث المكانة الاجتماعية بينما يحتل الترتيب (٢٥) في القائمة ذاتها من حيث المكانة الاقتصادية[٧]، ولو عقدنا مقارنة بينه وبين مهنة أخرى أقل مكانة، لوجدنا شيوع حالة من الاضطراب والفوضى في التراتب الاجتماعي، بدليل أن المطرب وهو أقل مكانة في قائمة المهن، احتل الترتيب (٧) في المكانة الاقتصادية، بينما يحتل الترتيب (٧٤) في المكانة الاجتماعية[٨] ويغدو لا منطقيًا أن يتغلب الثاني على الأول بمكانته الاقتصادية، بعد أن تراجعت مكانة الأول الاجتماعية التي أصبحت بدورها لا تؤهله لأن يكون من أهل الجاه والحظوة.

من ذلك، نخلص إلى القول: إن غياب العدالة التوزيعية على نطاق واسع داخل التنظيم الاجتماعي، سترتب عليه آثارٌ نفسية واجتماعية، لعل في مقدمتها: ضعف الاندماج الاجتماعي، وتثبيط حالات الإبداع، فضلًا عن اضطراب التراتب الاجتماعي.

**د- قلة فرص العمل لخريجي الجامعات والمعاهد**

إن الحديث عن قلة فرص العمل التي أخذ يعانيها المتخرجون في التعليم العالي[٩] هو في الواقع حديث عن قبول كَمٍّ هائل من الطلبة وباختصاصات مختلفة دون مراعاة الحاجة الفعلية لسوق العمل، ولا سيما أن سوق العمل في المجتمع العربي عمومًا يعاني في الوقت الحاضر ضآلة إمكانياته في استيعاب هذه الأعداد الكبيرة التي بدأت بالتخرج من الجامعات، مما يؤدي بمرور

الوقت إلى تشغيل القليل منهم في الوظائف، ولا سيما أولئك المتخرجون من الاختصاصات المهنية.

ولعل الأسباب التي أدت إلى أن تكون هناك شحة في سوق العمل: وجود قيادات غير متحضرة في إدارة المؤسسات المسئولة عن الخدمات والإنتاج، وغياب الخطط والبرامج اللازمة لاستحداث وظائف جديدة، وهذا يعني أن هذه القيادات لا تدرك أن تقادم الزمن يعني استحداث وظائف جديدة لم تكن موجودة سابقًا، وعلى ذلك، فإن التغيرات التي تحدث في المجتمع هي التي تظهر مثل هذه الوظائف، فتصبح الحاجة قائمة إليها، عل سبيل المثال لا الحصر، لم تكن الحاجة إلى الكمبيوتر قائمة في الستينات وحتى السبعينات، غير أن شيوع استخدام هذه الآلة في أعمال المؤسسات كافة في فترة الثمانينات والتسعينات على وجه الخصوص، أوجد الحاجة إليها، فأدخلت إلى المؤسسات، مما أوجد وظائف جديدة لهذه الآلة، وليست وظيفة واحدة نذكر منها: مشغل الآلة، ومبرمجها، والقائم على تصليحها عند تعطلها، وآخر تقتصر مهمته على إدخال البيانات فيها ومعالجتها، وبذلك فإن جهود الأفراد هي التي أوجدت مثل هذه الوظائف، وليست القيادات الإدارية.

ومن العوامل الأخرى التي أدت إلى صعوبة استيعاب الباحثين الجدد عن الوظائف أن مؤسسات العمل ما زالت تعمل بطريقة نمطية رتيبة، بحيث أصبحت طاردة لهؤلاء الباحثين أكثر من كونها جاذبة، فضلًا عن سيادة المحسوبية والمنسوبية في إدارتها مما جعلها مؤسسات تكاد تخلو من الجدوى الاقتصادية والاجتماعية لعموم المجتمع.

وثمة عوامل أخرى تتعلق بالمؤسسات التربوية ذاتها، فهذه المؤسسات نتيجة عدم أخذها بنظر الاعتبار الحاجة الفعلية لسوق العمل على مستوى الاختصاص الواحد، صار لديها فائض في أعداد المتخرجين في الاختصاص

الواحد، وبطبيعة الحال قد ترتب على ذلك زيادة عدد هؤلاء الذين لا يجدون فرصة عمل، ومع استمرار هذه المؤسسات بتخريج أعداد كبيرة منهم، بدأنا نشهد البطالة بصورة لافتة للنظر، إذ لم تكن هناك اختصاصات يستوعبها سوق العمل، وأخرى لا يستوعبها، بل إن الاختصاصات جميعها باستثناء الطب تكاد تشهد حالة بطالة لأصحابها.

وعلى ذلك فإن قلة فرص العمل تكاد تكون حالة مميزة لهذه الفئة الاجتماعية، والدليل على ذلك، أن البيانات الرسمية أوردت إحصاءات عن نسبة البطالة في بعض أجزاء المجتمع العربي، فلقد أشارت هذه الإحصاءات إلى أن نسبة البطالة في كل من الجزائر، وتونس، وفلسطين، واليمن اقتربت من ٢٠ بالمائة[١٠]، بينما زادت نسبتها إلى ١٥ بالمائة في كل من مصر، والمغرب[١١]، وبقية البلدان العربية الأخرى لا تقل البطالة فيها بين صفوف شبابها عن هذه النسبة.

وعند مقارنة نسبة البطالة في المجتمع العربي مع نسبتها في البلدان الأخرى ومنها البلدان الصناعية، يتبين أن هذه النسبة بلغت ٥.٦ بالمائة بين صفوف الشباب[١٢]. ويدل هذا بما لا يدع مجالًا للشك على أن ثمة خللًا واضحًا في النظام التربوي، إذ لولا وجود هذا الخلل لأصبحت نسبة البطالة بمستوى المعدلات العالمية أو تزيد قليلًا،وآية ذلك أن ارتفاع هذه النسبة مؤشر ينبئ بالخطر على الصعيد الاجتماعي، مما يجعلنا نخشى عواقبه مستقبلًا، ويكفينا في هذا السياق أن نستعرض بعض العواقب المترتبة على زيادة البطالة بين صفوف الشباب:

١- إن زيادة البطالة في صفوف الشباب من حملة الشهادات قد يستثير لديهم إحساسًا بالظلم والغبن، وقد يفضي ذلك إلى الإحباط عندما تطول فترة البطالة، الأمر الذي يعني أن إلحاق الأذى أو الضرر بالآخرين، يغدو من

الأمور المتوقعة عندما تسنح الفرصة لهذه الفئة أن تظهر العدوان.

٢- ومما يخشى منه أن طول فترة البطالة قد تشعر هؤلاء بالهامشية، وأن الشهادات التي حصلوا عليها قد ذهبت أدراج الرياح، الأمر الذي يهيئ هؤلاء للاعتقاد بأفكار متطرفة عن مختلف شئون الحياة، وربما تجد بعض الحركات السياسية ما يحقق لها أهدافها لدى هذه الفئة المقهورة، إذ تبدأ بإيصال رسائل إقناعية تنطوي على أخطاء النظام الاجتماعي والظلم الذي يرتكبه بحق الأفراد بقصد تنمية التطرف في استجابات هؤلاء لكي تحولهم في نهاية المطاف إلى أفراد قادرين على ارتكاب العنف ساعة تشاء هذه الحركة أو تلك.

وثمة أدلة وشواهد تشير إلى أن كثيرين من الذين انخرطوا في صفوف الحركات السياسية لم ينخطروا فيها اعتقادًا أو إيمانًا بتوجهاتهم الأيديولوجية، بل بقصد إلحاق الأذى بأولئك الذين كانوا سببًا في بؤسهم ومعاناتهم.

٣- وبسبب الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها هؤلاء الشباب، يصبح من السهل عليهم الاشتراك في الهياج الجمعي عندما يمر المجتمع بأزمات اقتصادية أو عسكرية، وبطبيعة الحال، فإن الاشتراك في الهياج الجمعي يتيح لكل الساخطين على النظام الاجتماعي فرصة إلحاق الأذى أو الضرر بالمؤسسات أو بالأفراد، وعند ذاك سيدخل المجتمع في دوامة الصراع الدامي.

وتأسيسًا على ما سبق فإن زيادة الضغوط، ستشيع بين الأفراد حالة قلق من المستقبل، مما سيؤدي بالأفراد إلى البحث عن بدائل لتخفيف هذا القلق، وستكون هذه البدائل متعددة استنادًا إلى عوامل كثيرة لعل من أبرزها: المستوى الاجتماعي والاقتصادي للفرد، والجنس، والمهنة التي يزاولها، والثروة الشخصية التي يمتلكها، والإسناد الاجتماعي الذي يقدم إليه، إذ إن مثل هذه

العوامل ستحدد نوع البديل الذي سيتخذه لتخفيف قلقه من المستقبل.

وفي العادة إن الأفراد من ذوي المستوى الاجتماعي والاقتصادي العالي سيتخذون من الهجرة وتصفية بعض الممتلكات الشخصية أسلوبًا للتخفيف من قلق المستقبل، بينما سيتخذ الأفراد من ذوي المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتدني من زيادة الكدح اليومي فرصة لتحسين الحال، وهو بطبيعة الحال يُعد أسلوبًا من أساليب التخفيف من قلق المستقبل، وجنس الفرد يعتمد هو الآخر على المستوى الاجتماعي والاقتصادي، فالمرأة من المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتدني يكاد ينخفض لديها الإحساس بالقلق من المستقبل، بسبب قلة خبرتها الثقافية؛ ولأن همها الأول والأخير يقتصر على تحصيل الرزق، وتدبير المعيشة، والمحافظة على أفراد أسرتها، أما الرجل من المستوى ذاته فيكاد يشارك المرأة في تطلعاتها وطموحاتها، وبالتالي فإن القلق من المستقبل يكاد ينخفض لديه.

والأفراد من المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتوسط والعالي ومن كلا الجنسين، يكاد يرتفع لديهم الإحساس بالقلق من المستقبل، وذلك يعود أساسًا إلى أنهم يتمتعون بخبرات ثقافية فنية على أحوال شئون المجتمع، مضافًا إليها المكانة الاجتماعية التي يتمتعون بها.

وعندما نتحدث عن الإسناد الاجتماعي، سنجد أن الشخص الذي يتلقى المزيد منه، ستقل الضغوط التي يعانيها[١٣]، وبالتالي ينخفض لديه قلق المستقبل، وذلك بسبب أن زيادة مصادر الإسناد الاجتماعي ستجعله يشعر بالأمان والطمأنينة، فضلًا عن أن كثرة مصادرة الإسناد ستجعله يندمج مع الجماعة، الأمر الذي يخفف من وطأ إحساسه بالقلق من الأيام المقبلة.

كذلك فإن مهنة الفرد وثروته الشخصية، ستكون من العوامل المساهمة

في زيادة حدة القلق من المستقبل، فالفرد الذي يتمتع بمهنة راقية المستوى وثروة شخصية يكاد يحسد عليها، سيكون أكثر قلقًا من المستقبل من أولئك الذين يتمتعون بمهنة ذات مكانة متدنية أو تكاد تكون عادية، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى أن الفرد يحاول أن يحافظ على المنجزات الشخصية التي حققها في فترة ما، والتي أضحى من خلالها يعيش في بحبوحة من العيش، غير آبه بعسر الحياة، لذا فإن بقاء حالة الاضطراب في المجتمع ستجعله أكثر توقعًا لتدهور الأحوال مستقبلًا، ويترتب على ذلك أن يكون أكثر توجسًا وخوفًا وسيفضي به الأمر إلى أن يتخذ لنفسه بديلًا مناسبًا يضمن له السلامة.

**٢- وسائل الاتصال الجمعية**

تعرض قنوات الاتصال الجمعية، ومنها على وجه الخصوص التلفزيون، أن الشباب المتخرجين في الجامعات والمعاهد في الثقافات الأخرى يعيشون في بحبوحة من العيش دون أن يواجهوا أية أزمة حياتية، إن ذلك بطبيعة الحال سيهيئ هؤلاء للإعجاب والانبهار بمنجزات الغير[١٤]، وفي الوقت ذاته سيزيد من حسرته عند مقارنة حال أولئك بحالهم، هذا يعني أن قنوات الاتصال الجمعية ستستثير القلق لدى هؤلاء الشباب عندما يعرض أقرانهم في الثقافات الأخرى وهم ينعمون بفرص عمل أو يتمتعون بمباهج الحياة، فيترتب على ذلك الإحساس بعدم الأهمية والضآلة، وإبداء المزيد من الندم والحسرة على مواصلة التعليم.

والأخطر من ذلك أن التلفزيون في بعض برامجه يعرض بعض الفئات الاجتماعية التي كانت تعيش على هامش الحياة الاجتماعية، وقد أصبحت في عداد الأثرياء عندما استخدمت أساليب الحيلة والخديعة مع الآخرين، وكأنه يوحي بنقل رسالة اتصالية فحواها أن النجاح في الحياة يمر عبر استخدام مثل هذه الأساليب، الأمر الذي يوحي للكثيرين من الشباب الذين يواصلون الدراسة بهجرها لعدم جدواها.

نقول: إن رسائل الاتصال الجمعية بحكم رسائلها الاتصالية قد تشير لدى الأفراد حالة قلق من المستقبل، ولا سيما لدى أولئك الذين هم على أبواب التخرج بشكل خاص، والمتخرجين في الجامعات بشكل عام.

وصفوة القول، لقد أظهر لنا المناخ الاجتماعي السائد ثمة منبهات تستثير القلق حول المستقبل لدى هذه الفئة، وهذا يعني أن هذه المنبهات قد تهيئ الشباب لاستثارة هذا النوع من القلق، ولكن تبقى ثمة أسئلة لا تزال تنتظر الإجابة، وهي:

**ما هو التفسير النفسي لهذه الظاهرة؟ وهل بإمكاننا التخفيف من حدتها؟ ومتى؟**

هذه الأسئلة ستجيب عنها نظرية التناشز المعرفي التي نعتقد أنها مناسبة لتفسير الظاهرة قيد الدراسة.

**نظرية التناشر المعرفي في تفسير قلق المستقبل**

إن الفكرة التي تنطلق منها نظرية التناشز المعرفي (Cognitive Dissonance) هي أن هناك تعارضًا أو تناقضًا بين المعتقدات التي يحملها الفرد، وبين السلوك الذي يصدر عنه، وعادة ما يؤدي التعارض أو التناقض إلى إحداث حالة من التوتر وعدم الارتياح[١٥].

ونستطيع القول استنادًا إلى فكرة النظرية: إن قلق المستقبل يُستثار بفعل التناقض الحاصل في مدركات الفرد أو في الجوانب المعرفية لديه، وبذلك فإن الفرد الذي يتمتع بمؤهلات معينة، سيضع لنفسه مكانة تنسجم وطبيعة مؤهلاته هذه. وبمقتضى ذلك يتوقع الفرد الحاصل على شهادة البكالوريوس أن ينال من المجتمع الاحترام، والتقدير، والجاه، والمكانة اللائقة، والأجر المناسب وفقًا للاعتبارات التي تؤهله إياها شهادته، غير أن الواقع الاجتماعي

قد يكون مخالفًا لتوقعاته، إذ إن هناك الكثير من العاطلين عن العمل يحملون مؤهلاته نفسها، وينالون عدم الاحترام والتقدير من المجتمع ويعانون الكثير من المنغصات، الأمر الذي يعني أن معتقداته التي يحملها عن الواقع ستكون متناقضة، مما يقوده إلى الإحساس بالإحباط، وبالتالي إلى زيادة توتره.

وإذن فإن قلق المستقبل استنادًا إلى هذه النظرية هو حالة عدم اتساق في مدركات الفرد، ولما كان كذلك، فإن حالة التوتر وعدم الارتياح تظل ملازمة للفرد حتى يصبح ثمة اتساق في مدركاته[١٦]. وعند ذاك يخف التوتر ثم يستعيد الفرد حالة التوازن.

obeikandl.com

## ثانيًا: دراسة ميدانية حول الشباب وقلق المستقبل
## الجامعات العراقية نموذجًا

١- فرضيات البحث:

أ- يشيع قلق المستقبل بين الشباب المتخرجين في الجامعات بدرجة عالية.

ب-يشيع قلق المستقبل بين الذكور المتخرجين في الجامعات أكثر من الإناث.

ج- يشيع قلق المستقبل بين الشباب المتخرجين في الجامعات من ذوي المستوى الاجتماعي والاقتصادي العالي أكثر من أقرانهم في المستويات الاجتماعية والاقتصادية الأخرى.

**مجتمع الدراسة:** يتكون مجتمع الدراسة الحالي من جميع الشباب المتخرجين في الجامعات العراقية.

**عينة الدراسة:** لقد اختير أفراد العينة بأسلوب العينة العشوائية البسيطة من الشباب المتخرجين في الجامعات العراقية، وبما أن عينة الدراسة الحالية من الصعوبة بمكان الحصول عليها، نظرًا لصعوبة حصرها والوصول إليها، لذا فإن العينة في هذه الدراسة ستقتصر على الطلبة في المرحلة المنتهية، وبالفعل فقد جرى التطبيق في أواخر الفصل الدراسي الثاني وعلى وجه التحديد في الشهر الرابع منه، وسبب اختيار هذه الفترة بالذات يعود أساسًا إلى أنها فترة تستثير هذا النوع من القلق، فضلًا عن التعرض يوميًّا للمنبهات الدالة على قلق المستقبل.

لقد اعتمد أسلوب كوهن ١٩٧٧ في تحديد حجم العينة، ولغرض استخراج حجم العينة وفقًا لهذا الأسلوب، فإنه يقتضي اعتماد المؤشرات التالية:

أ- حجم التأثير.

ب- مستوى الدلالة الإحصائية.
ج- قوة الاختبار.

وبمقتضى هذه المؤشرات فإن حجم التأثير سيكون ٠.٢٠، ومستوى الدلالة الإحصائية ٠.٠٥، وقوة الاختبار سيكون مقداره ٠.٨٠، وعند الرجوع إلى جداول كوهن ١٩٧٧، فإن حجم العينة المقرر هو ٢٤١ فردًا[١٧]. وللتغلب على حالات عدم إكمال الإجابة، فإن الباحث وزَّع استمارات تجاوزت العدد المقرر، فأصبح مجموع الاستمارات الصالحة للتحليل ٢٥٠ استمارة، وبذلك فقد تمت المحافظة على حجم العينة المقرر.

إن أفراد العينة الحالية يتوزعون على جامعات بغداد، والمستنصرية، والتكنولوجية، وباختصاصات علمية مختلفة. والجدير بالذكر أن عينة الدراسة الحالية تتصف بالخصائص التالية:

- بلغت نسبة الذكور من إجمالي العينة ٥٦.٨ بالمائة، بينما بلغت نسبة الإناث ٤٣.٢ بالمائة.
- بلغت نسبة الأفراد من ذوي المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتدنيٍّ ٤٢ بالمائة، وأولئك من المستوى الاجتماعي والاقتصادي المتوسط ٥٠ بالمائة، ومن المستوى الاجتماعي والاقتصادي العالي ٨ بالمائة.
- تراوحت أعمار أفراد العينة بين ٢١ و٣٢ وبمتوسط بلغ ٢٣.٥٧ سنة.

**٢- الأداة**

**أ- مقياس قلق المستقبل**

لقد تبين من الدراسات السابقة أن أغلب المقاييس التي حاولت قياس قلق المستقبل لفئة الشباب كانت تُركز على فرص العمل، ومحاولة تحسين الحال، والتفكير بتكوين أسرة جديدة مع الإشارة إلى بعض الظروف التي يمر بها المجتمع، وهي بكل تأكيد قد تستثير القلق من المستقبل لهذه الفئة، ولأجل

التعرف على منبهات قلق المستقبل لهذه الفئة من الأفراد كان على الباحث أن يتفحص الميدان للكشف عن المنبهات الدالة على الظاهرة قيد الدراسة.

وبالفعل فقد أجرى الباحث استطلاعًا أوَّليًّا كان الغرض منه التعرف على طبيعة المنبهات السائدة في الميدان، وقد وجد ثمة قضايا قليلة تشغل الشباب المتخرجين في الجامعات ولكن الانشغال بها يكاد يستحوذ على اهتماماتهم، بل كانت هي الشغل الشاغل كما تبين من الاستطلاع الأوَّلي، والمقابلة التي أجريت مع عدد قليل منهم داخل قاعة الدرس.

وتأسيسًا على ذلك فقد شرع الباحث ببناء مقياس ينطوي على نظرة الشباب إلى المستقبل وكيف يرونه، وقد حصَّل الباحث من الاستطلاع الأوَّلي والمقابلة عددًا من الفقرات، ثم أجرى لها صياغة لغوية.

ونتيجة لهذا الإجراء استبعد عددًا من الفقرات المكررة في المعنى، كما دمجت بعض الفقرات في فقرات أخرى، وبذلك أصبح عدد الفقرات ١١ فقرة، وبعد الصياغة النهائية للفقرات، أعدت تعليمات المقياس وروعي فيها أن تكون واضحة وغير مملة، كما تضمنت التعليمات أيضًا الغرض من البحث، وأن يجيب عنها المستجيب بصراحة وأمانة، وأن لا يترك أية فقرة دون إجابة.

حُسبت الدرجة الكلية للفرد على مقياس قلق المستقبل على أساس مجموع الدرجات يحصل عليها من إجابته عن فقرات المقياس البالغة ١١ فقرة، وقد حددت الأوزان من (١-٥) لكل بديل من بدائل الاستجابة، وهي على النحو التالي:

تنطبق عليَّ بدرجة كبيرة جدًّا ويُعطي الدرجة (٥)
تنطبق عليَّ بدرجة كبيرة ويُعطي الدرجة (٤)
تنطبق عليَّ بدرجة معتدلة ويُعطي الدرجة (٣)

تنطبق عليَّ بدرجة قليلة ويُعطي الدرجة (٢)
لا تنطبق عليَّ إطلاقًا ويُعطي الدرجة (١)

وبهذه الطريقة تم تصحيح الاستمارات البالغة عدها ٢٥٠ استمارة، فمن الناحية النظرية يمكن للمستجيب أن يحصل على أعلى درجة في المقياس وهي ٥٥، وأوطأ درجة هي ١١.

إن المقياس الحالي لقلق المستقبل يتمتع بخصائص سايكومترية، ونقصد بذلك الصدق والثبات.

**الصدق**

وُجد الصدق التلازمي للمقياس الحالي بطريقة المجموعات المتضادة وذلك عن طريق سحب ١٠٠ استمارة من استمارات البحث الحالي بصورة عشوائية، ثم رُتبت الدرجات التي حصل عليها الأفراد ترتيبًا تنازليًّا من أعلى درجة إلى أدنى درجة، وتم اختيار نسبة ٢٧ بالمئة من الاستمارات الحاصلة على أدنى الدرجات، واشتملت كل مجموعة من المجموعتين العليا والدنيا على ٢٧ استمارة، وبذلك يصبح عدد الاستمارات التي أخضعت للتحليل ٥٤ استمارة.

وبلغ حدود الدرجة للمجموعة العليا (٤٣-٥٥) وحدود الدرجة للمجموعة الدنيا بين (١١-٢٨).

ولاختبار دلالة الفروق بين المجموعتين العليا والدنيا، فقد طُبق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لاختبار الفروق بين متوسط الأفراد في المجموعتين العليا والدنيا، والجدول رقم (١) يوضح ذلك.

الجدول رقم (١)
الاختبار التائي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات
الأفراد في المجموعتين العليا والدنيا

| المجموعات | المتوسط | الانحراف المعياري | القيمة التائية المحسوبة | القيمة التائية الجدولية | الدلالة عند مستوى٠.٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|
| المجموعة العليا | ٤٧.٧٨ | ٣.٨٠٦ | ٤٤.٤٠ | ١.٩٦٠ | دال |
| المجموعة الدنيا | ٢٢.٣٠ | ٤.٧٥٤ | | | |

يتبين من الجدول أن هناك فروقًا ذات دلالة إحصائية عند مستوى ٠.٠٥ بين متوسطات المجموعتين العليا والدنيا، وهذه النتيجة تدعم الفرضية القائلة بوجود فروق بين المجموعة التي تسجل درجة عالية على مقياس قلق المستقبل والمجموعة الدنيا التي تسجل درجة واطئة على المقياس نفسه، وهو مؤشر على الصدق التلازمي

٢- الثبات

استخراج الثبات للمقياس الحالي بطريق الاتساق الداخلي، وذلك عن طريق تطبيق معادلة ألفا للثبات على عينة عشوائية بلغت ٥٠ استمارة، سحبت من استمارات العينة الأساسية، إذ بلغ معامل الثبات ٠.٥٩ وهو ثبات معتدل.

ب-المستوى الاجتماعي والاقتصادي

لغرض التوصل إلى قياس المستوى الاجتماعي والاقتصادي لأفراد العينة تم اعتماد عدد من المؤشرات الدالة عليه، لعلَّ من أبرزها:

١- **عائدية السكن**: إن كان ملكًا أو إيجارًا، إذ تُعطى الدرجة (١) في حالة كون الدار ملكًا، وتُعطى (صفر) في حالة كون الدار إيجارًا.

٢- **عدد الغرف**: لقد قُسم هذا المؤشر إلى خمسة فئات، طول الفئة الواحدة غرفتان، وأُعطيت الدرجات التالية:

١-٢ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (١).

٣-٤ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٢).

٥-٦ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٣).

٧-٨ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٤).

٩ فأكثر وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٥).

٣- **عدد أفراد الأسرة**: قُسم هذا المؤشر على سبع فئات، طول الفئة الواحدة ثلاثة أفراد وأُعطيت الدرجة التالية:

٢-٤ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٧).

٥-٧ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٦).

٨-١٠ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٥).

١١-١٣ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٤).

١٤-١٦ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٣).

١٧-١٩ وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٢).

٢٠ فأكثر، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (١).

٤- **الدخل الشهري**: قُسم هذا المؤشر إلى ثماني فئات طول كل منها ٥٠ ألف دينار استنادًا إلى كفاية الدخل للأسرة الواحدة وأُعطيت الدرجة التالية:

أقل من ٢٠ ألف دينار، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (١).

(٢٠) ألف- (٦٩) ألف دينار، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٢).

(٧٠) ألف- (١١٩) ألف دينار، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٣).

(١٢٠) ألف- (١٦٩) ألف دينار، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٤).

(١٧٠) ألف- (٢١٩) ألف دينار، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٥).

(٢٢٠) ألف- (٢٦٩) ألف دينار، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٦).

obeikandl.com

(٢٧٠) ألف- (٣١٩) ألف دينار، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٧).
(٣٢٠) ألف- فأكثر، وتُعطى هذه الفئة الدرجة (٨).

٥- **المهنة**: لقد طلب من المستجيب ذكر مهنة كل من الأب والأم، ولتحديد المنزلة الاجتماعية لكل منهم، فقد تم الرجوع إلى قائمة المهن التي وضعها خضير عام ١٩٨٨، وبموجب هذه القائمة، فقد قُسمت المهن إلى ست مجموعات استنادًا إلى المنزلة الاجتماعية التي تحتلها كل مجموعة من هذه المجموعات داخل المجتمع، إذ بدأت القائمة بالمجموعة التي تحتل منزلة واطئة وانتهت بالمجموعة التي تحتل منزلة عالية، وَوُزِّعت الدرجات على المجموعات وفقًا لمنزلتها الاجتماعية، فقد أعطيت الدرجات (١، ٢، ٣، ٤، ٥، ٦) للمجموعات الأولى، والثانية، والثالثة، والرابعة، والخامسة، والسادسة، على التوالي[١٨].

وعلى ذلك فإن المجموعة الأولى أُعطيت الدرجة (١)؛ لكونها تحتل منزلة واطئة، فيما أُعطيت الدرجة (٦) للمجموعة السادسة؛ لكونها تحتل منزلة عالية.

٦- **التحصيل الدراسي**: طلب من المستجيب ذكر التحصيل الدراسي لكل من الأب والأم، ولقد قُسِّم هذا المؤشر إلى ثماني مراحل دراسية، وأُعطيت كل منها الدرجات التالية:
أمي، ويُعطى الدرجة (١).
يقرأ ويكتب، ويُعطى الدرجة (٢).
حاصل على شهادة الدراسة الابتدائية، ويُعطى الدرجة (٣).
حاصل على شهادة الدراسة المتوسطة، ويُعطى الدرجة (٤).
حاصل على شهادة الدراسة الإعدادية أو الثانوية، ويُعطى الدرجة (٥).
حاصل على شهادة الدبلوم (معهد)، ويُعطى الدرجة (٦).

obeikandl.com

حاصل على شهادة البكالوريوس، ويعطى الدرجة (٧).
حاصل على شهادة جامعية عليا (ماجستير، دكتوراه)، ويُعطى الدرجة (٨).

وبذلك فإن الأب يحصل على درجة واحدة استنادًا إلى تحصيله الدراسي، وكذلك الأم هي الأخرى تحصل على درجة واحدة أيضًا.

٧- مصادر أخرى للدخل: ويطلب فيه من المستجيب ذكر المصادر الأخرى لدخل أسرته عدا الراتب الشهري إن كان الأب والأم من الموظفين، مثلًا تملك أسرة المستجيب سيارة أجرة، أو محلًا تجاريًا، أو عقارًا يدر على الأسرة ربحًا شهريًا، أو قطعة أرض زراعية تستثمر لأغراض تجارية، أو أسهمًا في شركات، أو معامل إنتاجية، أو أي مشروع آخر يدر على الأسرة ربحًا، ويساهم في تحسن الدخل الشهري، إذ إن ذكر كل مصدر من هذه المصادر، ينال عليه المستجيب درجة واحدة.

تجتمع درجات المستجيب على كل مؤشر من المؤشرات السبع وحاصل الجمع يمثل المستوى الاجتماعي والاقتصادي له، أما كيف يحدد المستوى الاجتماعي والاقتصادي للفرد، فيمكن تحديده بناءً على التقسيم الطبقي الذي يصنف الأفراد إلى ثلاثة مستويات: عليا ومتوسطة ودنيا، ولغرض ترجمة ذلك إحصائيًا، فقد اتبع الإجراء التالي:

طرح الدرجة الدنيا من الدرجة العليا، ثم قسمة الناتج على المستويات الثلاثة، أي أن:

٤٦ – ١٥ = ٣١ الفرق بين الدرجة العليا والدرجة الدنيا.

٣١ ÷ ٣ = ١٠.٣ يمثل درجة الفرق بين كل مستوى من المستويات الثلاثة واستنادًا إلى ذلك، فإن:

المستوى المنخفض تتراوح درجته بين ١٥ و٢٤.
المستوى المتوسط تتراوح درجته بين ٢٥ و ٣٤.
المستوى العالي تتراوح درجته بين ٣٥ و ٤٤.

**ج- الوسائل الإحصائية**

١- معامل ألفا لإيجاد الثبات لمقياس قلق المستقبل[١٩].
٢- الوسيط لمعرفة مستوى قلق المستقبل[٢٠].
٣- تحليل التباين للتصنيف الثنائي لمعرفة دلالة الفروق بين متغيري الجنس والمستوى الاجتماعي والاقتصادي لقلق المستقبل[٢١].
٤- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين، وذلك لإيجاد الصدق التلازمي بطريقة المجموعات المتضادة[٢٢].

**د- النتائج**

لغرض معرفة مستوى قلق المستقبل لدى المتخرجين في الجامعات، فقد استخرج وسيط الدرجات لأفراد العينة على مقياس قلق المستقبل، إذ بلغ (٣٥)، واستنادًا إلى قيمة الوسيط، فقد قُسمت الدرجات التي حصل عليها أفراد العينة إلى مجموعتين:

- مجموعة من الأفراد سجلت درجة عالية على مقياس قلق المستقبل، وذلك بحصولها على درجة أكثر من الوسيط (٣٥).
- مجموعة من الأفراد سجلت درجة واطئة على مقياس قلق المستقبل، وذلك بحصولها على درجة أقل من الوسيط (٣٥)، والجدول رقم (٢) يوضح ذلك.

الجدول رقم (٢)
النسبة المئوية التي حصلت عليها المجموعتان
العليا والدنيا على مقياس قلق المستقبل

| مستوى قلق المستقبل | النسبة المئوية |
|---|---|
| الأفراد الذين سجلوا درجة عالية على مقياس قلق المستقبل | ٤٨.٨ |
| الأفراد الذين سجلوا درجة واطئة على مقياس قلق المستقبل | ٤٢.٨ |

يتضح من الجدول أن مجموعات الأفراد الذين سجلوا درجة عالية على مقياس قلق المستقبل كانت أكثر عددًا من المجموعة الأخرى التي سجلت درجة واطئة على المقياس نفسه، وبذلك نستطيع القول: إن الشباب المتخرجين في الجامعات لديهم مشاعر تتسم بالقلق من المستقبل، وبناءً على هذه النتيجة، تكون الفرضية الأولى قد تحققت.

ولمعرفة دلالة الفروق بين متغيري الجنس والمستوى الاجتماعي والاقتصادي لقلق المستقبل، فقد استخدم تحليل التباين للتصنيف الثنائي (٢×٣) Tow-Way ANOVA، والجدول رقم (٣) يوضح ذلك.

obeikandl.com

الجدول رقم (٣)

نتائج تحليل التباين للتصنيف الثنائي لمعرفة دلالة الفروق بين متغيري الجنس والمستوى الاجتماعي - الاقتصادي لقلق المستقبل

| مصدر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | التباين | القيمة التائية المحسوبة | القيمة التائية الجدولية | الدلالة عند مستوى ٠.٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| الجنس | ٣١.٩٧٧ | ١ | ٣١.٩٧٧ | ٠.٢٦٧ | ٣.٨٩ | غير دال |
| المستوى الاقتصادي - الاجتماعي | ١٧٤.٣١٢ | ٢ | ٨٧.١٥٦ | ٠.٧٢٨ | ٣.٠٤ | غير دال |
| الجنس × المستوى الاجتماعي- الاقتصادي | ٤٦٧.٨١٨ | ٢ | ٢٣٣.٩٠٩ | ١.٩٥٦ | ٢.٢٦ | غير دال |
| داخل الخلايا | ٢٩.١٧٣.١٨٣ | ٢٤٤ | ١١٩.٥٦ | | | |

أشارت نتائج تحليل التباين المستخلص من الجدول رقم (٣) إلى أنه ليس هناك فرق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥) بالنسبة لمتغيري الجنس والمستوى الاجتماعي والاقتصادي، كما أن التفاعل بينهم لم يكن دالًا هو الآخر، وهذا يعني: أن الإحساس بالقلق من المستقبل حالة نفسية تنتاب الأفراد جميعًا بغض النظر عن جنسهم والمستوى الاجتماعي والاقتصادي الذي ينتمون إليه، وبهذه النتيجة لم تتحقق كل من الفرضيتين الثانية والثالثة.

**هـ- مناقشة النتائج**

في هذه الدراسة أثرنا موضوعًا في غاية الأهمية، ألا وهو قلق المستقبل لدى الشباب المتخرجين في الجامعات، وقد تبين لنا، استنادًا إلى النتائج، أن هذا النوع من القلق قد أصبح شائعًا بين هؤلاء الشباب، وقد يترتب على ذلك

بعض الآثار النفسية والاجتماعية، أبرزها ضعف اندماج الفرد في مجتمعه وعدم اكتراثه بما يجري فيه، الأمر الذي يجد معه في الاغتراب والعيش في بلاد الهجرة ما يخفف هذا النوع من القلق.

وتأكيدًا لقولنا هذا، أشارت إحدى الدراسات التي أجريت على طلبة الدراسات الأولية والدراسات العليا إلى وجود رغبة حقيقية لدى هؤلاء الطلبة في الهجرة إلى الخارج[٢٣] بقصد الاستقرار؛ وذلك لتحقيق بعض أهدافهم الشخصية.

ومن ثم التخلص من المنغصات والإحباطات التي تعرضوا لها، لذا أصبحت بلاد الهجرة شغلهم الشاغل مما يشير إلى أن القلق من المستقبل أخذ يستثير إحساسًا بعدم الأمان، ويمكن تفسير ذلك وفقًا لنظرية التناشز المعرفي بأن التناقض الذي حصل بين معتقدات هؤلاء الشباب والسلوك الصادر عنه، قد أدى إلى استثارة التناشز وهو بالطبع حالة غير مريحة، مما وَلَّد لديهم إحساسًا بالتوتر والاضطراب؛ ولأن الواقع كان مليئًا بالمنغصات، فمن الطبيعي، والحال هذه أن يكون الإحساس بالتناشز.

وعلى ذلك، فإن خفض التناشز يقتضي تغييرًا في المدركات أو في الجوانب المعرفية وجعلها في حالة اتساق، ويبدو أن ظروف الواقع اليوم ومعطياته قد لا تخفض من التناشز على الأقل في الوقت الحاضر، مما يعني أن القلق من المستقبل لدى هذه الفئة سيظهر على درجة كبيرة من الاستثارة عند المستويات الاجتماعية والاقتصادية كافَّة، وعلى مستوى الجنسين، وهذا معناه أن الظاهرة قيد الدراسة لم تتأثر بعاملي الجنس والمستوى الاجتماعي الاقتصادي كما كان متوقعًا.

## الهوامـــش

(١) محمد كاظم المهاجر، (الفقر في العراق قبل وبعد حرب الخليج)، سلسلة دراسات مكافحة الفقر ٤ (نيويورك: الأمم المتحدة، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، ١٩٩٧)، ص ٢١.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢١.

(٤) قاسم حسين صالح، (نحو نظرية في الإبداع) مجلة العلوم النفسية (بغداد)، العدد ٢ (١٩٩٤)، ص ٩٥.

(٥) محمود شمال حسن، (المجتمع المنجز: رؤية تصويرية لتهيئة المجتمع العربي للإنجاز) شئون عربية، العدد ٩١، (أيلول/ سبتمبر ١٩٩٧)، ص ١٠٢.

(٦) إلياس سابا، (مستقبل الأوضاع الاقتصادية في لبنان) المستقبل العربي، السنة ١٣، العدد ١٤٣ (كانون الثاني/ يناير ١٩٩١)، ص ١٠٤-١٠٥.

(٧) قاسم حسين صالح، (المكانتان الاجتماعية والاقتصادية للمهن في المجتمع العراقي من وجهة نظر طلبة الجامعة)، الآداب (بغداد)، العدد ٤٢ (١٩٩٧)، ص ١٨٧-١٩١.

(٨) المصدر نفسه، ص ١٨٧-١٩١.

(٩) حسن، المجتمع المنجز: رؤية تصويرية لتهيئة المجتمع العربي للإنجاز) ص ١٠٥.

(١٠) حسن الشريف، (تدريس العلوم التطبيقية في ضوء متغيرات سوق العمل)، المستقبل العربي، السنة ٢٠، العدد ٢٢٤، (تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٩٧)، ص ٧٠.

(١١) المصدر نفسه، ص ٧١.

(١٢) عبد الجبار عبود الحلفي، (البطالة في الوطن العربي: إشارة خاصة إلى بطالة الشباب - دراسة في الاقتصاد السياسي)، المستقبل العربي، السنة ١٩، العدد ٢٠٩ (تموز/ يوليو ١٩٩٦)، ص ١١٨.

(١٣) محمود شمال حسن، دراسة العلاقة بين ضغوط الحياة والإسناد الاجتماعي (بغداد: جامعة بغداد، مركز البحوث التربوية والنفسية، ١٩٩٥)، ص ٥.

obeikandl.com

(١٤)محمود شمال حسن، (بث برامج أم تشكيل نسق قيمي: دراسة الأنساق القيمية المترتبة على البث الفضائي في المجتمع العربي)، شئون عربية العدد ٩٧ (آذار/ مارس ١٩٩٩)، ص ٥١-٥٢.

(15) L. Festinger, (An Introducion to the Theory of Dissonance) in: Edwin P. Hollander and Raymond G.Hunt, eds., *Current Perspectives in Social Psychology: Readings with Commentary, 2nd ed.* (New York: Oxford University Press, 1967), p. 347-348.

(16) Andrew Baum, D. Fisher and Jerome E. Singer, *Social Psychology* (New York: Random House, 1985), p. 64.

(17) Jacob Cohen, *Statistical Power Analysis for the Behavioral Sciences,* rev. ed. (New York: Academic Press, 1977), p. 258.

(١٨)بهاء الدين عبد الله خضير، (المنزلة الاجتماعية للمهن من وجهة نظر جامعة بغداد) (بغداد: جامعة بغداد، مركز البحوث التربوية والنفسية، ١٩٨٨)، ص ٨-١٠.

(19) William A. Mehrens and Irvin J. Lehman, *Mesurement and Enaluation and Psychology* (New York: Holt, rinehart and Winston, 1973), p. 113.

(20) George A. Ferguson, *Statistical Amalysis in Psychology and Education,* McGraw-Hill Series in Psychology, 5th ed. (New York: McGraw-Hill, 1981), p. 53-54.

(٢١)المصدر نفسه، ص ٢٦٤-٢٦٦.

(٢٢)المصدر نفسه، ص ١٧٧-١٧٨.

(٢٣)خالد حنتوش ساجت المحمداوي، (الاتجاهات المستقبلية للطلاب نحو الهجرة خارج العراق: دراسة ميدانية في جامعة بغداد)، (رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة بغداد، ١٩٩٦)، ص ٩٠.

obeikandl.com

## إشاعة الأفكار الدالة على التسلطية

### المقدمة

يُعد السلوك التسلطي أحد أشكال السلوك الاجتماعي، وقد ازداد الاهتمام به منذ الخمسينات من هذا القرن، بقصد التعرف على أهم المتغيرات المؤثرة في تشكيله في الوسط الاجتماعي، فضلًا عن أن السلوك التسلطي يعد أحد معوقات التفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات، وتحاول الدراسة الحالية التعرف على أهم المتغيرات التي تساهم في تكوين هذا النمط من السلوك، ومدى شيوعه في المجتمع لغرض تكوين رؤى واضحة عن السلوك الاجتماعي السائد.

### الخلفية النظرية للسلوك التسلطي

ازداد الاهتمام بدراسة السلوك التسلطي (Authoritorian behavior) في ميدان العلوم الاجتماعية، وعلى وجه الخصوص في ميدان علم النفس الاجتماعي لما له من تأثيرات سلبية في الفرد والجماعة، فعلى مستوى الجماعة، فإن السلوك التسلطي الذي يشيع بين أفراد جماعة معينة، قد يؤدي بها إلى الشعور بالعظمة والقوة والنظرة الدونية للجماعات الأخرى، هنا تكمن الخطورة، فالجماعة التي تنظر إلى نفسها أنها الأجدر والأصلح في قيادة الجماعات الأخرى، وأنها الأفضل من حيث التعامل مع الحياة، سواء من حيث قدراتها العقلية أو من حيث نقائها الجنسي، فإنها بلا شك سوف تعمل على زيادة مستوى العدوان لدى أفرادها، وهذا ما حدث أثناء الحكم النازي في ألمانيا (Wrightsman 1972, p. 374). فقد عمل القادة النازيون على تعبئة المجتمع باتجاه الحرب والعدوان لغرض السيطرة على أوربا وبالتالي على بقية الشعوب الأخرى.

وقد عانى المجتمع البشري جراء تزايد السلوك التسلطي لدى القادة

الألمان المزيد من المشكلات الاجتماعية والنفسية، فضلًا عن التدمير والخراب اللذين حلًا بتلك الشعوب، وعلى مستوى الفرد فإن السلوك التسلطي قد يؤدي بصاحبه إلى التصرف بطريقة تتسم بالاستعلاء والسيطرة واستخدام القوة عند تفاعله مع الآخرين وعدم مراعاة مشاعرهم، فضلًا عن ذلك أنه ينظر إلى الأشياء والأحداث والناس من منظور توقعاته هو ولا يقبل بنظرة الآخر إليها، فهو دائمًا على صواب والآخرين على خطأ.

ومن هذا المنطلق فإن على الآخرين مجاراته في كل شيء، واستنادًا إلى روكيش ١٩٦٠- وهو أحد المنظرين في الشخصية التسلطية، وقد أجرى دراسات عديدة في هذا الميدان، يرى أن أسلوب الاعتقاد لدى الفرد يقع على متصل بين منفتح ومنغلق العقل (Rokeach 1960, p. 54-70) وهو يعني بالشخص المنفتح العقل، شخص غير مقاوم للبرهان الذي يعرض عليه، ويستمع إلى مناقشات الطرف الآخر ليتبين منها الصواب والخطأ في الرأي، وعدم إهمال الأشخاص الذين لا يتفقون معه في الرأي، بمعنى آخر: أن الشخص المنفتح، لا يلجأ إلى إقفال المناقشات التي تتعارض مع معتقداته، أما الشخص المنغلق العقل فهو على العكس تمامًا من الشخص المنفتح، إذ يتميز بالخضوع إلى السلطة ويتسم سلوكه بالقوة والخشونة، وهو شخص مولع بالتخريب والتدمير ويميل إلى المحافظة (Marlow and gergen, 1970, p. 9) في اتجاهه أو يميل إلى اليمين على أساس التقسيم السياسي.

كذلك فإنه شخص لا يحب التغيير في أنماط سلوكه، بل إنه لا يحب التغيير حتى على مستوى أسرته والعالم الذي يحيط به، إذ يجد في هذه التغييرات غموضًا لا يستطيع الشخص احتماله (Cooper and Goldstein and Blackman 1978 p. 37) (MCGaugh 1963 p. 282-283) وربما يُفسر ذلك على أساس عاملين اثنين فقط وهما: الانغلاق المعرفي والشعور بالطمأنينة، (سويف ١٩٦٦ من ٥٩):

فقد يؤدي الانغلاق المعرفي إلى عدم استقبال الحواس للمعلومات القادمة من البيئة، الأمر الذي يؤدي إلى تقليل الخبرات لدى الفرد، والمعروف أن الخبرات التي كونها الفرد بمرور الزمن عن العالم الذي يعيش فيه تساعده في إصدار أحكامه على الأحداث، والناس، والأشياء، ولما كانت هذه الخبرات محدودة وقليلة ولا تسعف الفرد كثيرًا في إصدار الأحكام، فمن الطبيعي أن تضيق دائرة علاقاته بالعالم الذي من حوله، مما يؤدي إلى شعوره بعدم التوافق وبالتالي عدم تمكن الفرد من تغيير أنماط سلوكه.

أما العامل الثاني فهو الشعور بالطمأنينة، فقد أشارت الدراسات، أن الشخص التسلطي يُعاني من عدم الشعور بالطمأنينة ونعني بذلك: أن سلوكه الانفعالي يميل إلى التقلب وتنخفض قدرته على ضبط النفس (إبراهيم ١٩٧٠ ص ٢٢٩).

وتزداد درجة القلق لديه (Cooper and MCGaugh 1963 p. 281) إلى الحد الذي يكون معرقلًا لأدائهن وبناءً على ذلك فإن الشخص التسلطي ينفر من الغموض أو بعبارة أخرى: لا يحتمل الغموض.

وبعد فما هو تأثير أساليب التنشئة الوالدية في السلوك التسلطي؟ بتعبير آخر: هل يؤدي أسلوب معين في التنشئة على زيادة السلوك التسلطي لدى الفرد؟.

في الواقع إن الدراسات التي أجريت في هذا المجال كشفت عن وجود علاقة وثيقة بينهما. (إبراهيم ١٩٨٥ ص ٢٣٧-٢٣٨).

(Wrightsman 1972 p. 380)(Wrightsman and Deaux 1981 p. 434)(Goldstien and Blackman 1978 p. 31)

ومن المحتمل أن يزداد السلوك التسلطي لدى الأبناء الذين تربوا على أسلوب التسلط والصرامة والقسوة، وذلك بسبب ظروف الحرمان التي عاش في كنفها الفرد، وحالة النبذ والإهمال جعلته يعلن عن سخطه واستيائه جراء تلك: الظروف التي عاشها والتي سلبته طفولته السعيدة وعدم التمتع بها، وحالة التسلط التي يظهرها في المواقف الاجتماعية قد تكون تأكيدًا للأسلوب الذي اتبع في تنشئته.

**هدف البحث**

يستهدف البحث الحالي التعرف على مستوى السلوك التسلطي لدى أساتذة الجامعة وطلبتها.

**الفرضيات**

١- يشيع السلوك التسلطي بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الجامعة بدرجة عالية.
٢- يظهر أعضاء هيئة التدريس في الجامعة سلوكًا تسلطيًّا أكثر من طلبتهم.
٣- يظهر الطلاب وأعضاء هيئة التدريس الذكور سلوكًا تسلطيًّا أكثر من الطالبات وأعضاء هيئة التدريس الإناث.
٤- يظهر أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات الإسلامية سلوكًا تسلطيًّا أكثر من أقرانهم في الكليات غير الإسلامية.

**طريقة البحث**

**الأفراد**

سحبت عينة البحث الحالي بأسلوب العينة العشوائية البسيطة، وقد بلغ عد أفراد العينة (٤٢١) عضو هيئة تدريس وطالبًا، وبلغ عدد الذكور (٢٣٦) فيما بلغ الإناث (١٨٥)، كما اشتملت العينة على (٣٥٩) طالبًا و(٦٢) عضو هيئة تدريس يمثلون جامعات بغداد، والمستنصرية، والبصرة، والقادسية، والموصل.

**الأداة**

لقد اطَّلع الباحث على عدد من المقاييس التي تقيس السلوك التسلطي، ولم يجد أحدًا منهما ملائمًا للثقافة السائدة، فهي مشبعة بمثيرات الثقافة التي أعدت فيها، الأمر الذي يؤدي إلى فقدان الدقة والوضوح عند استخدامها في الثقافة السائدة، ولذلك فقد لجأ الباحث إلى إعداد مقياس يتصف بالموضوعية ويجمع مثيرات البيئة المحلية، وبناء على ذلك فقد أجرى مسحًا للكتابات والدراسات التي أجريت حول السلوك التسلطي، وقد توصل فيها الباحث إلى جملة أوصاف للشخص التسلطي وبخاصة تلك الأوصاف التي اعتمد عليها روكيش في بناء مقياس الجمود الفكري (dogmatism).

وقد طلب الباحث من طلبة الجامعات ومن أعضاء هيئة التدريس فيها ذكر الأوصاف التي يتصف بها الشخص التسلطي أثناء تفاعله مع الوسط الاجتماعي، ومن خلال لقاءاته بهم سواء في الجامعة، أو في الشارع، أو في الحي السكني إلى غير ذلك. ولقد تم الحصول على الكثير من العبارات التي تصف الشخص التسلطي، بعدها قام الباحث بصياغة تلك العبارات، ثم أخضعت على الفحص استنادًا إلى قائمة روكيش للتمييز بين الشخص التسلطي أو الشخص غير التسلطي.

ونتيجة هذا الإجراء حذفت بعض العبارات التي لا تتناسب مع قائمة روكيش، وأعيد صياغتها على شكل مواقف لفظية، ولقد احتوى الموقف الواحد على ثلاثة بدائل:

**الأول**: يحتوي على سلوك تسلطي بدرجة عالية، **والثاني**: يحتوي على سلوك تسلطي بدرجة معتدلة، **والثالث**: يخلو من السلوك التسلطي، ثم وزعت البدائل في الموقف الواحد بطريقة عشوائية لكي لا يتهيأ المستجيب للاستجابة، على سبيل المثال: قد يظهر السلوك التسلطي بدرجة متوسطة في

البديل الأول، ويظهر السلوك الخالي من التسلط في البديل الثاني، أما السلوك التسلطي بدرجة عالية، فقد يظهر في البديل الثالث، وهكذا يتم تغيير بدائل الاستجابة في الموقف الواحد حتى لا تتخذ نمطًا واحدًا. وقد أعطيت بدائل الاستجابة الأوزان التالية:-

السلوك التسلطي بدرجة عالية +٢

السلوك التسلطي بدرجة معتدلة +١

البديل الذي يخلو من السلوك التسلطي (صفر)

ولغرض التأكد من أن المقياس الحالي يقيس السلوك التسلطي بدرجة من الدقة والوضوح، فقد عرض الباحث فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء في علم النفس للحكم على صلاحية هذه الفقرات ومدى انطباقها مع قائمة روكيش، وبعد الأخذ بآراء الخبراء، فقد عُدِّلت بعض المواقف وأعيدت صياغة مواقف أخرى، وقد بلغ مجموع المواقف اللفظية بعد إجراء التعديلات عليها (٣٢) موقفًا.

إن المقياس الحالي يتمتع بخصائص سايكومترية، فهو يتمتع بالصدق والثبات، وقد تحقق صدق المحتوى من خلال إجماع لجنة التحكيم بأن المقياس الحالي قد أُعد طبقًا لما جاء في قائمة روكيش، كما أنه يتمتع بالثبات، فقد استخرج الثبات بطريقة إعادة الاختبار على عينة من طلبة الجامعات بلغت (٤٢) طالبًا وطالبة، أعيد عليهم المقياس بعد أسبوعين من التطبيق الأول، وقد بلغ الثبات بهذه الطريقة (٠.٧٨) ويُعد عاليًا مقارنة بالدراسات التي أُجريت في هذا المجال.

لقد أرسلت استمارات المقياس الحالي إلى جامعات: الموصل، والبصرة، والقادسية بأيدي أعضاء هيئة التدريس بمختلف الاختصاصات، وقد قاموا بأنفسهم بتوزيعها على أعضاء هيئة التدريس والطلبة في تلك الجامعات

مسترشدين بوضوح التعليمات التي احتواها المقياس وكيفية الإجابة.

**الوسائل الإحصائية**

١- المتوسط والانحراف المعياري.
٢- معامل ارتباط بيرسن لإيجاد الثبات بطريقة إعادة الاختبار.
٣- الاختبار التائي لاختبار دالة الفروق بين متوسطي:
أ- الذكور – الإناث.
ب- أعضاء هيئة التدريس – الطلبة.
ج- أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات الإسلامية، وأقرانهم في الكليات غير الإسلامية (Glass and staley, 1970, p. 295).

**النتائج**

١- يشيع السلوك التسلطي بين أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الجامعة بدرجة عالية: بغية تحقيق هذه الفرضية، فقد رتبت درجات العينة ترتيبًا تنازليًّا عن مقياس السلوك التسلطي، وتم اختيار نسبة (٢٧٪) للأفراد الذين حصلوا على درجات عالية، ونسبة (٢٧٪) للأفراد الذين حصلوا على درجات منخفضة والجدول (١) يوضح ذلك.

obeikandl.com

obeikandl.com

الجدول (٢)

يوضح الاختبار التائي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطي أعضاء هيئة التدريس والطلبة على مقياس السلوك التسلطي

| أعضاء هيئة التدريس-الطلبة | المتوسط | الانحراف المعيارى | القيمة التائية المحسوبة | القيمة التائية الجدولية | الدلالة عند مستوى٠.٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|
| أعضاء هيئة التدريس | ١٥.٢٧ | ٥.٩١٥ | ٨.١٤٩ | ١.٩٦٠ | دال |
| الطلبة | ١٧.٩٢ | ٥.٥٣٧ | | | |

٣- يظهر الطلاب وأعضاء هيئة التدريس الذكور سلوكًا تسلطيًّا أكثر من الطالبات وأعضاء هيئة التدريس الإناث:

طبق الاختبار التائي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطي الذكور والإناث من أعضاء هيئة التدريس والطلبة على مقياس السلوك التسلطي، وتبين أن القيمة التائية كانت (١.٤٦٨)، وهي ليست ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥)، وهذا يعني عدم وجود فروق بين الجنسين في السلوك التسلطي، وبذلك فإن هذه الفرضية لم تتحقق والجدول (٣) يوضح ذلك.

الجدول (٣)

يوضح الاختبار التائي اختبار دلالة الفروق بين متوسطي الذكور والإناث من أعضاء هيئة التدريس والطلبة على مقياس السلوك التسلطي

| الجنس | المتوسط | الانحراف المعيارى | القيمة التائية المحسوبة | القيمة التائية الجدولية | الدلالة عند مستوى٠.٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|
| الذكور | ١٧.٦٩ | ٥.٥٢٣ | ١.٤٦٨ | ١.٩٦٠ | غير دال |
| الإناث | ١٧.٣٥ | ٥.٦١٣ | | | |

٤- يظهر أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات الإسلامية سلوكًا تسلطيًّا أكثر من أقرانهم في الكليات غير الإسلامية:

طبق الاختبار التائي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطي أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات الإسلامية وأقرانهم في الكليات غير الإسلامية على مقياس السلوك التسلطي، وتبين أن القيمة التائية قد كانت (٤.٤٧١) وهي ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥). ومن ملاحظة المتوسطات، يتضح أن متوسط أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات الإسلامية كان أعلى من أقرانهم في الكليات غير الإسلامية، وهذا يعني أن أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات الإسلامية يظهرون سلوكًا تسلطيًّا أكثر من أولئك في الكليات غير الإسلامية، وبذلك فإن هذه الفرضية قد تحققت والجدول (٤) يوضح ذلك.

**الجدول (٤)**

**يوضح الاختبار التائي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطي أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات الإسلامية وأقرانهم في الكليات غير الإسلامية على مقياس السلوك التسلطي**

| الكليات الإسلامية/ الكليات غير الإسلامية | المتوسط | الانحراف المعياري | القيمة التائية المحسوبة | القيمة التائية الجدولية | الدلالة عند مستوى ٠.٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|
| أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات الإسلامية | ١٨.٢٦ | ٥.٦٠٢ | ٤.٤٧١ | ١.٩٦٠ | دال |
| أعضاء هيئة التدريس والطلبة في الكليات غير الإسلامية | ١٧.١٦ | ٥.٦٨٦ | | | |

مناقشة النتائج

لقد أشارت الدراسات التي أُجريت في البلاد العربية أن المجتمع العربي أظهر تسلطية عندما قورن بالمجتمعات الأخرى، فقد تبين من الدراسة التي أجريت بالجامعة الأمريكية في بيروت، أن طلبة الشرق الأوسط أكثر تسلطية من الطلبة الأمريكان.

(ميليكان ١٩٦٥ من ٥٧٧-٥٨٢) وكشفت دراسة أخرى، أن الطلبة المصريين أكثر تسلطية من الأمريكان والبريطانيين. (Ibrahim, 1980, p. 32)

ويتضح من النتائج التي أسفرت عنها هذه الدراسات أن المجتمع العربي -إذا جاز التعبير- ينمي السلوك التسلطي لدى أبنائه، ولعل ذلك يرجع إلى أن السلوك التسلطي يتحدد بالمجتمعات كما يشير إلى ذلك رايتسمان في كتابه (علم النفس الاجتماعي في السبعينات، ص ٣٧٤)، والمقصود بذلك أن المجتمعات هي التي تزيد من السلوك التسلطي لدى الفرد، فالتعقيد في الحياة وزيادة أعباء الفرد ومسئولياته والإحباطات التي يتعرض لها وظروف المعيشة قد تبعث في الفرد السخط والاستياء مما يهيئ الفرد إلى التعامل مع الوسط الاجتماعي بأسلوب يتسم بالتسلط والصرامة والعداء.

كذلك تشير النتائج إلى عدم وجود فروق جنسية في السلوك التسلطي وعلى الرغم من قلة الدراسات التي توصلت إلى هذه النتيجة، فقد تفسر على أساس أن كلًا من الذكر والأنثى يعرضان سويًا إلى مثيرات البيئة الاجتماعية التي يحتوي البعض منها على مثيرات تتسم بالتصلب والتسلط والصرامة.

ويوصي الباحث بإجراء المزيد من الدراسات وعلى فئات اجتماعية مختلفة لغرض التوصل إلى حقيقة الفروق الجنسية، وأشارت النتائج إلى أن الطلبة أظهروا سلوكًا تسلطيًا أكثر من أعضاء هيئة التدريس. وربما يعود إلى عامل

العمر، فقد أشارت إحدى الدراسات إلى أن الأفراد الكبار في العمر أظهروا سلوكًا تسلطيًّا أقل من الشباب. (Vanijzendoorn, 1989, p. 43)

ويبدو أن ازدياد السلوك التسلطي لدى الفئة الشابة له ما يسوغه في ضوء التوقعات والتصورات الاجتماعية السائدة في المجتمع فغالبًا ما يميل هؤلاء الشباب نتيجة خبراتهم المحدودة إلى الأحكام القاطعة وإلى تبني أراء ومعتقدات تتسم بالتصلب، وهذه النتيجة تجعلنا نتوقف بإزائها بانتباه، ذلك أن استمرار مثل هذا النمط من السلوك في المجتمع له عواقب وخيمة.

ويوصي الباحث بإعداد برامج اجتماعية وتربوية من شأنها أن تقلل السلوك التسلطي، كما أشارت النتائج إلى أن طلبة وأعضاء هيئة التدريس في الكليات الإسلامية أظهروا سلوكًا تسلطيًّا أكثر من أقرانهم في الكليات غير الإسلامية، واستنادًا إلى إحدى الدراسات التي أجريت في المجتمع المصري التي توصلت إلى أن الطلبة في الأزهر أكثر تسلطية من الطلبة الآخرين، (إبراهيم ١٩٧٠، ص ٢٣٠)، فقد يعود ذلك إلى الخلفيات الاجتماعية للأفراد في الكليات الإسلامية مضافًا إليها طبيعة المناهج الدراسية التي قد تجعل هؤلاء أكثر التزامًا بالقيم والمعايير الاجتماعية والخلقية وأكثر تمسكًا بمعتقداتهم مما يجعلهم أكثر مقاومة للتغيير، بسبب أن التغيير يسبب لهم نفورًا لا يستطيعون احتماله.

كما أن زيادة السلوك التسلطي لدى هؤلاء ربما يسبب الميل إلى الحلول القاطعة تجاه الأشياء والمواقف والناس، مما يسبب لهم سوءًا في التوافق؛ لأن الأشياء والمواقف التي خطَّطُوا لها مسبقًا، ووضعوا لها تصورًا معينًا قد حدثت بطريقة مخالفة لتصوراتهم وتوقعاتهم مما يبعث فيهم الشعور بالقلق والتوتر إزاء تلك التغيرات.

## المصادر


١- إبراهيم عبد الستار، التسلطية وقوة الأنا. في لويس كامل مليكة. قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية. المجلد الثاني (الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر: القاهرة، ١٩٧٠).

٢- الإنسان وعلم النفس. (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب: الكويت ١٩٨٥)

٣- سويف، مصطفى. المرونة والتصلب: محور من محاور الشخصية الإنسانية وسمة من سماتها، مجلة العربي (الكويت) ع (٨٨) ١٩٦٦.

٤- ميليكيان، ليفون. بعض المتغيرات المرتبطة بالتسلطية في جماعتين حضاريتين. في لويس مليكة: قراءات في علم النفس الاجتماعي في البلاد العربية. ط١ (الدار القومية للطباعة والنشر. القاهرة، ١٩٦٥).

5- Cooper, J. B. and Mc Gaugh, J. L. integrating principles of social psychology Publishing company, inc: Combridge, 1963).

6- Glass, G. and J. stan ley. Statistical Methods in education and Psychology. (Prentica- Hall, inc. Englewood: New Jersey, 1970).

7- Goldstein, K. M. and S. Black man. Cognitive, styel approaches and rele vant research. (Johnwiley and sons: New York, 1978).

8- Ibrahim, A.S. dogmatism and related Personality Factors among egyptian university students. in:

تركي، مصطفى أحمد. بحوث في سيكولوجية الشخصية العربية. (الكويت: مؤسسة الصباح، ١٩٨٠).

9- Marlowe, D. and K.J. Gergen. Personality and Social behavior. In K.J. Gergen and D. Marlowe (Eds). Personality and social behavior. (reading, Mass- Wesley, 1970).

10- Rokeach, M. The Openand closed mind. (Basic books: New York, 1960).

11- Vanijzendoorn, N.H. Moraljudgment, autho ritarianism, and ethnocentrism. journal of social psychology. No. 1. 1989.

12- Wrightsman, L.S. socialpsychology in the seventies. (Brooks, cole publishing company monterey: california, 1972).

13- ----------, and K. Deaux, k. social psychology in the 8o,s. 3rd. (Brooks, cole publishing company monterey: California, 1981).

obeikandl.com

**عزيزي المستجيب**

تجد في الصفحات التالية مجموعة من المواقف التي يمر بها كل إنسان في حياته اليومية، ويختلف الناس فيما بينهم في التصرف بإزاء كل موقف من هذه المواقف.

لقد وضعت ثلاثة بدائل للتصرف بإزاء كل موقف وهي (أ، ب، ج)، وعليك أن تختار واحدًا من ثلاث الذي يمثل طريقتك في التصرف في الحياة. فإذا اخترت (أ) ضع دائرة حول (أ)، وإذا اخترت (ب) ضع دائرة حول (ب)، أما إذا اخترت (ج) ضع دائرة حول (ج) بالنسبة لكل موقف من هذه المواقف.

**عزيزي المستجيب**

**إن الإجابة عن هذه المواقف تتطلب دقة وصراحة، إذ هي تعبر عن وجهة نظر بإزاء المواقف التي تمر بها في حياتك اليومية، كما أنها لا تحتوي على إجابات خطأ أو صحيحة، ولا داعي لذكر الاسم.**

**١- عندما أعتقد صداقة شخص ما.**

- **أ- فإنني أحب أن يحمل العقيدة التي أؤمن بها.**
- **ب- لا تهمني عقيدته على الإطلاق.**
- **ج- أشعر أن عقيدته مهمة ولكن ليست ضرورية لعقد الصداقة.**

**٢- أعتقد أن سبب ضعف الأخلاق يعود إلى:**

- **أ- التغيرات السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية، وتغيير المعايير.**
- ب- إهمال بعض جوانب الماضي.
- ج- إهمال ماضينا.

٣- عندما أكون بين أفراد أسرتي:

○ أ- أحب أن أظهر سيطرة في بعض المواقف.
□ ب- أحب أن أكون الشخص الذي له سيطرة كبيرة في الأسرة.
△ ج- أحب أن يأخذ كل شخص حريته في التعبير عن رأيه.

٤- عندما يرتكب الآخرون أخطاءً فإنني:
○ أ- أذكرهم بها أحيانًا.
△ ب- أتجاهلها.
□ ج- أذكرهم بها باستمرار.

٥- عندما أعمل مع مجموعة من الأشخاص فإنني:
△ أ- أترك أعضاء المجموعة يعملون كل حسب جدارته وكفاءته.
□ ب- أصدر لهم أوامر وتوجيهات.
○ ج- أصدر التوجيهات عندما أجد الموقف يتطلب ذلك.

٦- عندما أكون في مناقشة فإنني:
□ أ- أرفض بشدة أية أفكار تتعارض مع أفكاري ومعتقداتي.
○ ب- أحيانًا أرفض الأفكار التي تتعارض مع أفكاري ومعتقداتي.
△ ج- أقبل الرأي الذي يحظى بالبراهين حتى عندما يخالف معتقداتي.

٧- لو طلب مني قيادة مجموعة من الأشخاص فإنني:
○ أ- أحاسب حينما يظهر خرق خطير في الالتزام بالتعليمات.
△ ب- أقوم بتوزيع المهمات والأعمال بالشكل الذي لا يلجأ إلى المحاسبة.
□ ج- أحاسب هؤلاء الأشخاص محاسبة شديدة إن خرجوا عن التعليمات.

٨- أحب أن يقول الآخرون عني:
△ أ- إنني سهل التفاهم.
□ ب- إنني شخص يصعب التفاهم معه ولا يقنع.

obeikandl.com

○ ج- إنني شخص من الصعب إقناعه في مواقف معينة.

٩- عندما أهم بصعود الباص أو انتظار دوري (السرة) فإنني:
□ أ- أحب أن أكون أول الراكبين.
△ ب-أحب أن أنتظر دوري كما ينتظر الآخرون.
○ ج- أحيان أحب أن يفضلني الآخرون على غيري.

١٠- أحب أن يصفني رؤسائي بأنني:
○ أ- شخص يظهر في بعض الأحيان التزامًا وطاعة.
△ ب-شخص يهتم بعمله بغض النظر عن التوجيهات
□ ج- شخص مواظب ومطيع للأوامر والتوجيهات.

١١- عندما تواجهني مشكلة ما فإنني:
△ أ- أميل إلى الهدوء ومحاولة فهم أسبابها.
□ ب-أميل إلى الغضب والانفعال.
○ ج- لا أتحملها أحيانًا فأنفجر.

١٢- عندما تجرى مناقشة بيني وبين الآخرين فإنني:
○ أ- أسعى إلى إقناع الآخرين ببعض الأدلة حتى عندما تكون غير كافية.
△ ب-أقدم للآخرين أدلتي وبراهيني، ولا يهمني إن اقتنعوا أو لم يقتنعوا بها.
□ ج- لا أتحمل عندما لا يقتنع الآخرون برأيي.

١٣- لو كنت أنا الذي أُشَرِّع القوانين فإنني:
△ أ- أعامل المعوقين بكل فئاتهم مثل بقية البشر.
□ ب-أشرع قانونًا يخلص المجتمع من المعوقين كافة لكي لا يتكاثروا.
○ ج- أشرع قانونًا يمنع المعوقين من الزواج والتكاثر.

obeikandl.com

١٤- لو أعطيت حكمًا على نفسي لقلت إنني:
□ أ- صارم مع نفسي وقاس أحيانًا أخرى.
○ ب-متسامح أحيانًا وقاس أحيانًا أخرى.
△ ج- متسامح مع نفسي ودودًا لها.

١٥- عندما أكون في جلسة مع الأصدقاء:
○ أ- أحيانًا أنشغل بالألفاظ الرنانة والمؤثرة في نفوسهم.
△ ب-أنشغل بالفكرة التي أريد إيصالها إليهم.
□ ج- أحاول أن أجعل ألفاظي مؤثرة ورنانة في نفوسهم.

١٦- عندما أحضر مناقشات وندوات فكرية فإنني:
○ أ- أحيانًا أميل إلى طرح تفسيرات الجماعة التي أنتمي إليها بخصوص موضوع المناقشة.
△ ب-أميل إلى طرح التفسيرات التي تتسم بالواقعية والعقلانية إزاء موضوع المناقشة.
□ ج- أضفي تفسيرات الجماعة التي أنتمي إليها إزاء موضوع المناقشة.

١٧- أشعر أنني:
△ أ- أحترم آراء الآخرين مهما اختلفتْ عن رأيي.
○ ب-أحيانًا أظهر تهكمًا وسخرية بأفكار الآخرين.
□ ج- أحتقر أفكار الجماعات التي لا أنتمي إليها.

١٨- أعتقد أن الناس الذين هم أقل مني منزلة:
□ أ- بحاجة دائمة إلى المتابعة والتوجيه في عملهم وعدم التساهل معهم عندما يرتكبون الأخطاء.
△ ب-يمكن الاعتماد عليهم في أمور معينة ومتابعتهم وتوجيههم في أمور

أخرى.

○ ج- بحاجة إلى المتابعة والتوجيه في عملهم.

١٩- أعتقد أن الناس:

△ أ- يظهرون طيبة أو شرًّا حسب الظروف التي يمرون بها.

○ ب- طيبون أو أشرار في مرحلة معينة من مراحل التاريخ.

□ ج- إما طيبون أو أشرار دائمًا.

٢٠- عندما أتخذ قرارًا في حياتي فإنني:

○ أ- ألجأ إلى الاستشارة في بعض الأحيان.

△ ب- ألجأ إلى الاستشارة حسب طبيعة القرار الذي أتخذه.

□ ج- لا ألجأ إلى استشارة أحد، وأعتمد على نفسي.

٢١- أعتقد أن الناس في هذا العصر:

□ أ- كسالى وأنانيون ويستحقون العقاب.

△ ب- يتصرفون بما تملي عليهم المواقف التي يمرون بها.

○ ج- يظهرون أنانية وكسلًا في بعض الأحيان.

٢٢- لو تعرضت إلى الفشل في بعض جوانب الحياة فإن أسباب ذلك هي:

△ أ- أنني لم آخذ بنظر الاعتبار الظروف والعوامل التي يجب أن تحسب بدقة.

□ ب- الحظ والصدفة.

○ ج- أحيانًا الحظ والصدفة سبب الفشل في بعض جوانب الحياة.

٢٣- أعتقد أن الأفكار التي أحملها:

□ أ- هي الصواب دائمًا وعلى الآخرين الأخذ بها.

△ ب- تعبر عن وجهة نظري وأن الآخرين غير ملزمين في الأخذ بها.

obeikandl.com

○ ج- فيها بعض الصواب وعلى الآخرين الأخذ بها.

٢٤- عندما أشاهد رجلاً بصيرًا (أعمى) يريد عبور الشارع فإنني:
○ أ- أشعر برغبة في مساعدته لكنني أتردد بذلك.
△ ب-أسرع إلى مساعدته.
□ ج- أشعر بالغضب؛ لأنه يلقي بأعبائه على الآخرين.

٢٥- أحب أن تتسم الأعمال التي أقوم بها:
△ أ- بالتنوع والتغيير.
○ ب-ببعض النمطية والروتين.
□ ج- بالنمطية والروتين.

٢٦- في مواقف الحياة اليومية فإنني أسعى إلى:
□ أ- مسايرة الناس في تفكيرهم وتصرفاتهم.
○ ب-مسايرة الناس في تفكيرهم وتصرفاتهم في مواقف قليلة.
△ ج- التصرف في طريقة مستقلة بعيدًا عن تأثيرات الآخرين.

٢٧- أجد نفسي:
○ أ- قليلًا ما أكرر بعض الأفعال أو الكلمات رغمًا عني.
△ ب-أعمل بتلقائية.
□ ج- أكرر بعض الأفعال أو الكلمات رغمًا عني.

٢٨- لو أساء إليَّ شخص ما وحاول أن يُقدِّم اعتذارًا فإنني:
△ أ- أقبل اعتذاره دون التحري عن أسباب الإساءة.
□ ب-لا أقبل اعتذاره وأعتبره شخصًا لا يستحق الاحترام.
○ ج- أقبل اعتذاره وأحافظ على وجود مسافة بيني وبينه. في اللقاءات القادمة.

obeikandl.com

٢٩- أعتقد أن نمط حياتي:

○ أ- مرض ولكنه بحاجة إلى شيء من التغيير.

△ ب- يحتاج للتغيير والتعديل الدائم.

□ ج- مرض ولا حاجة لتغييره.

٣٠- تتطلب مني مواقف الحياة:

△ أ- أن أتصرف بشكل يتفق وطبيعة هذا المواقف.

□ ب- أن أكون فظًّا خشنًا مع الناس غليظ القلب.

○ ج- أن أكون خشنًا في بعضها فقط.

٣١- في حالة حدوث شجار بيني وبين الآخرين في الشارع فإنني أعتقد أن:

○ أ- التلويح باستخدام القوة مطلوب في بعض الأحيان.

△ ب- التفاهم والحوار الإيجابي كفيلة بإنهاء الشجار.

□ ج- التلويح باستخدام القوة هي الوسيلة الكافية لإنهاء الشجار.

٣٢- في مواقف تربية الأطفال فإنني:

□ أ- أعتقد أن تربية جدي لأبي وتربية أبي لي خير تربية.

△ ب- من المفضل أن أراعي القول المأثور (رَبُّوا أولادكم لزمن غير زمانكم).

○ ج- أعتقد أن أسلوب الأجداد مطلوب في بعض الأحيان.

**ملاحظة:** لمعرفة السلوك التسلطي بدرجة عالية أو معتدلة أو انتفاء السلوك التسلطي لدى الفرد. يُرجى الانتباه إلى الأشكال الآتية:

□ يمثل السلوك التسلطي بدرجة عالية.

○ يمثل السلوك التسلطي بدرجة معتدلة.

△ يمثل البديل الذي يخلو من السلوك التسلطي.

obeikandl.com

## زيادة المعاناة من عدم القدرة على إشباع الحاجات

### المقدمة

لقد شملت نظرية الترتيب الهرمي للحاجات اهتمام الباحثين وعلماء النفس لفترة ليست بالقصيرة، ومنذ ظهورها في الأربعينات وحتى وقتنا الراهن قد حلت هذه النظرية محل الكثير من النظريات السابقة، ومنها نظريات الغرائز في تفسير السلوك البشري، وبدأنا نفسر السلوك على أساس الحاجة، وليست على أساس الغريزة، بمعنى آخر: أن الباحثين وعلماء النفس كانوا يدورون في حلقة مفرغة عندما فسروا السلوك البشري بتفسير غريزي.

وبعد مجيء العالم الأمريكي إبراهام ماسلو استطاع أن يخرج علم النفس من دائرة ضيقة وهي دائرة الغريزة إلى دائرة التفسير على أساس الحاجة، وقد عُرِّفت الحركة التي كان ماسلو واحدًا منها بالحركة الثالثة في علم النفس، وفي أغلب الأحيان تُعرَّف هذه الحركة أيضًا باسم علم النفس الإنساني، وهذه الدراسة هي محاولة لتطبيق حاجات النظرية في المجتمع العراقي، والوقوف على مستوى إشباع حاجات الفرد وفقًا لها، لا سيَّما وأن هذه النظرية لم تختبر على حد علم الباحث بكافة حاجاتها في المجتمع العربي.

### الخلفية العلمية لنظرية الترتيب الهرمي للحاجات

#### ١- تعريف الحاجة

لقد عُرِّفت الحاجة Need قبل ظهور نظرية الترتيب الهرمي للحاجات بالغريزة، وأخذ الكثير من علماء النفس الأوائل بتبني وجهة نظر مكدوكل التي نشرها عام ١٩٠٨، وكانت الغريزة لدى مكدوكل تُعرَف باسم حب الاستطلاع، والنفور بعداونية، وتأكيد الذات والهروب، وتربية وتنشئة الأطفال، والتكاثر والجوع، والاجتماعية والتحلل.

وقد أضاف علماء النفس إلى هذه القائمة آلافًا من الغرائز. (دافيدوف ١٩٨٣، ص٤٣١)؛ علهم يجدون تفسيرًا علميًّا للسلوك البشري، ولهذا السبب كثرت مسميات الغرائز التي تصف أنماطًا من السلوك البشري؛ وذلك لعدم وجود نظرية تفسر السلوك البشري بعيدًا عن الغرائز.

والجدير بالذكر أن مفهوم الحاجة استعارة علم النفس الإكلينيكي والشخصية من علم الفسيولوجيا، وكانت الحاجة تعني -آنذاك-: افتقار الكائن الحي إلى شيء ما حيوي أو مهم، كالحاجة إلى الماء أو الأكسجين. (Lindgren 1973, p. 80).

والحاجة هي نوع من أنواع الدافعية، فإذا كانت الدافعية: هي ميل الأفراد للبحث عن اللذة وتجنب الألم (Steersand Porters, 1983, p.9) فإن الحاجة تعني الحالة الناشئة عن انحراف الشروط البيولوجية، أو النفسية اللازمة لحفظ بقاء الفرد في الوضع المتزن. (توق وعدس ١٩٨٤ ص ١٤٠).

وبذلك فإن الحاجة تنشأ عن حالة عدم الاتزان؛ إذ يصبح الفرد في حالة قلق واضطراب، وإن إشباعها يؤدي إلى حالة الاتزان، أو حفظ التوازن الداخلي لدى الفرد، في حين أن الدافع هو: (حالة داخلية ينشأ نتيجة تنشيط، أو استثارة السلوك الموجه عادة نحو تحقيق الحاجة النشطة) (دافيدوف ١٩٨٣، ص ٤٣١).

وبناء على ذلك فإن الدافع والحاجة مرتبطان مع بعضهما، وإنهما حالة داخلية أو تكوينٌ (داخليٌّ مفترضٌ) يعملان على بقاء الفرد في حالة مستقرة.

**٢- الترتيب الهرمي للحاجات**

يرى إبراهام ماسلو أن الحاجات هي التي توجه السلوك البشري، وهي التي تدفعه وتقوده إلى وجهة معينة، وكما أسلفنا أن النظريات السابقة كانت

ترى أن السلوك توجهه الغرائز، وعندما ظهرت نظرية الترتيب الهرمي للحاجات أكدت أن السلوك البشري توجهه وتقوده الحاجات، وقد شكلت هذه النظرية منعطفًا (جديدًا) في علم النفس، منذ أن ظهرت النظرية في الأربعينات، وحسب ماسلو أن الإنسان مدفوع بعدد من الحاجات الأساسية، وعلى الأغلب فإن هذه الحاجات تكون نفسية أكثر من أن تكون فسيولوجية (Goble, 1970. p. 37).

وقد ذكر ماسلو في كتابه (الدافعية والشخصية) الصادر عام ١٩٥٤، أن الحاجات الأساسية التي توجه السلوك البشري هي على النحو الآتي:

١- الحاجات الفسيولوجية.
٢- الحاجة إلى الأمن والسلامة.
٣- الحاجة إلى الحب والانتماء.
٤- الحاجة إلى التقدير والاحترام.
٥- الحاجة إلى تحقيق الذات. (Maslow 1954 p. 80-91).

وقد استطرد ماسلو شارحًا هذه الحاجات كالآتي:

١- **الحاجات الفسيولوجية:** وتتمثل بالحاجة إلى الطعام والشراب والنوم والراحة والدفء والنشاط والتدخين والنظافة والملابس والهواء والجنس والبرودة.
٢- **الحاجة للأمن والسلامة:** وتتمثل بتجنب الألم والتحرر من الخوف والشعور بالاطمئنان والعيش في عالم هادئ آمن والابتعاد عن مصادر الخطر.
٣- **الحاجة إلى الحب والانتماء:** وتتمثل في محاولة الفرد لأن يكون محبوبًا؛ لينشد الحنان والصحبة والتعاطف وعقد الصداقات والولاء للآخرين والانتماء إليهم والإحساس بالأهمية؛ نتيجة الانتماء وتجنب الابتعاد عن الآخرين، والشعور بالألفة بينهم.

٤- **الحاجة إلى التقدير والاحترام**: وتتمثل في:

أ- تقبل الذات والرضا عنها والشعور بالقوة والكفاءة والمنافسة والإنجاز والثقة والرغبة في الشهرة والمعرفة ومحاولة جذب الانتباه وتقدير واحترام الذات.

ب-الشعور بتقبل الآخرين، أي: شعور الفرد بأنه يتقبل الآخرين على علاتهم.

ج- شعور الفرد بأن الآخرين يتقبلونه.

٥- **الحاجة إلى تحقيق الذات**: وتتمثل بمحاولة الفرد استثمار طاقاته وقدراته؛ ليحقق لنفسه قدرًا من التميز يراه جديرًا لذاته، والقيام بأعمال تنفع الآخرين، والوصول إلى مكانة اجتماعية مرموقة في المجتمع، والبحث عن حلول جديدة للمشكلات، كما يسعى الفرد إلى تحقيق طموحاته المستقبلية وأهدافه في الحياة.

(Globle 1970, p. 37)(Huizinga 1970, p. 23, p. 80-91)

وكما رأينا أن الحاجات الخمس التي أكد عليها ماسلو في نظريته تترتب في هرم؛ إذ تأتي الحاجات الفسيولوجية في القاعدة، ثم تأخذ بالتدرج حتى تصل إلى قمته؛ إذ نجد الحاجة إلى تحقيق الذات، ويشير ماسلو في كتابيه (الدافعية والشخصية) الصادر عام ١٩٥٤، و(الدافعية البشرية) الصادر عام ١٩٧٥ إلى وجود انطباع خاطئ مفاده، أن الحاجة يجب أن تشبع بنسبة ١٠٠٪ قبل أن ينتقل الفرد إلى الحاجة الأخرى بالتدرج.

(Maslow, 1975, p. 37)(Maslow 1954, pp. 100-101)

وهذا يعني، أن الفرد حسب تفسير ماسلو يجب أن يشبع حاجاته الفسيولوجية بصورة كاملة حتى ينتقل إلى الأمن والسلامة، وهكذا دواليك بالنسبة لحاجاته الأخرى.

وفي الحقيقة إن هذا لا يمكن أن يتحقق؛ بسبب أن الإنسان لا يشبع حاجاته كاملة، بل إنه يشبع حاجاته بصورة جزئية.

ويضرب ماسلو مثالًا على ذلك، فيقول:
إن الفرد قد يشبع حاجاته الفسيولوجية بنسبة (٨٥٪)، ويشبع حاجاته إلى الأمن والسلامة بنسبة (٧٠٪)، ويشبع حاجات الحب والانتماء بنسبة (٥٠٪)، كما يشبع الحاجة إلى التقدير والاحترام بنسبة (٤٠٪)، وقد يشبع (١٠٪) من حاجات تحقيق الذات. (Maslow, 1954, pp. 100-101)(Maslow, 1975, p. 37)

وهذا يقودنا إلى استنتاج مفاده، أن الحاجات كلما تقدمت في الهرم كلما قل إشباعها، وكلما كانت في القاعدة زادت درجة إشباعها.

ويلاحظ أن الحاجات الدنيا تُشبَع من خلال المكافآت الاقتصادية، أي: من خلال كسب الأموال في عملية البيع والشراء؛ لغرض إشباع الحاجات الفسيولوجية، وحاجات الأمن والسلامة، في حين تشبع الحاجات العليا من خلال المكافآت النفسية والاجتماعية (Davis, 1981, p. 49)، أي: من خلال احترام، وتقدير الآخرين للفرد، والحصول على المزيد من الحب وتحقيق الذات.

وبَعدُ، ما هو دور المجتمع في إشباع حاجات الفرد؟

لقد أشارت الكثير من الكتابات سواء في علم النفس، أو في العلوم الاجتماعية الأخرى إلى أن المجتمع قد يؤدي دورًا كبيرًا في إشباع حاجات الفرد، لكن كيف؟ وما هي الطريقة التي يشبع بها الفرد حاجاته؟

تساؤل ظل يراود الأذهان، ولم تصدر إجابة محددة عن ذلك، ولكن على ما يبدو أن للثقافة السائدة وظروف التطور دورًا كبيرًا في إشباع حاجات

الفرد، ومن ذلك أن المجتمعات النامية، أو المجتمعات التي تمر في مرحلة النمو تهتم بإشباع حاجات الفرد الفسيولوجية وحاجاته للأمن (Smith, 1977, p. 29) أكثر من الحاجات الأخرى في حين أن المجتمعات المتقدمة تهتم بإشباع حاجات الفرد إلى تحقيق الذات (Smith, 1977, p. 29) بسبب أن الأوضاع الاجتماعية السائدة تتيح فرصًا أوسع للأفراد بتحقيق مستوى عالٍ من الإنجاز. (شلتز ١٩٨٣، ص ٣٠٧) إضافة إلى ذلك إن حالة الاستقرار والرفاهية السائدة في المجتمع تساهم هي الأخرى في إشباع حاجات الأفراد. ويلاحظ أن نسبة الذين يحققون ذاتهم في المجتمعات المتقدمة تكون نسبتها أعلى مما في المجتمعات النامية.

### ٣- الطبيعة البشرية من وجهة نظر ماسلو

لقد كانت نظرة ماسلو إلى الإنسان نظرة تفاؤلية، وقد انعكست هذه النظرة في دراساته في مجال تحقيق الذات؛ فهو يرى أن الإنسان مدفوع بحاجات أساسية وأنه أكثر فاعلية (Goble, 1970, p. 37)(Arndt, 1974, p. 153) بينما اتسمت النظرة الفرويدية إلى الإنسان بأنها ذات طابع تشاؤمي؛ فهي ترى الإنسان كائن عاجز وسلبي وعدواني، وأن شخصية الفرد تعتمد اعتمادًا كبيرًا على خبراته في مرحلة الطفولة.

فإذا كانت هذه الخبرات سارة، فإن شخصية الفرد تصبح سليمة في الرشد، وإن كانت غير سارة ومؤلمة، فإن شخصية الفرد تصبح عصابية. في حين يرفض ماسلو أن نكون ضحايا لخبرات الطفولة المبكرة؛ فالأفراد بإمكانهم أن يقوموا بأدوار فعَّالة (شلتز ١٩٨٣، ص ٣٠٧) وإيجابية تخدم شئونهم الذاتية، وتبعث فيهم الارتياح والسرور.

ويرى ماسلو أن الإنسان قادر على تحديد ذاته أكثر مما يحددها له الآخرون (Arndt, 1974, p. 153) وأنه قادر على تحديد اختياراته، أي: أن الإنسان من

وجهة نظر ماسلو قادر على تشكيل ذاته بفضل الفعالية والإيجابية التي يمتلكها، وأنه واع لذاته، وقادر على تعزيز ذاته عندما تكون الظروف المحيطة به مواتية ومناسبة، كما أن الإنسان من وجهة نظر ماسلو يكرس كل طاقاته من أجل إشباع حاجاته الدنيا، ولن يظهر أي اهتمام يذكر للحاجات الاجتماعية العليا ما لم يشبع حاجاته الدنيا (Wrights man, 1972, p. 76) من الأكل والشرب والملبس والأمان.

لقد أكد ماسلو في نظريته على أهمية الحاجات الاجتماعية المتمثلة بالاحترام والتقدير والحب والانتماء؛ وذلك لكون الإنسان كما يراه ماسلو كائنًا اجتماعيًّا لا يستطيع العيش بدون وجود الآخرين معه، فهو يتفاعل معهم ويتصل بهم باستمرار؛ لأجل أن يؤكد الجانب الاجتماعي في طبيعته البشرية، وفي حالة انقطاع الاتصال والتفاعل بينه وبين الآخرين، فإنه يشعر بالاكتئاب والقلق وينتابه الاضطراب والهياج. فقد وُجد في إحدى الدراسات كما يؤكد دافيدوف ١٩٨٣، أن الأفراد الذين يشعرون بالنبذ من قِبَل أفراد مجتمعهم، والإحساس بالعزلة الاجتماعية لا يستطيعون النوم، ويهملون صحتهم الشخصية، وروتينهم اليومي، وأنهم يعيشون بلا هدف، وتختفي هذه الأعراض والمشاعر عند قبول الفرد من قبل الجماعة. (دافيدوف، ١٩٨٣، ص ٤٣١) وبذلك يتضح أن نظرة ماسلو إلى الطبيعة البشرية نظرة إنسانية ومتفائلة وأنه قادر على صنع مستقبله عندما تكون الظروف المحيطة به مناسبة، وتبعث على الارتياح؛ فهو لا يرى أن الإنسان قبو مظلم تدور فيه صراعات محتدمة، بل يرى أن الإنسان فعَّال وإيجابي، وأن سلبية الإنسان ناجمة عن ظروف الإحباط، وعدم إشباع حاجاته الدنيا والعليا.

### ٤- موقف الدراسات من نظرية الترتيب الهرمي للحاجات

كانت نظرية ماسلو -ولا تزال- من النظريات الأكثر شيوعًا في ميدان الدافعية منذ أن ظهرت في الأربعينات وحتى أواخر الستينات، فلقد ظلت

النظرية التي لها الأهمية في علم النفس الإكلينيكي (Steers and Porter 1983, p. 27) والشخصية وقد بدأت بمعالجة دافعية الأفراد في ميدان العمل، كما ظلت هذه النظرية مقبولة على نطاق واسع (دافيدوف ١٩٨٣ ص ٤٤٢) ولها شعبية متزايدة في أنحاء متفرقة من العالم؛ بسبب ابتعادها عن الغريزة حتى بعد مماته (شلتز ١٩٨٣، ص ٢٠٩) وهذا دليل وبرهان دامغ على أن النظرية أثارت اهتمام الباحثين والمتخصصين في ميدان علم النفس، إضافة إلى أن النظرية أثارت اهتمام الباحثين والمتخصصين في ميدان علم النفس، إضافة إلى أن النظرية قد جمعت الحاجات البشرية بخمس حاجات أساسية أطلق على البعض منها الحاجات الدنيا؛ وهي حاجات البقاء والأمان، كما أطلق على البعض الآخر الحاجات العليا؛ وهي حاجات نفسية واجتماعية.

وقد أثبتت الدراسات، أن الإنسان مدفوع لإشباع حاجاته الأساسية التي أشارت إليها النظرية، وإن دل هذا على شيء، إنما يدل على أن النظرية تتمتع بمبدأ الاقتصاد في الجهد بشكل كبير (Hjelle and Ziegler, 1981, p. 447) وأن النظرية قد راعت هذا المبدأ عل الرغم من البساطة التي اتسمت بها في تفسير السلوك البشري (Ryck Man, 1978, p. 328) إلا أنها ظلت النظرية التي لاقت قبولًا متزايدًا وتأييدًا شعبيًّا، (Cox, 1986, p. 150)؛ بسبب فهم عامة الناس لها، ولتطبيقاتها الواسعة في ميدان العمل في المؤسسات، كما تتمتع النظرية باتساق داخلي بشكل كبير، وتؤكد على الشمولية في تفسير السلوك البشري بشكل معتدل، إضافة إلى ذلك فإنها تؤكد أيضًا على الأهمية الوظيفية بدرجة كبيرة (Hjelle and Zeigler, 1981, p. 447) ونعني هنا بالأهمية الوظيفية قدرة النظرية على تقديم تفسيرات في فهم سلوك الآخرين، وعلى الرغم من كثرة الدراسات التي أثارتها النظرية، فقد أثارت لها انتقادات كثيرة حولها. ويعود سبب هذه الانتقادات؛ لكونها كانت النظرية الوحيدة في ذلك الوقت التي طرحت حلولًا لمشكلات إنسانية متعددة هذا من جانب، ومن جانب آخر، أنها ابتعدت عن

النظرية السائدة في تفسير السلوك البشري التي غلب عليها الطابع الغريزي، إضافة إلى ذلك سعى ماسلو إلى أن ينتقي أفراد عيناته من الأسوياء المبدعين والمحققين لذاتهم.

**فرضيات البحث**

١- يتصف غالبية الأفراد بعدم إشباع حاجاتهم.
٢- تكون معاناة الذكور أعلى من معاناة الإناث في إشباع الحاجات.
٣- تعد الحاجات الفسيولوجية من أكثر الحاجات غير المشبعة لدى الأفراد.

**طريقة البحث**

**الأفراد**

لقد اختيرت عينة البحث الحالي، بأسلوب العينة العشوائية البسيطة ومن بعض الفئات الاجتماعية المتمثلة بطلبة الجامعة والموظفين والمدرسين والمعلمين فقد اختيرت عينة الطلبة من جامعات بغداد والمستنصرية والتكنولوجية، بواقع (٢٠٠) طالب وطالبة، كما تم اختيار عينة من الموظفين في وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ووزارة التربية ووزارة العدل بواقع (٢٠٠) موظف وموظفة، إضافة إلى اختيار عينة من المدرسين والمعلمين بواقع (١٦٠) مدرسًا ومعلمًا من كلا الجنسين، وبذلك يصبح مجموع العينة الكلية (٥٦٠) فردًا؛ ولأجل التحقق من أن بيانات البحث الحالي تتوزع توزيعًا طبيعيًا، فقد لجأ الباحث، إلى اختيار اعتدالية التوزيع، وقد تبين أن نسبة (١٧.٢٪) من الدرجات تقع بين:

$$م + \frac{ع}{\sqrt{ن}} \quad و \quad م \quad \frac{ع}{\sqrt{ن}}$$

كما تبين أن نسبة (٦٨.٦٩٪) من الدرجات التي تقع بين $\frac{ع}{\sqrt{ن}}$ + م

و م - $\frac{ع}{\sqrt{ن}}$ ، وأن نسبة (١٤.١٨٪) من الدرجات تقع بين م + $\frac{ع}{\sqrt{ن}}$

و م - $\frac{ع}{\sqrt{ن}}$

ومن هذا يتضح أن توزيع درجات الأفراد مماثل للتوزيع الطبيعي؛ إذ تقع معظم درجات الأفراد في وسط المنحنى الاعتدالي. بينما تقع الدرجات المتطرفة على طرفي المنحنى، وهو توزيع مماثل للتوزيع الطبيعي، والشكل البياني يوضح ذلك.

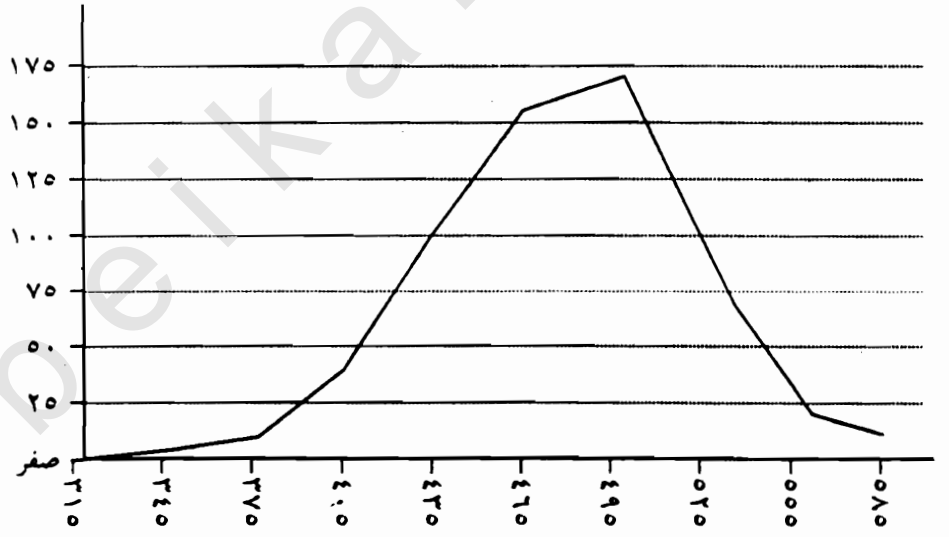


**الشكل البياني يوضح تماثل توزيع درجات الأفراد للتوزيع الاعتدالي**

obeikandl.com

الأداة

بعد إجراء المراجعة للدراسات تبيَّن أنها لا تحتوي على مقاييس تتضمن الحاجات الخمس في نظرية ماسلو؛ ولهذا فقد لجأ الباحث إلى بناء مقياس يضم الحاجات الخمس؛ لكي يتحقق هدف الدراسة، وهو التعرُّف على حاجات أفراد المجتمع، وكيف تترتب، ومن أجل الوصول إلى بناء المقياس، فقد لجأ الباحث إلى إجراء استفتاء استطلاعي أُجري على (١٠٠) طالب وطالبة في جامعة بغداد، حدَّد فيه الحاجات إلى الخمس وفقًا للتوضيح التفصيلي لكل حاجة، وطلب منهم على ضوء التعاريف المحددة لكل حاجة، أن يبينوا كيف يشبعون حاجاتهم، وقد تم الحصول على فقرات لكل حاجة؛ إذ تفاوت عدد الفقرات لكل حاجة، فقد كان عدد الفقرات لبعض الحاجات (١٠) فقرات، وبلغت فقرات البعض (١٩) فقرة، في حين بلغ عدد فقرات الحاجات الأخرى (٢٣) فقرة.

كما أُجريت مراجعة للدراسات والأدبيات؛ لغرض استخراج فقرات معينة منها، كذلك أُجريت مراجعة لكتب ماسلو التي كتبها عام ١٩٥٤ و ١٩٧٥، واستخرجت منها الكثير من الفقرات في ضوء الشرح التفصيلي لكل حاجة من الحاجات الخمس ؛ وبذلك يصبح عدد الفقرات للحاجات الخمس (١٢٥) فقرة، بواقع (٢٥) فقرة للحاجة الواحدة، مطابقة لمضمون نظرية الترتيب الهرمي للحاجات، وبعد صيغة الفقرات فقد لجأ الباحث إلى عرضها على بعض التدريسيين؛ للتأكد من وضوح ألفاظها وسهولة فهمها، وقد عدلت بعض الألفاظ في ضوء المناقشة التي أُجريت حول سلامتها اللغوية، بعد ذلك وزعت الفقرات في المقياس على أساس ترتيب الحاجة في النظرية؛ إذ فضل الباحث أن تكون الفقرة الأولى تمثل الحاجات الفسيولوجية، والفقرة الثانية تمثل الحاجة إلى الأمن والسلامة، والفقرة الثالثة تمثل الحاجة إلى الحب والانتماء، والفقرة الرابعة تمثل الحاجة إلى التقدير والاحترام، والفقرة الخامسة

تمثل الحاجة إلى تحقيق الذات، وهكذا دواليك إلى الفقرة (١٢٥)؛ إذ تمثل الحاجة إلى تحقيق الذات، وفيما يلي استعراض أرقام الفقرات التي تمثل الحاجات الخمس:

الحاجات الفسيولوجية الأرقام:

١- ٦- ١١- ١٦- ٢١- ٢٦- ٣١- ٣٦- ٤١- ٤٦- ٥١- ٥٦- ٦١- ٦٦- ٧١- ٧٦- ٨١- ٨٦- ٩١- ٩٦- ١٠١- ١٠٦- ١١١- ١١٦- ١٢١.

الحاجة إلى الأمن والسلامة الأرقام:

٢- ٧- ١٢- ١٧- ٢٢- ٢٧- ٣٢- ٣٧- ٤٢- ٤٧- ٥٢- ٥٧- ٦٢- ٦٧- ٧٢- ٧٧- ٨٢- ٨٧- ٩٢- ٩٧- ١٠٢- ١٠٧- ١١٢- ١١٧- ١٢٢.

الحاجة إلى الحب والانتماء الأرقام:

٣- ٨- ١٣- ١٨- ٢٣- ٢٨- ٣٣- ٣٨- ٤٣- ٤٨- ٥٣- ٥٨- ٦٣- ٦٨- ٧٣- ٧٨- ٨٣- ٨٨- ٩٣- ٩٨- ١٠٣- ١٠٨- ١١٣- ١١٨- ١٢٣.

الحاجة إلى التقدير والاحترام الأرقام:

٤- ٩- ١٤- ١٩- ٢٤- ٢٩- ٣٤- ٣٩- ٤٤- ٤٩- ٥٤- ٥٩- ٦٤- ٦٩- ٧٤- ٧٩- ٨٤- ٨٩- ٩٤- ٩٩- ١٠٤- ١٠٩- ١١٤- ١١٩- ١٢٤.

الحاجة إلى تحقيق الذات الأرقام:

٥- ١٠- ١٥- ٢٠- ٢٥- ٣٠- ٣٥- ٤٠- ٤٥- ٥٠- ٥٥- ٦٠- ٦٥- ٧٠- ٧٥- ٨٠- ٨٥- ٩٠- ٩٥- ١٠٠- ١٠٥- ١١٠- ١١٥- ١٢٠- ١٢٥.

وقد حدد بدائل الاستجابة من (١- ٥)، وعلى النحو الآتي:

البديل ٥، ويعني: أن البديل ينطبق على المستجيب دائمًا.

obeikandl.com

البديل ٤، ويعني: أن البديل كثيرًا ما ينطبق على المستجيب.
البديل ٣، ويعني: أن البديل ينطبق على المستجيب أحيانًا.
البديل ٢، ويعني: أن البديل ينطبق على المستجيب نادرًا.
البديل ١، ويعني: أن البديل لا ينطبق على المستجيب إطلاقًا.

وقد جاءت بدائل الاستجابة في الدراسة الحالية مطابقة لبدائل الاستجابة في الدراسات التي أجريت لاختبار نظرية ماسلو (Jhelle and Ziegler, 1981, p. 382).

والجدير بالذكر أن التصاعد في إعطاء بدائل الاستجابة يدل على تزايد عدم إشباع الحاجات؛ فالدرجة العالية تدل على أن أفراد العينة لَمَّا يشبعوا حاجاتهم بعدُ، والدرجة المنخفضة تدل على أن أفراد العينة قد أشبعوا حاجاتهم، وبهذا يمكن الحصول على الدرجة الكلية للحاجات عن طريق جمع الدرجات على جميع فقرات المقياس البالغ (١٢٥) فقرة، ويمكن لكل فرد من أفراد العينة من الناحية النظرية أن يحصل على أعلى درجة في المقياس وهي (٦٢٥) درجة، وأوطأ درجة (١٢٥). إلا أنه من الناحية الواقعية كانت أعلى درجة هي (٥٩٨)، وأوطأ درجة (٣٢٥).

والملاحظ أن المقياس الحالي بحاجاته الخمس يتمتع بخصائص سيكومترية (الصدق والثبات)؛ فقد استخرج الصدق التلازمي بين ترتيب الأفراد أنفسهم للحاجات الخمس، ودرجاتهم على المقياس؛ ولأجل الوصول إلى هذا الغرض فقد صُمِّمت استمارة تتضمن الحاجات الخمس مع توضيح تفصيلي لكل حاجة، وطُلب من أفراد العينة البالغ عددهم (١٢٤) فردًا أن يرتبوا هذه الحاجات ترتيبًا واقعيًّا حسب درجة انطباق هذه الحاجات عليهم في الوقت الحاضر، ويبيِّن الجدول(١) معاملات الارتباط بين درجة الفرد على المقياس والترتيب الواقعي للحاجات.

الجدول (١)

يبيِّن معاملات ارتباط كندال تاو بين درجة الفرد على المقياس والترتيب الواقعي للحاجات

| الحاجات | معاملات الارتباط |
|---|---|
| ١- الحاجيات الفسيولوجية. | ٠.٥٠ |
| ٢- الحاجة إلى الأمن والسلامة. | ٠.٤٧ |
| ٣- الحاجة إلى الحب والانتماء. | ٠.٤٤ |
| ٤- الحاجة إلى التقدير والاحترام | ٠.٤٩ |
| ٥- الحاجة إلى تحقيق الذات | ٠.٣٨ |

وقد تبين أن معاملات ارتباط كاندال تاو دالة إحصائية عند مستوى ٠.٠٥، وهذا يؤشر صدق المقياس بحاجاته الخمس، كما استخرج الثبات للمقياس بطريقة كرونباخ ألفا على عينة بلغت (١٠٠) فرد، وقد تراوحت معاملات الثبات بين (٠.٥٣- ٠.٨٢)، وتعد معاملات الثبات هذه عالية، وهذا يشير إلى أن الحاجات التي نحن بصدد دراستها تتمتع بالاتساق الداخلي، والذي يعد مؤشرًا من مؤشرات الثبات.

والجدول (٢) يبيِّن معاملات كورنباخ ألفا للحاجات الخمس.

obeikandl.com

الجدول (٢)

يبيِّن معاملات كورنباخ ألفا

| الحاجات | معاملات كورنباخ ألفا |
|---|---|
| ١- الحاجيات الفسيولوجية. | ٠.٨٢ |
| ٢- الحاجة إلى الأمن والسلامة. | ٠.٥٣ |
| ٣- الحاجة إلى الحب والانتماء. | ٠.٧٠ |
| ٤- الحاجة إلى التقدير والاحترام | ٠.٧٩ |
| ٥- الحاجة إلى تحقيق الذات | ٠.٨١ |

**الوسائل الإحصائية**

١- الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لإيجاد الفروق في إشباع الحاجات تبعًا لمتغير الجنس.

٢- معاملات ارتباط كندال تاو لإيجاد الصدق التلازمي، وذلك عن طريق إيجاد العلاقة بين درجة الفرد على المقياس الحالي وترتيبه للحاجات الخمس.

٣- معامل كرونباخ ألفا لإيجاد الثبات للحاجات الخمس.

**النتائج**

لغرض معرفة مستوى إشباع الحاجات لدى الأفراد، فقد استخرج الوسيط درجات أفراد العينة على مقياس الحاجات إذ بلغ (٤٧٣)، واستنادًا إلى قيمة الوسيط فقد قسمت الدرجات التي حصل عليها أفراد العينة إلى مجموعتين:

١- مجموعة من الأفراد سجلت درجة عالية على مقياس الحاجات، وذلك بحصولها على درجة أكثر من الوسيط (٤٧٣).

٢- مجموع من الأفراد سجلت درجة واطئة على مقياس الحاجات، وذلك

بحصولها على درجة أقل من الوسيط (٤٧٣).

والجدير بالإشارة أن الدرجة العالية التي يسجلها الفرد على مقياس الحاجات تعني الإحساس بعدم إشباع حاجاته، والدرجة الواطئة تعني الإحساس بإشباع حاجاته، والجدول رقم (٣) يوضح ذلك:

**الجدول (٣)**

**يوضح النسب المئوية التي حصلت عليها المجموعتان العليا والدنيا على مقياس الحاجات**

| مستوى إشباع الحاجات | النسبة المئوية |
|---|---|
| الأفراد الذين سجلوا درجة عالية على مقياس الحاجات. | ٤١.٨٠ |
| الأفراد الذين سجلوا درجة واطئة على مقياس الحاجات. | ٢٤.٤٩ |

يتضح من الجدول أن مجموعة الأفراد الذين سجلوا درجة عالية على مقياس الحاجات، كانت أكثر عددًا من المجموعة الأخرى التي سجلت درجة واطئة على المقياس نفسه، وبذلك نستطيع القول: إن أفراد العينة لم يشبعوا حاجاتهم، وبناء على هذه النتيجة تكون الفرضية الأولى قد تحققت.

ولمعرفة دلالة الفروق بين الذكور والإناث في مقياس الحاجات، فقد طبق الاختبار التائي لعينتين مستقلتين لاختبار دلالة الفروق بين متوسطات كل من الذكور والإناث في مقياس الحاجات، وقد تبيَّن أن هناك فروقًا ذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠.٠٥)، وكان الفرق لصالح الذكور، وبذلك فإن الفرضية الثانية قد تحققت، والجدول (٤) يوضح ذلك.

الجدول (٤)

يبيِّن الاختبار التائي لاختبار دلالة الفروق بين متوسطي الذكور والإناث في مقياس الحاجات

| الجنس | المتوسط | الانحراف المعياري | القيمة التائية المحسوبة | القيمة التائية الجدولية | الدلالة عند مستوى ٠.٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|
| الذكور | ٤٧٨.٢٢ | ٤٠.٢١٦ | ٢.٢٢٩ | ١.٩٦٠ | دال |
| الإناث | ٤٧٠.٨٢ | ٣٦.٦٣٣ | | | |

واستنادًا إلى هذه البيانات يمكن القول: إن الذكور أكثر معاناة من الإناث في إشباع حاجاتهم، أو بعبارة أخرى: إن الذكور أقل إشباعًا للحاجات من الإناث، وبهدف معرفة الحاجات غير المشبعة، فقد استخرج المتوسط لكل حاجة من الحاجات الخمس التي يتألف منها المقياس الحالي، والجدول (٥) يوضح ذلك.

الجدول (٥)

يبيِّن المتوسطات التي حصلت عليها الحاجات الخمس التي يتألف منها المقياس

| الحاجات | المتوسط | الترتيب |
|---|---|---|
| ١- الحاجات الفسيولوجية. | ٤٥٠.٥٨ | ٤ |
| ٢- الحاجة إلى الأمن والسلامة. | ٤٦٥.٩٥ | ١ |
| ٣- الحاجة إلى الحب والانتماء. | ٤٥٣.٦٣٠ | ٣ |
| ٤- الحاجة إلى التقدير والاحترام | ٤٦١.٨٣ | ٢ |
| ٥- الحاجة إلى تحقيق الذات | ٤٣٤.٢٤ | ٥ |

ويتبيَّن من الجدول أن الحاجة إلى الأمن والسلامة قد حصلت على الترتيب

الأول بكونها حاجة غير مشبعة، فيما احتلت الترتيب الثاني الحاجة إلى التقدير والاحترام، وفي الترتيب الثالث الحاجة إلى الحب والانتماء، وفي الترتيب الرابع الحاجات الفسيولوجية، وأخيرًا الحاجة إلى تحقيق الذات قد احتلت الترتيب الخامس بكونها حاجة غير مشبعة، وبذلك فإن الفرضية الثالثة لم تتحقق.

**مناقشة النتائج**

أشارت النتائج إلى أن الغالبية من الأفراد في المجتمع لم تشبع حاجاتها؛ وذلك يعود إلى الضغوط التي تتعرض لها، والأعباء الحياتية التي أخذت تثقل كاهل كل منهم.

ولعل من المفيد الإشارة إلى الصعوبات التي يمر بها المجتمع الآن، وما نجم عنها من تدهور للمستوى المعيشي للأفراد، فضلًا عن الفشل في تحقيق أهدافهم الشخصية، قد أدى إلى الإحساس بعدم الإشباع للحاجات المذكورة.

وتشير النتائج إلى أن الذكور أقل إشباعًا للحاجات من الإناث، وذلك يرجع أساسًا إلى أن الرجل في المجتمع أكثر تعرضًا لضغوط الحياة من المرأة، لا سيَّما في ظروف الأزمة الاقتصادية على الأقل، مما يقتضي منه السعي الدائب لتحقيق بعض أهدافه الشخصية، وفي الوقت ذاته إشباع بعض الحاجات التي لَمَّا تشبع بعدُ.

وتشير النتائج أيضًا إلى أن الحاجة إلى الأمن والسلامة قد احتلت الترتيب الأول بكونها حاجة غير مشبعة من بين الحاجات الأخرى غير المشبعة، ويمكن تفسير ذلك بأن استمرار الأزمة الاقتصادية، وعدم وجود بارقة أمل تشير بانفراجها قد جعل الأفراد على العموم يتوجسون خيفة من المستقبل، أو من أولئك الذين يتمتعون بحكم خلقي متدنٍ؛ لذا أصبح من الطبيعي في ظروف الأزمات التي تمر بها المجتمعات البشرية أن تستثير حالة من الخوف والقلق وعدم الأمان لدى أفرادها من الأيام المقبلة.

## المصـــــــادر

(١) توق، محيي الدين، وعبد الرحمن عدس. (١٩٨٤). أساسيات علم النفس التربوي، جون ويلي وأولاده: عمان.

(٢) دافيدوف، لندا. ل. (١٩٨٣)، مدخل علم النفس، ترجمة سيد الطواب وآخرون، دار ماكجروهيل للنشر: القاهرة.

(٣) شلتز، دوان. (١٩٨٣). نظريات الشخصية ترجمة حمد دلي الكرمولي وعبد الرحمن القيسي، مطبعة جامعة بغداد: بغداد.

(4) Arndt, W.B. (1974). Theories of Personality. Macmillan Publishing Company, Inc: New York.

(5) Cox, T. (1986). Stress, Maomillan Education LTD: Hong Kong.

(6) Davis, K, (1981), Human Behavior at Work: Organizational Behavior, TA TA Mc Graw-Hill Publishing Company Ltd: Newdelhi.

(7) Goble, F.G. (1970). The Third Force: The Psychology of Abraham Maslow, Gorss Man Publishers: New York.

(8) Hjelle, L.A. and D.J.Ziegler. (1981). Personality Theories: Basic assumptions, Research and Application, 2nd ed. Mc Graw-Hill Book Company: Auckland.

(9) Huizinga, G. (1970), Maslow, need Hierarchy in the Work Situation, Wolters- Noordhoff Publishing groningen: The Nether Lands.

(10) Lindgren, H.C. (1973). An Introduction to Social Psychology, John Wiley and Sons, Inc: New York.

(11) Maslow, A.H. (1954). Motivation and Personality: Harper and Row, Publishers: New York.

(12) Maslow, A.H. (1975). Theory of Human Motivation. In Steers and Porter 1983.

obeikandl.com

(13) Ryck Man, R.M. (1978). Theories of Personality. D. Van Nostrand Company: New York.

(14) Smith, D.M. (1977). Human Geography, Edwer Arnold: London.

(15) Steers, R.M. and L.W. Porter. (1983). Motivation and Work Behavior, 3rd ed., Mc Graw-Hill Book Company: New York.

(16) Wrights man, S. (1972). Social Psychology in the Seventies, Brooks/ Cole Publishing Company Monterery: California.

obeikandl.com

عزيزي المستجيب:

تحاول الدراسة الحالية أن تكشف عن الحاجات لدى عموم أفراد المجتمع.

نرجو منك أن تقرأ هذه الفقرات بدقة وإمعان، وأن تؤشر إزاء كل فقرة بإحدى البدائل الآتية:

إذا كانت الفقرة تنطبق عليك دائمًا ضع الرقم (٥).

إذا كانت الفقرة تنطبق عليك كثيرًا ضع الرقم (٤).

إذا كانت الفقرة تنطبق عليك أحيانًا ضع الرقم (٣).

إذا كانت الفقرة تنطبق عليك نادرًا ضع الرقم (٢).

أما إذا كانت الفقرة لا تنطبق عليك إطلاقًا ضع الرقم (١).

الرجاء أن لا تترك أي فقرة من هذه الفقرات دون الإجابة عليها؛ فليس هناك إجابة صحيحة أو خاطئة، بل إن إجابتك هي تعبير حقيقي لحاجاتك في الوقت الحاضر فكن دقيقًا في اختيار البديل المناسب للفقرة.

وتقبلوا فائق التقدير ..

١- أشعر بالارتياح عندما أقوم بسفرات ترفيهية.

٢- أحب الادخار للمستقبل.

٣- أحب في أصدقائي أن يثقوا بي.

٤- أحب أن أسمع أنني شخص مقبول من قبَل الآخرين وأهل الثقة.

٥- أحب القيام بأعمال تنفع الآخرين .

٦- أحب تناول الحلويات.

٧- أحب البقاء في عمل أعرفه أفضل من الانتقال إلى عمل لا أعرف عنه شيئًا.

٨- أحب في أصدقائي أن يُظْهروا لي قدرًا كبيرًا من المحبة.

٩- أحب أن يصف الآخرون علاقتي بهم بأنها خالية من المصالح أو المنافع.

obeikandl.com

١٠- أحب أن أحقق مستوى أفضل من التفوق العلمي.
١١- أحب مزاولة الألعاب الرياضية.
١٢- أحب اللجوء إلى مكان أمين عندما أشعر بخطر يهددني.
١٣- أحب أن أبقى على صلة مستمرة مع أصدقائي.
١٤- أشعر أن الناس يقولون أشياء جميلة عني.
١٥- أتقبل أوجه القصور في نفسي.
١٦- أشعر بلذة ونشوة في التدخين.
١٧- أحب العيش في بيت تتوفر فيه شروط السلامة الشخصية.
١٨- أحب أن أعقد من الصداقات قدر ما أستطيع.
١٩- أكره أن يتهمني الآخرون بالنفاق والتملق.
٢٠- أتمسك برأيي في المناقشات طالما كان صحيحًا.
٢١- أشعر بحاجة إلى التدخين عندما أكون متوترًا.
٢٢- عندما أقع في مشكلة أحب اللجوء إلى أشخاص أهل للثقة.
٢٣- أحب أن أشارك وجدانيًّا أصدقائي عندما يصابون بأذى أو مرض.
٢٤- أشعر بالانزعاج أن يقال عني: إنني متطرف في سلوكي وآرائي.
٢٥- أحب العمل في مكان يتناسب مع إمكاناتي وقدراتي.
٢٦- أشعر بحاجة إلى التدخين في أوقات الفراغ.
٢٧- أشعر بالارتياح عندما أخرج ليلًا.
٢٨- أحب أن تكون علاقاتي مع أصدقائي متينة.
٢٩- أحب أن يشار إليَّ بأنني شخص قادر على التنبؤ وتوقع الأحداث.
٣٠- أحب الوصول إلى مركز اجتماعي مرموق في المجتمع.
٣١- أحب أن يكون البيت الذي أعيش فيه مريحًا ونظيفًا.
٣٢- أحب أن أضع الأشياء الخطرة في أماكنها الصحيحة.
٣٣- أحب في أصدقائي أن يعبروا عن أحزانهم عندما أمرض.
٣٤- أتقبل الناس على علاتهم.

obeikandl.com

٣٥- أسعى دائمًا لاكتساب خبرات جديدة.
٣٦- أحب ارتداء الملابس النظيفة.
٣٧- إنني شديد الحرص لتجنب حوادث الطريق.
٣٨- أحب أن يعاملني الآخرون بلطف واحترام.
٣٩- أحب أن أكون شخصًا لامعًا بين أصدقائي.
٤٠- أحب التطلع إلى تحقيق ثروة مالية.
٤١- أحب ارتداء الملابس المقبولة اجتماعيًّا.
٤٢- أحب الابتعاد عن الأمراض.
٤٣- أحب في أصدقائي أن يشجعوني عندما أُجَابهُ الفشل.
٤٤- أحب أن يحترم الآخرون آرائي وأفكاري.
٤٥- أحب قراءة الموضوعات الجديدة والغريبة.
٤٦- أحب ارتداء الملابس التي تفي بمتطلباتي الشخصية.
٤٧- أحب الابتعاد عن الأماكن الملوثة.
٤٨- أحب في أصدقائي أن يكونوا متعاطفين معي ومتفهمين عندما تكون لدي مشكلة.
٤٩- أحب أن أكون موضع اهتمام الأصدقاء.
٥٠- أحب أن أكون منافسًا قويًّا أمام الآخرين.
٥١- أحب التنقل من مكان إلى آخر دون أن أجد صعوبة في وسائط النقل.
٥٢- ينتابني شعور بعدم الأمان عندما يحين الليل.
٥٣- أحب أصدقائي أن يقدموا لي العديد من الخدمات البسيطة بصدر رحب.
٥٤- أحب في أصدقائي أن يثيروا ضجة من أجلي عندما أصاب بأذى أو مرض.
٥٥- أهتم كثيرًا بالبحث عن طرق جديدة لحل المشكلات.
٥٦- أحب السير في الهواء الطلق.

obeikandl.com

٥٧- أشعر بالخوف من أصوات الرعد.
٥٨- أحب في أصدقائي أن يساعدوني عندما أقع في مأزق.
٥٩- أحب أن تكون قدرتي في التأثير على الآخرين قوية.
٦٠- أحب الاطلاع على ميادين الحياة المختلفة.
٦١- أحب الهدوء في ممارسة أعمالي.
٦٢- أشعر بالارتياح عند تلاوة القرآن الكريم أو الإنجيل.
٦٣- أحب في أصدقائي أن يعتبروني كريمًا ولطيفًا.
٦٤- أحب إنجاز الأشياء التي لا يقدر الآخرون على إنجازها.
٦٥- أحب الابتعاد عن عائلتي عدة سنوات لتحقيق آمالي المستقبلية.
٦٦- أحب الاشتراك في مناقشات حول الجنس وما يتعلق به من نشاطات.
٦٧- أحب أن تكون العائلة التي أعيش في وسطها خالية من المشاكل.
٦٨- أحب الابتعاد عن الحقد والبغضاء قدر ما أستطيع.
٦٩- أحب أن أكون شخصًا كفءًا، ويشار إليه بالبنان.
٧٠- أرغب في تطوير قابلياتي العلمية والثقافية.
٧١- أحب أن تكون وجبات الطعام شهية.
٧٢- أحب أن يكون لي بيت خاص بي.
٧٣- أحب أن أتزوج الشخص الذي أحبه.
٧٤- لديَّ ثقة كبيرة بنفسي في فهم ما يستعصي على الآخرين فهمه.
٧٥- أحب أن أكون في سباق مع الزمن من أجل النجاح في الحياة.
٧٦- أحب الإصغاء إلى النكات الجنسية وروايتها.
٧٧- أحب أن يكون لي مورد رزق ثابت.
٧٨- أحب أن أرتبط بعلاقة مع شخص من الجنس الآخر.
٧٩- أتطلع باستمرار إلى جذب الأنظار حولي.
٨٠- أحب أن أضحي براحتي من أجل تحقيق هدفي في الحياة.
٨١- أحب أن أستمتع بنومي صباحًا على أن أمارس عملي في وقت متأخر من

obeikandl.com

الصبح.
٨٢- أشعر بالاطمئنان عندما أتصرف بسلوك قويم.
٨٣- أحب أن تكون لي أسرة ناتجة عن الزواج.
٨٤- أحب التطلع إلى الشهرة.
٨٥- أشعر بأنني بحاجة إلى معلومات جديدة.
٨٦- أحب مشاهدة الأفلام والمسلسلات التليفزيونية التي يلعب فيها الجنس دورًا كبيرًا.
٨٧- أشعر بالاكتئاب عندما يقع اعتداء على شخص معين.
٨٨-أحب أن تكون لي أسرة يسود أفرادها الحب والحنان.
٨٩- أحب أن يقال عني: إنني شخصية اجتماعية محببة.
٩٠- أحب إنجاز الأعمال الصعبة.
٩١- أحب المشاركة في ارتداء ملابس المودة (الموضة).
٩٢- أحب أن أتجنَّب مخالطة أصدقاء السوء.
٩٣- أشعر بالضيق والحزن عندما أبتعد عن الآخرين.
٩٤- أحب الناس الذين يغدقون لي المديح.
٩٥- لدى خطوات مدروسة في بلوغ أهدافي في الحياة.
٩٦- أحب قراءة الكتب والروايات التي يلعب فيها الجنس دورًا رئيسيًّا.
٩٧- تزعجني ضوضاء الحي السكني.
٩٨- أحب أن أشارك في جماعات يحمل أفرادها مشاعر ودية نحوي.
٩٩- أشعر أن أحكامي ذات قيمة لدى الآخرين.
١٠٠- لديَّ رغبة شديد في طلب العلم.
١٠١- أبحث عن الهواء البارد المنعش عندما يكون الجو حارًّا.
١٠٢- أحب أن يكون الناس في حالة تساوي أمام القانون.
١٠٣- أحب أن أكون مخلصًا لأصدقائي.
١٠٤- أرى من الأفضل للفرد أن يتقبل نفسه على علاتها.

obeikan.com

١٠٥- أشعر بالرضا عن قدراتي وإمكاناتي.
١٠٦- أحب أن يعتبرني أفراد الجنس الآخر جذَّابًا.
١٠٧- أشعر أن العالم الذي نعيش فيه خطير وعدائي، وأنه أصبح كالغابة.
١٠٨- أحب معاملة الآخرين بلطف.
١٠٩- أسعى دائمًا لإنجاز عمل يتحدث عنه الآخرون.
١١٠- يمكنني التعبير بحرية عن نفسي.
١١١- أبحث عن الدفء عندما يكون الجو باردًا.
١١٢- أشعر بسعادة الحياة أكثر من آلامها.
١١٣- أحب أن أكون محترمًا من قبَل أسرتي.
١١٤- أحب أن يقال عني: إنني شخص ذكي.
١١٥- أحب أن تكون أعمالي دقيقة دائمًا.
١١٦- أحب مصاحبة ذوي الجاذبية من الجنس الآخر.
١١٧- أشعر بالخوف والقلق عندما يرن جرس الهاتف أو الباب.
١١٨- أحب أن أتجنب كراهية الأصدقاء لي.
١١٩- أحب أن يتهمني الأصدقاء بأنني شخص مجادل، عنيد، من الصعب إقناعه.
١٢٠- أشعر أنني قادر على تحقيق طموحاتي.
١٢١- أحب أن تكون وجبات الطعام رخيصة ورفيعة.
١٢٢- أشعر أن الحياة قد أصبحت ثقيلة وتافهة.
١٢٣- أشعر بالألفة والانتماء عند وجود الآخرين معي.
١٢٤- أشعر بالارتياح من مظهري الشخصي.
١٢٥- أعمل جاهدًا على تدبير أموري بنفسي.

obeikandl.com

## الفهـــــرس


| عنوان البحث | اسم الباحث | الصفحة |
| --- | --- | --- |
| ١- تقويم تجربة الامتحانات المركزية في الجامعات العراقية. | أ. كامل علوان الزبيدي | |
| ٢- أثر برنامج تدريبي لتطوير مهارات الاتصال الإرشادية في المقابلة. | أ. صبحي عبد اللطيف المعروف<br>د. زينات فاضل الحديثي | |
| ٣- أثر الحرب في اتجاهات الأطفال العراقيين نحو مهنة المستقبل. | د. علي جاسم الزبيدي<br>د. ناجح كريم خضر | |
| ٤- المعايير والقيم والأعراف السائدة في الأقسام الدراسية في جامعة بغداد. | أ. مهدي صالح السامرائي | |
| ٥- الضغوط المهنية لدى الموظفين والموظفات في مؤسسات الرعاية الاجتماعية. | د. سعاد معروف الدوري | |
| ٦- أثر استخدام طريقة التعلم التعاوني مقارنة بالطريقة التقليدية في تحصيل الطالب الجامعي. | د. ردمان محمد سعيد | |
| ٧- آراء التدريسيين المشاركين في اللجان التصحيحية حول أسئلة المواد الدراسية المشمولة بالامتحانات المركزية للعام الدراسي ٩٧-٩٨ الدور الأول. | د. سعدون رشيد عبد اللطيف<br>د. ليلى عبد الرزاق نعمان<br>د. خولة عبد الوهاب القيسي | |
| ٨- دراسة مقارنة في الحاجات النفسية لطلبة الجامعة بين عامي ٦٨-٩٨. | د. عبد العالي محمد سلمان | |


obeikandl.com

| عنوان البحث | اسم الباحث | الصفحة |
|---|---|---|
| ٩- الأسس النظرية والمنهجية للعلاج النفسي الوجودي. | د. ناجي محمود النواب | |
| ١٠- أثر العمر في تطور الإدراك البصري للأشكال. | ضحى عادل محمود العاني | |
| ١١- الضغوط النفسية التي يتعرض لها طلبة الصف السادس الإعدادي للفرعين العلمي والأدبي ٩٣- ٩٤. | بدر حمزة صالح الشريفي<br>حسين ربيعي حمادي العلواني | |
| ١٢- القيادة الإدارية في القرآن الكريم | د. رياض عبد اللطيف حسن | |
| ١٣- الإرشاد الأكاديمي في الجامعة كما يراه الطالب الجامعي. | د. أكرم دحام زغير | |
| ١٤- اتجاهات طلبة قسم الرياضيات نحو استخدام الحاسوب في التعليم. | د. ماجدة إبراهيم الباوي<br>عامر إبراهيم التكريتي | |
| ١٥- أخلاقيات مهنة التدريس الجامعي عند تدريسي جامعة القادسية. | د. عدنان علي رزوتي الجميلي<br>د. عبد الرزاق محسن الربيعي.<br>د. عبد الكريم السوداني | |
| ١٦- مستوى إشباع الحاجات وفقًا لنظرة ماسلو. | د. محمود شمال حسن | |


obeikandi.com

obeikandl.com

## البغـــاء

### المقدمة

يعد البغاء إحدى المشكلات التي أخذت تعاني منها بعض المجتمعات، لا سيما تلك التي مرت بتغيرات اجتماعية التي أثرت بدورها على التماسك الاجتماعي، والبحث الحالي هو محاولة للكشف عن الظروف التي تؤدي بالمرأة إلى انتهاك نفسها، ليتسنى للمؤسسات الاجتماعية المسئولة وضع الخطط والبرامج لمعالجة تلك المشكلة التي أخذت تستفحل في المجتمع.

### الخلفية النظرية للبغاء

يتأثر البغاء بعدد من المتغيرات النفسية والاجتماعية والاقتصادية، وبهدف معرفة مساهمتها في الظاهرة قيد الدارسة فإننا آثرنا أن نتناولها على النحو الآتي:

١- لقد وجد أن ثمة علاقة بين الفقر والبغاء[1] Prostitution إذ تنطلق هذه العلاقة من مقولة: إن المرأة التي تعاني من الفقر من السهل عليها أن تكون بغيًّا، وهنا نثير بعض التساؤلات كيف يؤدي الفقر إلى البغاء؟ وهل إن الفقر يؤدي دائمًا إلى البغاء؟ وإذا كان الأمر يقتصر على حالات معينة ما الحالات هذه؟

**للإجابة عن هذه التساؤلات نقول:** إن المرأة التي تفقد مصدر رزقها أو معيلها الاقتصادي ولم تجد ما يشبع حاجاتها الفسيولوجية على وجه التحديد؛ تضطر مرغمة إلى البحث عن وسيلة عمل تساعدها على مواجهة النقص الحاد في دخلها، وربما تجد في البغاء ما يساعدها على مواجهة مقتضيات الحياة اليومية؛ شريطة أن تسهم متغيرات أخرى مع متغير الفقر، لعل في مقدمتها تدني حكمها الخلقي، واضطراب أوضاعها الأسرية، وتدني مستواها الثقافي، فضلًا عن مخالطة بعض النساء اللواتي يحترفن البغاء؛ فمن الممكن -والحال هذه- أن تقدم المرأة على انتهاك نفسها.

٢- يلاحظ من خلال الدراسات أن النساء اللواتي أصبحن بغايا كانت

الغالبية العظمى منهن يأتين من بيئات تعاني من الاكتظاظ السكاني[٢] على مستوى المنزل الواحد، وكذلك على مستوى الحي السكني.

إذا نحن عدنا إلى الأسباب التي تجعل الازدحام محرضًا على البغاء وجدنا أن تكدس عدد من الأفراد في غرفة واحدة يشاركون فيها الوالدين ربما تكون بداية لمعرفة بعض أسرار الحياة الجنسية، لا سيما عندما يشاهدون بأم أعينهم عمليات الاتصال الجنسي الحادثة بين الوالدين، وربما تقود مثل هذه المشاهد إلى سؤال يوجهونه إلى الآخرين فيتعرفون من خلاله على بعض الأسرار التي تفوق معرفتهم بها،كذلك يؤدي الاكتظاظ على مستوى الحي السكني إلى الاتصال والاختلاط المباشر، وربما يقود هذا الاختلاط إلى معرفة بعض النساء اللواتي يحترفن البغاء، وذلك بسرد أحاديث عن اقتناء بعض السلع المنزلية، والسلع ذات الصفة الشخصية، وبعد أن تتوطد العلاقة يبدأ الحديث عن الإغراءات التي يقدمها البغاء للمرأة، وما نريد قوله هنا أن الازدحام ربما يهيئ المرأة لأن تصبح بغيًّا في وقت لاحق لا سيما تلك المرأة التي لديها استعداد لممارسة البغاء.

٣- لعل الوضع الأسري الذي تعيش المرأة بين ظهرانيه أحدُ محرضات البغاء؛ فلقد وجد من الدراسات التي أجريت في هذا المجال أن ثمة علاقة بين الوضع الأسري والبغاء [٣] إذ تستند هذه العلاقة إلى مقولة: إن التفكك الأسري المتمثل بوفاة الوالدين أو أحدهما، وانفصام عرى العلاقة الزوجية بينهما -فضلًا عن ضعف علاقتها بأفراد أسرتها- قد تضطر إلى البحث عن مصدر للإسناد الاجتماعي يساعدها في التغلب على بعض مشكلاتها، وربما تعثر على مصدر إسنادي يتسم في بداية الأمر بالدفء والألفة ثم سرعان من ينقلب إلى مصدر شقاء وتعاسة بعد التورط في مخالفة خُلُقية بسيطة، وربما تقود هذه المخالفة إلى التورط في مخالفات أكبر للقواعد الخُلُقِيَّة، وعند ذاك ستجد نفسها منهمكة في عالم البغاء بكل ما

أوتي لها من حيلة ودهاء.

٤- ربما تكون المهنة التي تحترفها المرأة من المحرضات على البغاء؛ فلقد تبين أن المهن التي يكثر فيها الاتصال وتبادل الأحاديث مع الآخرين يجعل المرأة أميل إلى انتهاك نفسها[٤] من مهن أخرى تفتقر إلى مثل هذا الاتصال.

وإذا نحن عدنا إلى الأسباب التي تجعل هذه المهن محرضة على البغاء وجدنا أن تردد الأفراد على أماكن هذه المهن قد زاد من عرى العلاقات مع الملاك الوظيفي.

وعلى وجه التحديد مع النساء فما أن يقبل أحدهم إلى هذه المؤسسة أو تلك حتى يجد من يسهل له أمره ثم إن منح الهدايا، وتبادل بعض الأحاديث التي تنطوي على إعجاب يجعل من الآخر (النساء) أكثر مرونة؛ مما يفضي إلى تقليل المسافة الشخصية في اللقاءات القادمة، ثم بعد ذلك يتم تبادل الخطابات التي تنطوي على الغزل وقد تجد بعض النساء اللواتي يعانين من الحرمان العاطفي والكبت ما يخفف عنهن حاجاتهن غير المشبعة.

وربما يتطور الأمر إلى تنظيم لقاءات في الفضاء الخارجي يتبادل فيها الطرفان عبارات الغزل، والمديح، والإعجاب، والانبهار، وقد ينقلب اللقاء الذي ينطوي على الغزل، والمديح إلى لقاء ينطوي على ألفاظ في غاية القبح، والفجور وقد تعتاد المرأة على تناول مثل هذه الأحاديث مع بعض زميلاتها اللواتي لديهن خصائص شخصية تكاد تكون متقاربة، وعلى ذلك فإن النساء اللواتي يعملن في هذه المهن قد ينتهكن أنفسهن بعد توافر بعض المحرضات في موقف ما.

٥- تشير الدراسات التي أجريت حول البغاء أن المرأة البغي تنتمي في العادة

إلى الفئات العمرية التي تتمتع بالحيوية والشباب أي في الفئة العمرية التي تتراوح بين (١٥ - ٣٠) سنة[٥] وأحيانًا تصل إلى فئة (٣٥) سنة.

والحقيقة أن الفئة العمرية تعد من الضرورات لاحتراف البغاء؛ فكلما كانت المرأة أصغر سنًا أصبحت موضع اهتمام، وقبول من طالبي المتعة، ويحدث العكس في حال تقدمها في العمر، فقد يقل عليها الإقبال، وعلى ذلك فإن العمر يعد من المتغيرات المهمة لممارسة البغاء.

٦- لقد أصبح واضحًا أن المستوى الثقافي يعد من المتغيرات المؤثرة في السلوك الاجتماعي للفرد؛ فلقد وجد أن ثمة خطأً ارتقائيًّا بين المستوى الثقافي والحكم الخلقي؛ فكلما ارتفع المستوى الثقافي للفرد كان حكمه الخلقي عاليًا، وكلما كان المستوى الثقافي متدنيًا أصبح حكمه الخلقي بالتبعية متدنيًا[٦] وفي هذا السياق نشير إلى أن الغالبية العظمى من البغايا يتمتعن بمستوى ثقافي متدنٍ؛ مما يعني أن المستوى الثقافي له أثر واضح في تهذيب سلوك الفرد؛ لذا فإن المستوى الثقافي ينبغي أن يراعي عند دراسة البغاء.

٧- إن الحالة الاجتماعية للمرأة البغي تعد من المتغيرات التي يجب أن تراعى عند دراسة الظروف التي تؤدي بها إلى انتهاك نفسها.

معروف أن المرأة المطلقة أو الأرملة التي انقطع عنها الرزق الحلال فضلًا عن الصعوبات التي تواجهها في سد مقتضيات الحياة اليومية قد تجد في احتراف البغاء السبيل الذي يساعدها على معالجة أوضاعها الحيايتة، وبطبيعة الحال إن المرأة التي ينقطع عنها الرزق الحلال لا يعني أنها تنقلب إلى بغي، بل نقول: إن الحالة الاجتماعية التي تمر بها مع إسهام المتغيرات الأخرى تجعلها مهيئة لتقبل فكرة البغاء.

٨- لا ننسى ونحن نعالج موضوع البغاء الإشارة إلى أن المرأة التي تنتهك

نفسها هي تلك المرأة التي تتمتع بحكم خلقي متدنٍ، في هذا السياق نشير إلى أن الأفراد الذين ينتهكون القواعد الخُلُقِيَّة عادة ما يحصلون على درجات متدنية في مقاييس الحكم الخلقي[٧] ويعزى سبب ذلك إلى أن هؤلاء لم يتمكنوا من استدخال القواعد الخُلُقِيَّة العامة في المجتمع ولما كانوا كذلك؛ فلقد أصبح من السهل عليهم عدم الالتزام بها؛ ومن ثمَّ انتهاكها وخرقها ولعل الأمر نفسه ينطبق على المرأة البغي؛ ذلك أن تدني حكمها الخلقي أفقدها القدرة على ضبط نفسها إزاء ما يحدث في المحيط الاجتماعي، والحقيقة إن المرأة التي تضعف مقاومتها للإغراء يصبح من السهل عليها انتهاك القواعد الخُلُقِيَّة.

**فرضيات البحث**

١- تنتمي البغي إلى الفئة العمرية الشابة.
٢- تعاني البغي من وضع اقتصادي متدنٍ.
٣- تفد البغي من أسرة مفككة.
٤- يعد الطلاق من المؤشرات الاجتماعية المميزة لشخصية البغي.
٥- تتصف البغي بتدني مستواها التعليمي.
٦- تفد البغي من أسرة مزدحمة.
٧- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو الأم.
٨- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو الأب.
٩- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو وحدة الأسرة.
١٠- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو النساء.
١١- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو العلاقات الزوجية.
١٢- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو الأصدقاء والمعارف.
١٣- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو الأشخاص في مواقع السلطة.
١٤- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو المرءوسين.

obeikandl.com

١٥- تحمل البغي اتجاهًا سلبيًّا نحو الزملاء في العمل.
١٦- تنتاب البغي مشاعر من الخوف تتصل بالظروف المحيطة بها.
١٧- تنتاب البغي مشاعر من الذنب تتصل بالأعمال التي اقترفتها في وقت مضى.
١٨- تحمل البغي مفهومًا سلبيًّا عن ذاتها.
١٩- تعاني البغي من خبرات مؤلمة حدثت لها في وقت مضى.
٢٠- تحمل البغي اتجاهًا ينطوي على التشاؤم من المستقبل.
٢١- تمتلك البغي أهدافًا حياتية غير واقعية.

## طريقة البحث

### العينة

سُحِبَت عينة البحث الحالي من النساء اللواتي صدرت بحقهن أحكام قانونية وذلك لممارستهن البغاء، وقد أودعن في سجن النساء. ولقد حرص الباحث أثناء المقابلة التي كانت تُجْرى معهن على إدخال كل واحدة منهن ضمن عينة البحث شريطة أن يصدر منها اعترافًا صريحًا بأنها اتخذت من البغاء حرفة لها.

وتستبعد النساء اللواتي رفضن الإقرار بمعرفة البغاء وبما أن المجتمع الأصلي للدراسة محدود جدًّا وضئيل ولا يتيح للباحث حرية الانتقاء للعينة؛ فلقد سُحِبَت بطريقة عمدية، أي العدد المتاح من النساء اللواتي مارسن البغاء وبذلك بلغت عينة البحث الحالي (٥٠) بغيًّا.

### الأداة

**١- استمارة المسح الاجتماعي**

إن الغرض من إعداد هذه الاستمارة هو الحصول على معلومات شخصية، واجتماعية، واقتصادية تخص النساء اللواتي مارسن البغاء، ولقد

اشتملت هذه الاستمارة على الجوانب الآتية:

أ- بيانات عن العمر، والحالة الاجتماعية، وعدد أفراد الأسرة، والتحصيل الدراسي للبغي.

ب- بيانات عن الوضع الاقتصادي للبغي كالمهنة، وعائدية السكن، والدخل الشهري.

جـ- بيانات عن السكن، وعائديته، وعدد غرف النوم لأسرة البغي.

د- بيانات عن أماكن ممارسة البغاء.

هـ- بيانات عن الوضع الأسري، من حيث استمرار والدي البغي على علاقتهما الزوجية، وبقائهما في الحياة، وإدمان بعض أفراد الأسرة على الكحول، أو ترددهم على المراقص، والملاهي الليلية.

**٢- اختبار ساكس لتكملة الجمل.**

لقد اعتمد البحث الحالي على أداة جاهزة أعدها جوزيف ساكس بقصد قياس توافق الفرد في مجالات مختلفة من الحياة، وقد اعتمد هذا الاختبار على الأسلوب الإسقاطي، وذلك بصياغة عبارات أو جمل ناقصة يطلب فيها من المستجيب تكملتها؛ وبطبيعة الحال إن تكملة الجمل ستكشف عن دوافع أو صراعات الفرد الخفية، وربما لا يكشف عنها في الأحوال الاعتيادية.

بعبارة أخرى إن الأسلوب الإسقاطي المتمثل هنا بتكملة الجمل ستساعد المتخصص أو الباحث على الكشف عن الأفكار الصريحة والحقيقة التي تدور في ذهن المستجيب.

إن ثمة أسبابًا دعت الباحث إلى اختيار هذا الاختبار والتركيز عليه دون غيره من الاختبارات الإسقاطية الأخرى لعل من أبرزها:

١- إن الاختبار الحالي يشتمل على عديد من الأنواع الدالة على التوافق إذا نحن عدنا إلى الاختبار وجدنا أن هناك (١٥) مجالًا أو اتجاهًا كما يسميها

ساكس صاحب الاختبار تقيس قدرة الفرد على التوافق في مجالات حياتيه مختلفة.

٢- لقد طبق الاختبار الحالي في البيئة العراقية على عينات مختلفة بعد أن ترجمه الحمداني ١٩٨٥ في العراق إلى اللغة العربية؛ فلقد طبقه البياتي ١٩٨٥ على عينة من الجانحين وعلى كلا الجنسين ثم طبقه الحمداني وآخرى ١٩٨٥ على عينة من مرتكبي جرائم القتل وفي عام ١٩٩٤ طبق الاختبار على عينات ضمت الموظفين العاملين في المؤسسات الحكومية وأقرانهم الذين ارتكبوا جرائم السرقة والاختلاس والتزوير الرشوة، ولقد أثبت الاختبار كفاءة في هذه الدراسات فيما يتصل بالحصول على النتائج المطلوبة.

٣- ومما يجعل الاختبار أكثر ملائمة للبيئة العراقية أن مترجمه استخرج له معاييرًا عراقية في دراسات لاحقة.

إن اختبار ساكس يهدف إلى الحصول على توافق الفرد في أربعة مجالات هي:

١- **الأسرة:** ويشتمل هذا المجال على الاتجاه نحو الأم، والاتجاه نحو الأب والاتجاه نحو وحدة الأسرة.

٢- **الجنس:** ويشتمل هذا المجال على الاتجاه نحو الجنسين والعلاقات الزوجية.

٣- **العلاقات الشخصية المتبادلة:** ويشتمل هذا المجال على الاتجاه نحو الأصدقاء والمعارف والاتجاه نحو زملاء العمل أو المدرسة، والاتجاه نحو رؤساء العمل أو المدرسة والاتجاه نحو المرءوسين.

٤- **مفهوم الذات:** يشتمل هذا المجال على فكرة الفرد عن نفسه، من حيث المخاوف والشعور بالذنب والأهداف الحياتية وفكرته عن قدرته عن ماضيه ومستقبله.

إن هذه المجالات تتوزع على (١٥) اتجاهًا إذ يتضمن كل اتجاه على أربع فقرات وبذلك يكون مجموع العبارات أو الفقرات الناقصة للاختبار هي (٦٠) عبارة أو فقرة والاتجاهات التي يتضمنها الاختبار يمكن إدراجها على النحو الآتي:

١-الاتجاه نحو الأم.
٢- الاتجاه نحو الأب.
٣- الاتجاه نحو وحدة الأسرة.
٤- الاتجاه نحو المرأة.
٥- الاتجاه نحو الجنس.
٦-- الاتجاه نحو الأصدقاء والمعارف.
٧- الاتجاه نحو الرؤساء.
٨- الاتجاه نحو المرءوسين.
٩- الاتجاه نحو الزملاء في العمل.
١٠- الاتجاه نحو المخاوف.
١١- الاتجاه نحو الشعور بالذنب.
١٢- الاتجاه نحو القدرات الذاتية.
١٣- الاتجاه نحو الماضي.
١٤- الاتجاه نحو المستقبل.
١٥- الاتجاه نحو الأهداف.

لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن الاختبار الحالي يتمتع بخصائص سايكو مترية؛ فلقد استخرج صدق البناء عن طريق حساب معاملات الارتباط بين المجالات التي يتألف منها، وكانت غير دالة إحصائيًا مما يشير إلى أن الاختبار يقيس مجالات مستقلة كما استخرج الثبات عن طريق إيجاد معامل الارتباط بين نتائج التصحيح التي توصل إليها المحللون؛ فلقد بلغ (٠.٨٠)[٨].

obeikandl.com

وفي الدراسة التي أجراها البياتي استخرج الثبات عن طريق إيجاد معامل الارتباط بين فترتي التصحيح وقد بلغ الثبات بهذه الطريقة (٠.٩٥) [٩].

وفي دراسة أجريت عام ١٩٩٤ استخرج الثبات عن طريق إيجاد معامل الارتباط بين تصحيح الباحثة والمحلل الخارجي وقد بلغ (٠.٨٣) ثم بعد ذلك أعيد تصحيح استجابات (٥٠) مستجيبًا بعد مضي شهر؛ بهدف الحصول على الاتساق في الثبات عبر الزمن وبلغ معامل الارتباط عبر فترتي التصحيح (٠.٩١)[١٠] وبذلك فإن الاختبار الحالي أثبت اتساقًا عبر الزمن أولًا وعبر محلل خارجي ثانيًا، مما يعني أن الاختبار أثبت كفاءةً في الوصول إلى نتائج دقيقة ولقد اعتمد البحث الحالي على النسخة المصرية التي وردت بصيغتها النهائية في دراسة العاني ١٩٩٤[١١].

وبهدف معرفة طريقة التصحيح التي اعتمد عليها الاختبار الحالي آثرنا تلخصيها على النحو الآتي:

يقرأ الباحث الاستجابات قراءة متمعنة بعد أن يخضع نفسه للتدريب على عملية التصحيح؛ بهدف تصنيف الاستجابات فيما بعد، ثم بعد ذلك يحدد الدرجات المعطاة إذ يعطي صفرًا للاستجابة التي لم يجد فيها الباحث أية اضطرابات انفعالية ويعطي درجة واحدة للاستجابة التي تشير إلى وجود اضطراب انفعالي طفيف أو وجود بعض الاضطرابات الانفعالية التي يعاني منها المستجيب بيد أنه قادر على معالجتها أو التخلص منها ويعطي (درجتين) للاستجابة التي تشير إلى وجود اضطراب انفعالي شديد وأن المستجيب غير قادر على معالجتها وبذلك تنحصر درجات كل اتجاه بين (صفر - ٨).

النتائج

أولًا: النتائج المتعلقة باستمارة المسح الاجتماعي

١- العمر

تراوحت أعمار أفراد العينة بين (١٨- ٧٠) سنة وبمتوسط بلغ (٣٨.٦٤) سنة وبهدف معرفة الفئة العمرية لأفراد العينة فإن الجدول (١) يوضح ذلك.

الجدول (١)

يوضح النسب المئوية للفئات العمرية

| الفئات العمرية | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| ١٨-٢٣ | ٦ | ١٢ |
| ٢٤-٢٩ | ٦ | ١٢ |
| ٣٠-٣٥ | ١٢ | ٢٤ |
| ٣٦-٤١ | ٥ | ١٠ |
| ٤٢-٤٧ | ١١ | ٢٢ |
| ٤٨-٥٣ | ٦ | ١٢ |
| ٥٤-٥٩ | ١ | ٢ |
| ٦٠-٦٥ | ٢ | ٤ |
| ٦٦ فأكثر | ١ | ١ |

يتضح من الجدول (١) أن الفئة العمرية الأكثر شيوعًا بين أفراد العينة هي الفئة التي تراوحت بين (١٨- ٣٥) سنة إذ بلغت نسبتها (٤٨٪) ثم تلتها الفئة العمرية الواقعة بين (٣٦- ٤٧) إذ بلغت نسبتها (٣٢٪) فيما توزعت النسبة المتبقية ومقدارها (٢٠٪) على الفئات العمرية الأخرى.

٢- الحالة الاجتماعية

بلغت نسبة المتزوجات (٣٨٪) فيما بلغت نسبة المطلقات منهن (٣٨٪) أيضًا

وبلغت نسبة الأرامل (٢٢٪) وأخيرًا بلغت نسبة غير المتزوجات منهن (٢٪).

٣- المهنة

لقد كانت الغالبية العظمى من عينة البحث الحالي من ربات البيوت. وبلغت نسبتهن (٨٦٪) فيما توزعت النسبة المتبقية وهي(١٤٪) على أعمال الخياطة والخدمة في المطاعم والعمل في صالونات الحلاقة النسائية والدوائر الحكومية.

٤- عائدية السكن

بلغت نسبة النساء اللواتي تمتلك أسرهن وحدات سكنية بنوعيها الدارالمستقل والشقة السكنية (٤٢٪) بينما بلغت نسبة النساء اللواتي لا تمتلك أسرهن مثل هذا الوحدات من السكن (٥٨٪) وبذلك فإن عدم امتلاك وحدة سكنية هي النسبة الغالبة بين أفراد العينة.

٥- الدخل الشهري

تراوح الدخل الشهري لأفراد العينة بين (٣٠٠٠- ٦٠٠٠٠) دينار وبقصد معرفة فئات الدخل الشهري لأفراد العينة فإن الجدول (٢) يوضح ذلك.

الجدول (٢) يوضح النسبة المئوية لفئات الدخل الشهري

| فئات الدخل الشهري | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| أقل من ١٠ آلاف دينار | ٩ | ١٨ |
| ١٠ آلاف - ١٩ ألف دينار | ٨ | ١٦ |
| ٢٠ ألف - ٢٩ ألف دينار | ١١ | ٢٢ |
| ٣٠ ألف -٣٩ ألف دينار | ٨ | ١٦ |
| ٤٠ ألف - ٤٩ ألف دينار | ١ | ٢ |
| ٥٠ ألف دينار فأكثر | ١٣ | ٢٦ |

يتضح من الجدول أن الغالبية العظمى لأفراد العينة يترواح دخلها

الشهري بين أقل من ١٠.٠٠٠ دينار- ٣٩٠٠٠ دينار) إذ بلغت نسبة النساء اللواتي يتراوح دخل أسرهن بين هذه الفئات (٧٢٪) فيما بلغت نسبة الفئات الأخرى من الدخل (٢٨٪) واضح أن فئات الدخل الشهري وحتى الفئات العليا منها لما تزل بعد قليلة وغير كافية استنادًا إلى الأسعار الجارية وحجم الإعالة لعدد من الأفراد في الأسرة الواحدة.

### ٦- التحصيل الدراسي

لقد تبين أن أفراد العينة من النساء يتوزعن على المستويات المشار إليها في الجدول (٣) فيما يتصل بتحصيلهن الدراسي.

**الجدول (٣)**

**يوضح النسبة المئوية لمستويات التحصيل الدراسي للنساء**

| مستويات التحصيل الدراسي | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| النساء اللواتي لا يقرأن ولا يكتبن | ٢١ | ٤٢ |
| النساء اللواتي يقرأن ويكتبن | - | - |
| النساء الحاصلات على شهادة الدراسة الابتدائية | ١٨ | ٣٦ |
| النساء الحاصلات على شهادة الدراسة المتوسطة | ١١ | ٢٢ |

واضح أن التحصيل الدراسي لأفراد العينة لم يتجاوز حدود الدراسة المتوسطة مما يعني أن المستوى التعليمي لما يزل بعد ضعيفًا.

### ٧- الوضع الأسري

تشير البيانات في الجدول (٤) إلى الوضع الأسري الذي تتمتع به النساء من عينة البحث الحالي.

الجدول (٤)

يوضح النسبة المئوية لطبيعة الوضع الأسري

لعينة البحث الحالي

| طبيعة الوضع الأسري | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| بقاء الأب على قيد الحياة | ١٥ | ٣٠ |
| بقاء الأم على قيد الحياة | ٢٢ | ٤٤ |
| وفاة الأب | ٣٥ | ٧٠ |
| وفاة الأم | ٢٨ | ٥٦ |
| استمرار عرى العلاقة الزوجية بين الأب والأم | ٤١ | ٨٢ |
| انفصام عرى العلاقة الزوجية بين الأب والأم | ٩ | ١٨ |
| إدمان أحد أفراد الأسرة على الكحول | ١٠ | ٢٠ |
| تردد أحد أفراد الأسرة على المراقص والملاهي الليلية | ١٠ | ٢٠ |

واضح أن الوضع الأسري لأفراد العينة على العموم يتسم بالتفكك.

**٨- حجم الأسرة**

تراوح حجم الأسرة لأفراد العينة بين (١- ١٥) فردًا وبمتوسط بلغ (٦.٧) فردًا والجدول (٥) يوضح ذلك.

obeikandl.com

الجدول (٥)

يوضح النسبة المئوية لأحجام أسر أفراد العينة

| حجم الأسرة | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| ١-٣ | ١١ | ٢٢ |
| ٤-٦ | ١٨ | ٣٦ |
| ٧-٩ | ١٠ | ٢٠ |
| ١٠-١٢ | ٥ | ١٠ |
| ١٣ | ٦ | ١٢ |

يتضح من الجدول أن الفئة ((١-٦) فرد تشكل النسبة الكبيرة من أفراد العينة إذ بلغت (٥٨٪) والفئة (٧-١٢) فرد بلغت نسبتها (٣٠٪).

٩- عدد غرف النوم

تتراوح عدد غرف النوم لأفراد العينة بين (١-٦) غرفة نوم، و وبمتوسط بلغ (٢.٩) غرفة والجدول (٦) يوضح النسبة المئوية لفئات غرف النوم لعموم أفراد العينة.

الجدول (٦)

يوضح النسبة المئوية لفئات غرف النوم

| فئات الدخل الشهري | العدد | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| ١-٢ | ٢٠ | ٤٠ |
| ٣-٤ | ٢١ | ٤٢ |
| ٥فأكثر | ٩ | ١٨ |

يتضح من الجدول إن فئة (٣-٤) غرفة احتلت النسبة الكبيرة إذ بلغت (٤٢٪) ثم جاءت بعدها الفئة (١-٢) غرفة إذ بلغت نسبتها (٤٠٪) وأخيرًا

الفئة (٥) فأكثر من غرف النوم بلغت نسبتها (١٨٪).

واضح أنه لا يمكننا بأي حال من الأحوال القول: إن النساء من عينة البحث الحالي تتمتع بعدد كافٍ من غرف النوم، وذلك لأن النسبة المئوية بين الفئة (١-٢) غرفة وفئة (٣-٤) غرفة تكاد تكون متقاربة مما يعني أننا نحذر من تعميم مثل هذه النتيجة، لذا فإن المنطق يقتضي معرفة نصيب الأفراد من غرف النوم؛ ليتسنى لنا بعد ذلك تحديد نسبة الأشغال المقبولة أو المريحة داخل المنزل، وبقسمة عدد أفراد الأسرة على عدد غرف النوم فإن نسبة الأشغال داخل الغرفة الواحدة تكون (٢.٣١) فرد.

إذا نحن عدنا إلى المعيار العالمي لتحديد نسبة الأشغال المقبولة أو المريحة داخل المنزل فإن أشغال شخصين في الغرفة الواحدة يعد ازدحامًا[١٢]؛ ووفقًا لهذا المنطق تعد البيئات لأفراد عينة البحث الحالي مزدحمة.

**ثانيًا: النتائج المتعلقة باختبار ساكس لتكملة الجمل**

**١- الاتجاه نحو الأم**

تشير البيانات إلى أن (٨٤ ٪) من النساء يحملن اتجاهًا إيجابيًّا نحو الأم. فالأم من وجهة نظرهن (الأب الثاني، حنونة، صديقة، وفية، لا يوجد أحد مثلها) هي كل شيء في الحياة (عزيزة، هي الدنيا، تكتم السر).

بينما عبرت (١٦٪) من النساء عن كراهيتهن للأم، فهي من وجهة نظرهن (سيئة، ولا تمتلك الحنان والعطف، غير عادلة، بعيدة عن الأبناء، مهملة، عصبية،خبيثة، تشجع على الانحراف، قاسية). وبذلك يمكن القول: إن الاتجاه السائد نحو الأم يتسم بالإيجاب.

٢- الاتجاه نحو الأب

تشير البيانات إلى أن (٧٤٪) من النساء عبرن عن كراهيتهن للأب فهو من وجهة نظرهن (عصبي، قاسٍ، لا يسأل عن أحد، لا يوجه نصيحة لأحد، لا يساعد أحدًا من أفراد أسرته، عدواني، غير وفي، حقير، لا يعرف شيئًا سوى ملذته، شديد العقاب، مجرد من عاطفة الأبوة، يفتقر إلى الكلمة الطيبة).

بينما عبرت (٢٦٪) من النساء عن تقديرهن للأب فهو من وجهة نظرهن (طيب القلب، يحب أفراد أسرته، ينصح أبناءه على الدوام، يكدح ليل نهار من أجل توفير لقمة العيش).

بيد أن هذه النسبة من النساء أخذت تفصح عن معاناتها مع الأب من قبيل (تعرضه إلى المرض، التمني ببقائه حيًّا، التمني بتقديم ألوان شتى من المساعدة إليه، التمني بزيارتهن في السجن) وعلى ذلك يمكن القول هنا إن الاتجاه السائد نحو الأب يتسم بالسلب.

٣- الاتجاه نحو وحدة الأسرة

تشير البيانات إلى أن (٨٢٪) يحملن اتجاهًا إيجابيًّا نحو وحدة الأسرة؛ فلقد أشارت هذه النسبة من النساء إلى أن أسرهن (متسامحة، متعاطفة، متواضعة، لا تحرم أحدًا من شيء، تحب أبناءها، متدينة، تبحث عن الأمان).

فيما عبرت (١٨٪) عن اتجاه سلبي نحو أسرهن؛ وذلك لأن أسرهن (تخلو من الحنان، تخلو من الاحترام، تخلو من الألفة، قاسية، عدوانية) واستنادًا إلى ذلك يمكن القول: إن الاتجاه السائد نحو وحدة الأسرة يتسم بالإيجاب.

٤- الاتجاه نحو النساء

تشير البيانات إلى أن (٦٨٪) يحملن اتجاهًا سلبيًّا نحو النساء؛ ذلك أن

المرأة من وجهة نظرهن (مشاغبة، تتسم بالفتنة، غرورة، غير مثقفة، غير حريصة على أسرتها، منافقة، حسودة، تتسم بالنميمة، منحرفة، يصعب عليها الانسجام مع الغير، مندفعة، لا تحب أحدًا، تتدخل فيما لا يعنيها، ناقصة عقل ودين، ضعيفة أمام الرجل، عدوانية، فاتنة).

وعبرت (٣٢٪) عن اتجاه إيجابي نحو النساء وذلك يعود إلى أن المرأة من وجهة نظرهن (تشيع الدفء في المنزل، تشجع على الانسجام بين أفراد الأسرة، التدبير المنزلي لا يكتمل إلا بوجود امرأة).

وبذلك يمكن القول: إن الاتجاه السائد نحو النساء يتسم بالسلب.

**٥- الاتجاه نحو الجنس**

تشير البيانات إلى أن (٩٢٪) يحملن اتجاهًا إيجابيًّا نحو العلاقات الزوجية فالزواج من وجهة نظرهن يعني (الاستقرار، تكوين أسرة جديدة، إنجاب الأطفال، إشباع الحاجة الجنسية، الإحساس بالأمان مع الزوج، الإحساس بمتعة الحياة).

فيما عبرت (٨٪) منهن عن كراهيتهن للعلاقات الزوجية وذلك؛ لأن الزواج (يولد المزيد من المشكلات، فيه سأم وملل، عدم القدرة على رعاية الأطفال) ويمكن القول استنادًا إلى هذه البيانات أن الاتجاه السائد نحو العلاقات الجنسية يتسم بالإيجاب.

**٦- الاتجاه نحو الأصدقاء والمعارف**

تشير البيانات إلى أن (٧٢٪) يحملن اتجاهًا إيجابيًّا نحو الأصدقاء والمعارف ذلك أن الصداقة الحقة من وجهة نظرهن تعني (أن يكون الشخص وفيًّا لصديقه، لا ينكر إحسانه، يتألم كثيرًا عندما يتعرض إلى محنة، يذكر محاسنه في كل مناسبة، يرشده إلى الصواب، كثير السؤال عنه، مخلص له، يشاركه في

الأفراح والأتراح، يتفقده حينما يغيب عنه).

بينما عبرت (٢٨٪) من النساء عن امتعاضهن للصداقة؛ وذلك لأنها أصبحت في الظروف الراهنة (مصالح، نفاق، غيرة، حسد، وشاية) واستنادًا إلى ذلك يمكن القول: إن الاتجاه السائد نحو الأصدقاء والمعارف يتسم بالإيجاب.

**٧- الاتجاه نحو رؤساء العمل**

تشير البيانات إلى أن (٩٦٪) من النساء تحمل اتجاهًا إيجابيًّا نحو رموز السلطة المتمثلة برؤساء العمل ذلك أن رموز السلطة من وجهة نظرهن هم (قدوة حسنة، أكثر دراية ومعرفة بالأمور، كبار في السن، مكانتهم تثير الإعجاب، يبذلون جهدًا من أجل غيرهم) فيما عبرت (٤٪) عن كراهيتهن لرموز السلطة بسبب أن رموز السلطة من وجهة نظرهن هم (قدوة سيئة لغيرهم، أصحاب أموال، يثيرون الاشمئزاز عند التحديق بوجوههم، سراق).

ومن ذلك يتضح أن الاتجاه السائد نحو رؤساء العمل يتسم بالإيجاب.

**٨- الاتجاه نحو المرءوسين**

تشير البيانات إلى أن (٩٤٪) من النساء تحمل اتجاهًا إيجابيًّا نحو أولئك الذين يعملون بمعيتهن، وهو يعني أن هناك تسامحًا ومودة وعلاقات تنطوي على الثقة المتبادلة وذلك يرجع إلى أن المرءوسين من وجهة نظرهن (يعاملون الآخرين باحترام، طيبون، يكدحون باستمرار لإسعاد أسرهم، يتسمون بالبساطة، يرشدون الغير إلى الصواب، لا ينكرون الإحسان).

فيما عبرت (٦٪) عن كراهيتهن للمرءوسين فهم من وجهة نظرهن (لا يعملون معروفًا، ينكرون من أسدى إليهم بنصيحة، يعملون على تخريب

بيوت الغير، يضمرون حقدًا على غيرهم) وبذلك فإن الاتجاه السائد نحو المرءوسين يتسم بالإيجاب.

**٩- الاتجاه نحو زملاء العمل**

تشير البيانات إلى أن (٩٦٪) من النساء تحمل اتجاهًا إيجابيًّا نحو أولئك الذين يشاركونهن عملًا واحدًا وذلك أن زملاء العمل من وجهة نظرهن (طيبون، يساعدون الآخرين الذين يتعرضون إلى محنة، متعاونون، يعاملون الغير باحترام، أوفياء، متعاطفون).

فيما عبرت (٤٪) عن كراهية زملائهن في العمل؛ بسبب أن هؤلاء من وجهة نظرهن (سماسرة، ليسوا ببشر، يتحينون الفرص لإلحاق الأذى بالغير، قساة) وبذلك يمكن القول: إن الاتجاه السائد نحو زملاء العمل يتسم بالإيجاب.

**١٠- الاتجاه نحو المخاوف**

تشير البينات إلى أن جميع أفراد العينة من النساء يعانين من مخاوف عديدة من قبيل (الله، اقتراف الخطأ، السجن، الفضيحة، الأهل، الناس، مصير الأطفال، الزوج، الفقر، المنزل، القدر، الظلام، القانون، الأيام القادمة، الموت، الأقارب).

**١١- الاتجاه نحو الشعور بالذنب**

تشير البيانات إلى أن جميع العينة من النساء يعانين من الإحساس بالذنب وذلك بسبب الأخطاء التي ارتكبت في حياتهن وكن سببًا مباشرًا فيها ولقد كانت الأخطاء التي سببت لهن الإحساس بالذنب من قَبِيل (البغاء، ضرب الأطفال، المشاجرة مع الأخوة والأخوات، فراق الأهل والأطفال، الطلاق، الزواج، مخالطة رفاق السوء، الإساءة إلى الأهل، عدم طاعة الزوج، عدم

طاعة الأهل، إنجاب الأطفال، ترك الدراسة، السماح لشخص غريب بدخول المنزل).

**١٢- الاتجاه نحو القدرات الذاتية**

تشير البيانات إلى أن (٥٨٪) من النساء تحمل مفهومًا إيجابيًّا عن ذواتهن وما لديهن من قدرات وذلك يعود إلى أنهن يمتلكن (القدرة على العمل، القدرة على البدء بحياة جديدة بعيدة عن عالم البغاء، القدرة على تربية الأطفال ورعايتهم، القدرة على التمييز بين الصواب والخطأ، القدرة على مشاركة الآخرين أفراحهم وأتراحهم، القدرة على ضبط النفس؛ وذلك بالاستعانة بالصبر ومقاومة الإغراءات، الزواج مجددًا).

فيما أشارت ( ٤٢٪) من النساء إلى أنهن يحملن مفهومًا سلبيًّا عن ذواتهن وذلك يعود من وجهة نظرهن إلى (اليأس من الحياة، ليس لديهن القدرة على فعل شيء أمام الرجل، عدم قدرتهن على تغيير أنفسهن، الاستسلام للقدر عدم القدرة على مقاومة الإغراءات). وبذلك فإن الاتجاه السائد نحو القدرات الذاتية يتسم بالإيجاب.

**١٣- الاتجاه نحو الماضي**

تشير البيانات إلى أن (٧٦٪) من النساء تتمتع بخبرات سارة عن ماضي طفولتهن؛ فلقد تعرضن في فترة الطفولة إلى (ذكريات سارة مع الأهل، الإحساس بمتعة الحياة، الإحساس بأبوة الأب، الإحساس بأمومة الأم، أسرة سعيدة، مساعدة الأم في أعمال المنزل، الذهاب إلى المدرسة صباح كل يوم، اللعب مع الأطفال، المشاركة بالسفريات المدرسية، مجالسة الأم، شراء ملابس العيد، عدم إنجاب الأطفال، عدم الارتباط بالزواج).

فيما عبَّرت (٢٤٪) من النساء عن خبرات مؤلمة في فترة الطفولة وذلك

يعود من وجهة نظرهن إلى (كثرة المشاجرات التي تحدث بين الوالدين، الحرمان، الإحساس بالعذاب، ترك الدراسة، ضرب الأطفال الصغار) وعلى ذلك يمكن القول: إن الاتجاه السائد نحو الماضي يتسم بالإيجاب.

**١٤- الاتجاه نحو المستقبل**

تشير البيانات إلى أن (٦٠٪) من النساء تحمل اتجاهًا ينطوي على التفاؤل بالمستقبل وسبب هذا التفاؤل يعود إلى (الخروج من السجن في ويوم ما، أداء الصلاة، تلاوة القرآن، إعلان التوبة، أداء فريضة الحج بعد الخروج من السجن، زيارة العتبات المقدسة، العودة إلى الأطفال، لقاء الأهل، السفر إلى الخارج، امتلاك منزل، امتلاك سيارة).

فيما عبرت (٤٠٪) منهن عن اتجاه ينطوي على التشاؤم من المستقبل وذلك يعود إلى (البقاء في السجن، فراق الأهل، اليأس من الحياة، العودة إلى أماكن البغاء، الانتقام من بعض الأشخاص، تمني الموت، مستقبل مظلم، الإحساس بالتعاسة) ويمكن القول استنادًا إلى ذلك: إن الاتجاه السائدة نحو المستقبل يتسم بالإيجاب.

**١٥- الاتجاه نحو الأهداف**

تشير البيانات إلى أن (٩٨٪) من النساء لديهن أهدافًا حياتية واضحة ومحددة ويحدوهن الأمل في تحقيقها بعد الخروج من السجن والبدء بحياة جديدة ولقد تركزت أهدافهن في الحياة على (طلب الرحمة والمغفرة من الله سبحانه وتعالى: تأمين مستقبل الأطفال، العودة إلى الحياة الزوجية، زواج الأبناء، ارتداء الحجاب، الزواج من ضابط التماس، رضا الوالدين، إتقان القراءة والكتابة، العمل في إحدى الدوائر الرسمية، إكمال الدراسة، العيش بأمان، السعي إلى تكوين ثروة، مساعدة الفقراء، زيارة قبور الأهل).

فيما عبر (٢٪) من الناس هي في حقيقة الأمر حالة واحدة عن أهداف حياتية غير واقعية، أو هي أهداف غير سوية إذا صح التعبير، إذ أشارت أن كل ما تتمناه بعد أن تخرج من السجن هو أن تستمر في السهر في النوادي الليلية، وستكون في غاية السعادة إذا عادت إلى المراقص والملاهي، وعن الشيء الذي تطمح إليه سرًّا؟

أجابت بالقول: الجنس وليس سواه.

وعن أمنياتها في الحياة؟

أجابت إجابة قاطعة لا لبس فيها: الرجل.

يمكن القول: إن السائد نحو الأهداف يتسم بالإيجاب.

**نستدل من النتائج التي خرجت بها الدراسة الحالية:**

١- أن المرأة البغي تنتمي إلى الفئة العمرية التي تتمتع بالحيوية والشباب. وعلى وجه التحديد فئة (١٨ - ٣٥) سنة.

٢- أن عالم البغاء يضم بين ظهرانيه المرأة المتزوجة والمطلقة والأرملة، وفي حالات قليلة جدًّا المرأة غير المتزوجة.

٣- لقد وجد من البينات أن الغالبية العظمى من النساء في عينة البحث الحالي ربات بيوت والقلة القليلة منهن تحترف مهن تكاد تكون غير مقبولة في المجتمع، وهذا تأكيد على البغاء من الممكن أن يشيع في المهن كافة، شريطة توافر المحرضات.

٤- تزداد نسبة النساء اللواتي لا تمتلك أسرهن وحدات سكنية عن نسبة اللواتي تمتلك أسرهن مثل هذه الوحدات.

٥- أشارت البيانات أن الدخل الشهري على ضوء الأسعار الجارية لم يكن كافيًا للغالبية العظمى من النساء في عينة البحث الحالي.

٦- تتمتع المرأة البغي بضعف مستواها التعليمي.

٧- إن الوضع الأسري للمرأة البغي يتسم بالتفكك.

٨- بلغ متوسط حجم الأسرة البغي (٦.٧) أفراد.
٩- بلغ متوسط عدد غرف النوم لأسرة البغي (٢.٩) غرفة نوم.
١٠- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو أمها بالإيجاب.
١١- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو أبيها بالسلب.
١٢- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو وحدة أسرتها بالإيجاب.
١٣- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو بنات جنسها (النساء) بالسلب.
١٤- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو الجنس (العلاقات الزوجية) بالإيجاب.
١٥- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو الأصدقاء والمعارف بالإيجاب.
١٦- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو رموز السلطة المتمثلة برؤساء العمل بالإيجاب.
١٧- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو المرءوسين بالإيجاب.
١٨- يتسم اتجاه المرأة البغي نحو أولئك الذين يشاركونها عملًا واحدًا بالإيجاب.
١٩- تعاني المرأة البغي من مخاوف عديدة تتصل بالبغاء والبيئة الاجتماعية التي تعيش بين ظهرانيها.
٢٠- تعاني المرأة البغي من الإحساس بالذنب نتيجة اقترافها أخطاء عديدة في الحياة.
٢١- تحمل المرأة البغي مفهومًا إيجابيًّا عن ذاتها.
٢٢- تتمتع المرأة البغي بخبرات سارة عن ماضي طفولتها.
٢٣- تنظر المرأة البغي إلى المستقبل بتفاؤل.
٢٤- تمتلك المرأة البغي أهدافًا حياتية واقعية ومحددة.

وتأسيسًا على ما سبق، يمكن القول أن الفرضيات التي تحققت في البحث الحالي هي الآتي:

١، ٢، ٣، ٥، ٦، ٨، ١٠، ١٦، ١٧.

فيما لم تتحقق الفرضيات الآتية:

٤،٧، ٩، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ١٥، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢١

## مناقشة النتائج

لقد تبين من النتائج أن البغاء يتأثر بعديد من المتغيرات شأنه شأن الظواهر الإنسانية الأخرى؛ فلقد وجد أن الوضع الاقتصادي المتردي يعد من المحرضات على البغاء، إذ إن المرأة التي تفقد مصادر رزقها أو تفقد مصدر الإعالة، يصبح من السهل عليها الإقدام على انتهاك نفسها، شريطة أن يكون مستواها التعليمي متدنيًا وتعاني من وضع أسري مفكك، وأن تكون من الفئات العمرية التي تتمتع بالحيوية والشباب، فضلًا عن البيئة المزدحمة التي تعيش فيها.

ومن الطبيعي والحال هذه أن نجد بعض الخصائص النفسية التي تتميز بها المرأة التي تنتهك نفسها لعل من أبرزها أنها تعبر عن كراهية شديدة نحو الأب، ونحو بنات جنسها إلى جانب إحساسها بالخوف والذنب الناشئ عن الأخطاء التي اقترفتها في حياتها؛ فقد تفسر الكراهية نحو الأب على أساس عدم إحاطته لها بالدفء؛ فضلًا عن القسوة التي كان يتمتع بها إذا نحن عدنا إلى البيانات وجدنا أن الأب قد نعت بنعوت سلبية شتى منها على سبيل المثال لا الحصر (حقير، لا يسأل على أحد، مجرد من عاطفة الأبوة، شديد العقاب، قاسي) إلى غير ذلك من النعوت.

وبالطبع إن دل ذلك على شيء إنما يدل على الخبرات المؤلمة التي كونتها المرأة البغي عن الأب، كذلك تفسر كراهية المرأة البغي لبنات جنسها( النساء) على أساس الخبرات المؤلمة التي تكونت لديها عن عالم البغاء فهذه المرأة وجدت بنات جنسها لا يستحقُنَّ الاهتمام ولا العطف؛ لأنهن من وجهة نظرها (خائنات، منحرفات، غير حريصات على أسرهن، ضعيفات أمام الرجل) لذا فهي لا تستحق الاهتمام والعطف وعن الإحساس بالخوف يمكن تفسير ذلك على أساس الأخطاء التي ارتكبتها المرأة البغي عند انضمامها إلى عالم البغاء، وثمة منبهات بيئية تستثير مخاوفها، لعل من أبرزها: الزوج،

والأهل، ومواجهة الآخرين، والأبناء الذين تنكروا لها؛ مما يعني أنها ستكون في حالة دائمة من الخشية والخوف، كذلك يمكن تفسير الإحساس بالذنب من منطلق أن المخالفات التي ارتكبتها المرأة البغي جلبت لها لومًا شديدًا ولقد تمثل هذا اللوم في صورة توبيخ وتقريع للذات فضلًا عن الإحساس بالضيق والانزعاج نتيجة الفشل في استدخال معايير المجتمع وعليه فإن الإحساس بالذنب هو في واقع الأمر ناشئ عن التوبيخ المستمر للذات.

obeikandl.com

## الهوامـــش

(1) Clinard, M.B sociology of deviant behavior, 4th ed. (New York: Holt, Rinehart and Winston, inc. 1974),p. 513.

Khalaf, S. Prostitution in a changing society.(Beirut: Khayats, 1965), p. 18.

(2) Mancini, J.G. Prostitutes and their parasites. (London: Elek book, 1963).p.48.

(3) Khalaf, 1965, Ibid, p. 22.

جنيح عبد الأمير حسن وآخرون البغاء: دراسة اجتماعية واقتصادية للبغايا والسماسرة. (بغداد: مركز البحوث والدراسات بمديرية الشرطة العامة ١٩٨٨) ص٦٢.

(٤) المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية البغاء في القاهرة (القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٦١) ص ٥٠.

(٥) لطفي سهير جرائم البغاء. المجلة الجنائية القومية العدد (١-٣) القاهرة: المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٧٥ ص ٣٤.

المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية ١٩٦١ المصدر السابق ص ٥٠ جنيح وآخرون ١٩٨٨ المصدر السابق ص ٣١.

(٦) عيسى محمد رفقي علاقة التعليم العالي بمستوى الحكم الخلقي لدى عينة مختارة من طلبة كلية التربية جامعة طنطا مجلة العلوم الاجتماعية العدد (٢) (الكويت: جامعة الكويت ١٩٨٥) ص ١٢٧ - ١٢٨).

(٧) أبو حطب فؤاد التحليل العملي للسلوك الخلقي الكتاب السنوي في التربية وعلم النفس (القاهرة: عالم الكتب ١٩٧٣) ص ١٦١.

(٨) الحمداني وآخرون جرائم القتل: دراسة ميدانية لعدد من مؤشراتها النفسية والاجتماعية. (بغداد: مركز البحوث والدراسات بمديرية الشرطة العامة ١٩٨٥) ص ٥٢.

(٩) البياتي محمد سليمان إبراهيم بعض جوانب شخصية الحدث فاقد الوالدين: دراسة مقارنة (بغداد جامعة بغداد رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٨٥) ص ٧٣.

(١٠) العاني مها عبد المجيد الخصائص النفسية لمرتكبي جرائم السرقة والاختلاس والتزوير والرشوة للعاملين في المؤسسات الحكومية: (بغداد: جامعة بغداد رسالة ماجستير غير منشورة ١٩٩٤) ص ٤٢.

(١١) المصدر نفسه ص ١٠٦- ١٠٩.

(١٢) هلمان هال: مشكلة تضخم السكان أخطر مشكلة تهدد عالم اليوم -ترجمة محمد بدر الدين خليل. (القاهرة: دار المعارف بمصر ١٩٧٤) ص ١١٠.

كمونة حيدر عبد الرزاق سياسات التحضر في الوطن العربي (بغداد: دار الشئون الثقافية العامة ١٩٩٠) ص ١٧١.

obeikandl.com

## جرائم القتل

### مقدمة

لقد حظيت ظاهرة الإجرام باهتمام الباحثين في الحقول المعرفية المختلفة، وقد بدا ذلك واضحًا في الدراسات التي أخذت تبحث عن الحلول الناجحة للحد منها، وذلك يرجع أساسًا إلى أن شيوعها على مستوى المجتمع، يؤشر إلى حالة عدم الأمان والاستقرار، وما يهمنا في هذه الدراسة هو أن متغيري الاضطرابات النفسية والمناخ الأسري لم يحظيا بالاهتمام الكافي في الدراسات؛ ومعلوم أن كثرة الدراسات حول متغير معين يزيد من اليقين إن كان هذا المتغير فاعلًا في الظاهرة قيد الدراسة الحالية، أم أنه غير فاعلٍ فيها بالمرَّة والدراسة الحالية هي محاولة للتحقق من إسهام هذين المتغيرين في السلوك الإجرامي.

### الخلفية النظرية للسلوك الإجرامي

### السلوك الإجرامي والمناخ الأسري

إن ثمة علاقة بين المناخ الأسري والسلوك الإجرامي، إذ تنطلق هذه العلاقة بين التسليم، إلى أن الأفراد الذين يفدون من بيوت هادئة ومستقرة كانوا أكثر مجاراة للمعايير الاجتماعية من أولئك الذين يفدون من بيوت يسودها التفكك[1] والاضطراب؛ وهذا يعود إلى أن المناخ الأسري في هذه البيوت يتسم بالاستقرار وعدم التسلط مما يتيح للأفراد العيش بحالة من الانسجام والتعاطف، وإزاء ذلك يتوقع من الفرد الذي يعيش في مثل هذا المناخ أن يكون مسئولًا وعلى درجة من التعاطف مع الآخرين وعلى العكس من ذلك يتوقع من الفرد الذي يعيش في مناخ متوتر ومضطرب أن يصبح خارجًا على معايير النظام الاجتماعي.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا ما الذي يجعل المناخ الأسري مضطربًا؟

وسؤال آخر يتعلق بالسؤال الذي قبله: كيف يساهم هذا الاضطراب في ارتكاب الجريمة؟

للإجابة عن هذين السؤالين، نقول: إن ثمة أسبابًا متعددة تجعل المناخ الأسري مضطربًا ومن ثمَّ مساهمًا في ارتكاب ا لجريمة، لعل من أبرزها:

١- أن انحراف بعض أفراد الأسرة قد يشيع أجواءً من التوتر والخلافات والمشاحنات فضلًا عن المشكلات المترتبة عن الانحراف في السلوك، الأمر الذي يضعف العلاقات الأسرية ويعرضها للانهيار.

٢- قد تكون البطالة التي يعاني منها أفراد الأسرة أو البعض منهم من عوامل التفكك الأسري[٢]؛ ذلك لأن البطالة تقود إلى حالة الفقر وقد يتسبب عن ذلك خلافات تعرض العلاقات الأسرية إلى التوتر.

٣- ربما يكون غياب الدفء الأسري، من العوامل التي تساهم في التفكك[٣]، وبتالي إشاعة علاقات تتسم بالفردية وغياب التعاون بين أفراد الأسرة.

٤- ومما يجعل المناخ الأسري متوترًا إدمان بعض أفراد الأسرة على تناول الكحول[٤] والمخدرات والعقاقير، وقد يُشيع ذلك حالة من التوتر والاضطراب؛ الأمر الذي يشعر الأفراد الآخرين بعدم الارتياح والسأم والضجر.

٥- ربما يكون المناخ الأسري متوترًا بسبب عدم كفاية الدخل وكثرة متطلبات الأسرة، مما يؤدي إلى اضطراب العلاقات بين الزوجين، وقد ينسحب هذا التوتر في العلاقات إلى بقية أفراد الأسرة.

ومما يجدر ذكره هنا أن الضائقة الاقتصادية التي مر بها المجتمع الأمريكي إبان الثلاثينيات قد أدت إلى انخفاض دخل الأب مما ترتب على ذلك تقلص دوره، بالتالي تضاؤل نفوذه داخل المنزل، الأمر الذي أدى إلى خروج كل من الزوجة والأبناء إلى العمل خارج[٥] المنزل؛ لغرض تغطية نفقات المعيشة وكانت عاقبة ذلك أن ضعفت العلاقة بين الزوجين، فضلًا عن تراخي

أساليب الضبط للأبناء، وبالنتيجة ضعف التوجيه والإرشاد هو الآخر، ناهيك عن أنهم (أي الأبناء) بدءوا يلتقون بشلل منحرفة، نتيجة قضاء فترة زمنية طويلة خارج المنزل مما ترتب على ذلك أن اكتسب هؤلاء الأبناء الكثير من أنماط السلوك غير المقبولة اجتماعيًّا فلا غرابة إذن أن يصبح المناخ الأسري أحد المحرضات على مخالفة القواعد الخُلُقية.

٦- شيوع أساليب العنف[٦]، والإكراه، والقصر، والصراخ بين أفراد الأسرة الواحدة بديلًا عن التفاهم والحوار الهادئ في حل بعض المشكلات الاجتماعية.

والحقيقة أن إشاعة مثل هذه الأجواء داخل المنزل ربما تهيئ الأفراد على مخالفة القواعد الخُلُقية.

٧- إن تكدس أفراد الأسرة في منزل ضيق لا يتسع لهم جميعًا قد يبعث على الضيق وعدم الارتياح[٧] بسبب شحة بعض مستلزمات الحياة اليومية ابتداء من مأوى النوم وانتهاء بالمساحة المخصصة للخلوة الشخصية، بطبيعة الحال إن شحة وسائل الراحة وبعض مستلزمات الحياة قد يؤدي إلى التنافر بين أفراد الأسرة وذلك يعود إلى أن كلًّا منهم يحاول أن يتلمس الراحة والتمتع بقسط وافر منها.

وإزاء الجلب المتزايد على هذه المستلزمات بالرغم من شحتها قد تنشأ بينهم علاقات غير ودية تؤكد الفردية ونبذ التعاون، وربما تكون بدايات تؤشر إلى التفكك الأسري وفي حالة استمرارها وعدم اتخاذ الأساليب الفاعلة لعلاجها ستؤدي إلى تفكك العلاقات الأسرية وانهيارها، وسوف تكون عاقبة ذلك إحساس الفرد بالسأم والملل قد يدفعه إلى انتهاك القواعد الخُلُقية.

ومن ذلك نخلص إلى القول: إن طبيعة المناخ الأسري قد يساهم بدرجة معينة في خرق القواعد الخُلُقية وعلى ذلك فإن المنزل الذي تسوده أجواء

هادئة ومستقرة كان أدعى إلى حث الأفراد على الالتزام بالقواعد الخُلُقية والعكس صحيح مع المنزل الذي تسوده أجواء متوترة يكون الخروج على هذه القواعد أمرًا متوقعًا.

**السلوك الإجرامي والاضطرابات النفسية**

تشير بعض الدراسات إلى نسبة أن كبيرة من المجرمين كانوا يعانون من أشكال مختلفة من الصعاب[٨] وكشفت الدراسات التي أجريت على الأولاد الذين أظهروا سلوكًا عدوانيًّا عاليًا أنهم كانوا أكثر قهرية ووسواسًا[٩] من الأولاد الأسوياء.

ولقد سجل العصابيون على مقياس العدائية درجات أعلى من الأسوياء[١٠] وهذا يشير إلى أن ثمة علاقة بين السلوك العدواني والاضطرابات النفسية، وهذه العلاقة ارتباطية وليست علاقة سببية، وهذا يعني: أن الزيادة في السلوك العدواني تصاحبه زيادة في الاضطرابات النفسية والعكس صحيح.

والسبب الذي يجعلنا نرجح العلاقة الارتباطية بين المتغيرين أكثر من ترجيحنا للعلاقة السببية هو أننا لا نستطيع أن نحدد بكل ثقة أيًّا منهما يتسبب في الآخر، غير أنه بالإمكان أن نقول هنا أن إظهار درجة كبيرة من السلوك العدواني قد يقترن بظهور اضطربات نفسية، شريطة توافر الظروف المهيئة لحالة العدوان من قبيل: إحباط الفرد ومنعه من تحقيق أهدافه الشخصية، وقد يكون العكس؛ أي إن الاضطرابات النفسية التي يعاني منها الفرد قد تكون متزامنة بالمحاولات التي يظهرها لإلحاق الأذى أو الضرر بالآخرين في موقف يقتضي أن يظهر فيه عدوانه، وذلك هو جوهر العلاقة الارتباطية.

نقول: إنه من الصعوبة، تقرير العلاقة السببية بين المتغيرين وذلك يرجع

أساسيًا إلى عدم تيسر الدارسات التي تؤكد مثل هذه العلاقة فضلًا عن أن المتغيرين قد يظهران سويًا في سلوك الفرد عند ارتكابه الجريمة، الأمر الذي يجعلنا هنا نتجه إلى تفسير العلاقة الارتباطية بينهما أكثر من تقرير العلاقة السببية، وعلى ذلك يمكننا تفسير العلاقة بين المتغيرين على النحو الآتي:

من المعروف في أدبيات علم النفس الإكلينكي: أن الاضطراب النفسي هو تعبير عن سوء توافق الفرد مع المحيط الاجتماعي، وهو يعني صراحة نقصان مصادر الإسناد الاجتماعي التي من الممكن أن تخفف عنه بعض الأعباء الحياتية ولما لم يجد ما يخفف عنه أعباءه الحياتية ويبصره بالحلول الناجحة للتخفيف من أعبائه هذه أو الأساليب الفعالة في التعامل معها فإنه من المتوقع إزاء الضغوط الشديدة التي يتعرض لها أن يشعر بفقدان قدرته في السيطرة على الأحداث أوفي التحكم فيها، ناهيك عن إحساسه بالفشل، والخيبة، والعجز، وعدم الكفاءة، أو الإحساس باللا جدوى.

وإزاء ذلك فإنه لا مندوحة أن تظهر عليه بعض الأعراض الدالة على الاضطراب النفسي؛ ولأن الظروف التي يعيش فيها من الشدة والقسوة بحيث لم يعد يحتملها أو يتكيف معها فمن الطبيعي والحال هذه أن يتعرض إلى الإحباط أو أن يعيش حياة مليئة بالإحباطات، واستنادًا إلى نظرية الإحباط -العدوان- فإن الفرد الذي يحبط من السهل استثارته ومن ثمَّ إلحاق الأذى أو الضرر بغيره شريطة أن يكون الغضب أو متغيرًا وسيطًا بين الإحباط والعدوان.

فرضيات البحث

١- إن المناخ الأسري المضطرب يساهم في تشكيل السلوك الإجرامي.

٢- إن القلق بوصفه شكلًا من أشكال الاضطرابات النفسية يساهم في تشكيل السلوك الإجرامي.

٣- إن الإرهاب بوصفه شكلًا من أشكال الاضطرابات النفسية يساهم في تشكيل السلوك الإجرامي.

٤- إن الوساوس بوصفها شكلًا من أشكال الاضطرابات النفسية تساهم في تشكيل السلوك الإجرامي.

٥- إن الزحام بوصفه شكلًا من الاضطرابات النفسية يساهم في تشكيل السلوك الإجرامي.

٦- إن الكآبة بوصفها شكلًا من أشكال الاضطرابات النفسية تساهم في تشكيل السلوك الإجرامي.

**طريقة البحث**

**العينة**

لجأ الباحث إلى اختيار عينة البحث الحالي بأسلوب العينة العمدية من أولئك الذين ارتكبوا جرائم القتل ومن الذكور فقط، ويرجع سبب لجوء الباحث إلى الأسلوب العمدي عدم تيسر الأعداد الكبيرة منهم؛ لذا فإن الباحث لم يجد خيارًا آخر سوى إدخال المتيسر منهم في عينة البحث الحالي.

بلغت العينة المسحوبة (٣٨) مجرمًا.

ويذكر أن عينة البحث الحالي تتصف بالخصائص الآتية:

**١- الحالة الاجتماعية**

بلغت نسبة المتزوجين منهم (٦١٪) وغير المتزوجين (٣٩٪).

**٢- الأعمار**

تراوحت أعمار أفراد العينة بين (٢١- ٥٨) سنة وبمتوسط بلغ ( ٣١.١٣) سنة.

**٣- التحصيل الدراسي**

لقد تبين أن أفراد العينة يتوزعون على النحو الآتي فيما يتعلق بمستوى تحصيلهم الدارسي.

بلغت نسبة الأمية بينهم: ٧.٨٩٪.

نسبة الأفراد الذين يقرءون ويكتبون: ١٠.٥٣٪.

نسبة الأفراد الذين حصلوا على الشهادة الابتدائية: ٥٢.٦٣٪.

نسبة الأفراد الذين حصلوا على الشهادة المتوسطة: ٢٣.٦٨٪.

نسبة الأفراد الذين حصلوا على الشهادة الإعدادية: ٥.٢٦٪.

بذلك نستطيع القول أن أفراد العينة يتمتعون بضعف مستواهم الثقافي.

**٤- المستوى الاجتماعي- الاقتصادي**

بعد تحليل البيانات المتعلقة بالمستوى الاجتماعي- الاقتصادي لأفراد العينة، تبين أن (٨٥٪) منهم ينتمون إلى المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتدني و (١٥٪) منهم ينتمون إلى المستوى المتوسط.

**الأداة**

**١- المناخ الأسري**

لقد اعتمد البحث الحالي على أداة جاهزة أعدها حسن ١٩٩٧، لقياس المناخ الأسري، تتألف من (٢٨) فقرة، وقد تم صياغة الفقرات بحيث يكون نصفها إيجابيًّا والنصف الآخر سلبيًّا، وتتمتع هذه الأداة بخصائص سايكومترية، فهي تتمتع بصدق المحتوى وصدق البناء، كما أنها تتمتع بالثبات إذا استخرج الثبات بطريقة الاتساق الداخلي؛ وذلك عن طريق تطبيق معادلة ألفا للثبات، إذ بلغ الثبات بهذه الطريقة (٠.٧٣) وحددت الأوزان الآتية لبدائل الاستجابة.

تنطبق عليَّ بدرجة كبيرة جدًّا ويعطى الدرجة (٥).
تنطبق عليَّ بدرجة كبيرة ويعطى الدرجة (٤).
تنطبق عليَّ بدرجة معتدلة ويعطي الدرجة (٣).
تنطبق عليَّ بدرجة قليلة ويعطى الدرجة (٢).
لا تنطبق عليَّ إطلاقًا ويعطى الدرجة (١).

وتعطى هذه الأوزان عندما تكون الفقرات إيجابية، والعكس صحيح عندما تكون الفقرات سلبية[١١].

**٢- الاضطرابات النفسية**

اعتمد البحث الحالي في قياس الاضطرابات النفسية على أداة جاهزة أعدها كروان- كرسب، وترجمت هذه الأداة إلى اللغة العربية وكانت تحتوي على (٤٨) فقرة بصورتها الأصلية، وأضيفت إليها فقرات أخر، فأصبحت تتألف من (١٠٨) فقرة تم اعتماد (٦٠) فقرة توزعت على ستة مجالات بواقع عشر فقرات لكل مجال والمجالات التي يقيسها هذا المقياس هي:

**أ- القلق.**
**ب- الرُّهاب.**
**جـ- الأعراض النفسية- الجسمية.**
**هـ- الوساوس.**
**جـ- الرحام (الهستريا).**
**و- الكآبة.**

وهذه الأداة تتمتع بخصائص- يكومترية فهي تتمتع بالصدق الظاهري والمنطقي، كما أنها تتمتع بالثبات فقد استخرج الثبات بطريقتين

**أحدهما:** التجزئة النصفية، إذ بلغ الثبات بهذه الطريقة: (٠.٥٨)-

(٠.٦٤)- (٠.٧٣) (٠.٧٨)- (٠.٧٨)- (٠.٨١)-لكل من القلق والرهاب والأعراض النفسية –الجسمية والوساوس والرحام والكآبة.

**والأخرى**: بطريقة إعادة الاختبار إذ بلغ الثبات بهذه الطريقة (٠.٧٦) (٠.٧٨) (٠.٨٢) (٠.٨٤) (٠.٨٦) (٠.٨٧) لكل من المقاييس الستة المشار إليها آنفًا.

ولقد وضعت بدائل استجابة إزاء كل فقرة وهي:
لا ابدأ، ويعطى الدرجة (صفر).
بضع الأحيان ويعطى الدرجة (٢) [١٢].

لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن بدائل الاستجابة بصيغتها اللفظية الحالية لا تتلاءم مع المستوى الثقافي لأفراد العينة، إذ إن البديل (بعض الأحيان) والبديل (أغلب الأحيان) قد أصبح كل منهما غامضًا وعز على أفراد العينة التفريق بينهما؛ مما أوجب الإتيان ببدائل استجابة واضحة وسهلة الفهم؛ لذا فإن الباحث وجد في تغيير الصيغة اللفظية ما يحقق الدقة في الإجابة مع مراعاة المحافظة على كون البدائل ثلاثية، إذ أصبحت الصيغة اللفظية الآتية هي الصيغة الجديدة لبدائل الاستجابة:

البديل (لا أبدًا) عُدِّل إلى صيغة ( لاتنطبق عليَّ إطلاقًا).

البديل (بعض الأحيان) عُدِّل إلى صيغة ( تنطبق عليَّ بدرجة قليلة).

البديل (أغلب الأحيان ) عُدِّل إلى صيغة ( تنطبق عليَّ بدرجة كبيرة)

وبهذه الصيغة اللفظية للبدائل تمكن أفراد العينة من فهم الفقرات والإجابة عليها.

**٣- مستوى العدوان لدى مرتكبي جرائم القتل**

لمعرفة مستوى العدوان لدى مرتكبي جرائم القتل، عمد الباحث إلى توجيه السؤال الآتي: لو طلب منك تكوين فكرة عن نفسك فيما يخص حالتك في الوقت الحاضر فماذا ستقول؟

-ستقول: إنني شخص عدواني بدرجة كبيرة جدًّا.
- ستقول: إنني شخص عدواني بدرجة كبيرة.
- ستقول: إنني شخص عدواني بدرجة معتدلة.
-ستقول: إنني شخص عدواني بدرجة قليلة .
-ستقول: إنني شخص عدواني بدرجة قليلة جدًّا.

**وقد أعطى كل بديل من هذه البدائل الأوزان الآتية:**

- البديل بدرجة كبيرة جدًّا أعطى الدرجة (٥).
- البديل بدرجة كبيرة أعطى الدرجة (٤).
- البديل بدرجة معتدلة أعطى الدرجة (٣).
- البديل بدرجة قليلة أعطى الدرجة (٢).
- البديل بدرجة قليلة جدًّا أعطى الدرجة (١).

وبذلك فإننا نضمن من خلال طريقة تقدير المستجيب للعدوان الذي يحمله أن يسقط كل مشاعره ورغباته العدوانية.

**٤- المستوى الاجتماعي- الاقتصادي**

لقد اُعْتُمِد في قياس المستوى الاجتماعي- الاقتصادي على جملة مؤشرات لعل من أبرزها:

أ- عائدية السكن إن كان ملكًا أو إيجارًا.
ب- عدد غرف النوم.
جـ- عدد أفراد الأسرة.

obeikandl.com

د- الدخل الشهري.
هـ- المهنة.
و- التحصيل الدراسي.

ويعطى لكل مؤشر من هذه المؤشرات درجة معينة استنادًا إلى الفئات المصنف إليها، ثم تجمع الدرجات التي يحصل عليها المستجيب، وحاصل الجمع يمثل المستوى الاجتماعي- الاقتصادي له، ولقد حُدِّدَ المستوى الاجتماعي- الاقتصادي للمستجيب وفقًا للتصنيف الطبقي الذي يصنف الأفراد إلى ثلاثة مستويات:

المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتدني، والمستوى الاجتماعي الاقتصادي المتوسط، والمستوى الاجتماعي الاقتصادي العالي.

**الوسائل الإحصائية**

١- الوسيط لمعرفة طبيعة المناخ الأسري ومستوى القلق والرُّهاب والأعراض النفسية الجسمية والوساوس والرحام والكآبة لدى مرتكبي جرائم القتل[١٣].

٢- الانحدار المتدرج المتعدد المتغيرات لغرض معرفة مساهمة المتغيرات المستقلة (المناخ الأسري، القلق، الرُّهاب، الأعراض النفسية الجسمية، الوساوس، الرحام، الكآبة) في المتغير التابع (السلوك العدواني)[١٤].

وقد تم قياسه من خلال الأسلوب الإسقاطي الذي سبق الإشارة إليه.

**النتائج**

قبل البدء في عرض النتائج آثرنا أن نعطي صورة واضحة عن البروفيل النفسي لمرتكبي جرائم القتل.

لقد استخرج الوسيط لكل متغير من المتغيرات السبعة وعدت درجة الفرد على المتغير الواحد مرتفعة، عندما يسجل درجة أعلى من قيمة الوسيط والجدول (١) يوضح قيمة الوسيط والنسبة المئوية لكل متغير من المتغيرات السبع.

**الجدول (١)**

**يوضح قيمة الوسيط والنسبة المئوية لكل متغير من المتغيرات السبع**

| المتغيرات | الوسيط | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| الأفراد الذين يتمتعون بمناخ أسري مضطرب | ٩٥ | ٤٤.٧٤ |
| الأفراد الذين يظهرون قلقًا بدرجة كبيرة | ١٠ | ٥٠ |
| الأفراد الذين يظهرون رحامًا بدرجة كبيرة | ١١ | ٥٢.٦٣ |
| الأفراد الذين يظهرون اكتئابًا بدرجة كبيرة | ١٠ | ٤٧.٣٧ |
| الأفراد الذين يظهرون أعراضًا نفسية جسمية بدرجة كبيرة | ٨ | ٥٠ |
| الأفراد الذين يظهرون وساوس بدرجة كبيرة | ١٢ | ٥٠ |
| الأفراد الذين يظهرون رهابًا بدرجة كبيرة | ٧ | ٤٨ |

والجدير بالإشارة أن الأفراد الذين عبروا عن سلوك عدواني بدرجة كبيرة بلغت نسبتهم (٣٥٪)، بينما بلغت نسبة الأفراد الذين عبروا عن سلوك عدواني بدرجة كبيرة جدًّا (٢٦٪)، ولقد توزعت النسب المتبقية على درجات العدوان الأخرى وهذا معناه أن (٦١٪) من أفراد العينة أظهروا سلوكًا عدوانيًّا ينبئ بالخطورة، وبطبيعة الحال، إن ذلك يؤشر درجة العدوان التي يتمتع بها هؤلاء.

ولغرض معرفة المتغيرات المساهمة في الظاهرة قيد الدارسة فقد استخدم

الانحدار المتدرج المتعدد المتغيرات Multiple Regressoin step wise for ward selctoin اعتمادًا على الحقيبة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (spss) وبموجب هذا الأسلوب يتم اختيار المتغيرات غير الدالة إحصائيًا فهي تشير إلى أنها لا تساهم بالسلوك الإجرامي، والجدول (٢) أن من بين المتغيرات السبعة المستقلة، ساهمت أربعة متغيرات منها في السلوك الإجرامي وهي ذات دلالة إحصائية وقد ترتبت هذه المتغيرات تبعًا للقيمة المحسوبة وعلى هذا الأساس فقد جاء في الترتيب الأول المناخ الأسري وفي الترتيب الثاني جاء متغير الرحام وفي الترتيب الثالث جاء متغير الأعراض النفسية -الجسمية وفي الترتيب الرابع جاء متغير الاكتئاب.

**الجدول (٢)**

**يوضح نتائج تحليل الانحدار المتدرج المتعدد المتغيرات**

| الخطوات | المتغيرات المستقلة | $R^2$ ٠.٢٥ | القيم الفائية المحسوبة | القيمة الفائية الجدولية | درجات الحرية | مستوى الدلالة عند ٠.٠٥ |
|---|---|---|---|---|---|---|
| ١ | المناخ الأسري | ٠.٢٣ | ٥.٦٩٧ | ٤.١١ | ٣٦.١ | دال |
| ٢ | الرحام | ٠.٢١ | ٤.٢٣٣ | ٣.٢٦ | ٣٥.٢ | دال |
| ٣ | الأعراض النفسية الجسمية | ٠.١٨ | ٣.٣٧١ | ٢.٨٨ | ٣٤.٣ | دال |
| ٤ | الاكتئاب | | ٣.٠٤٨ | ٢.٦٧ | ٣٣.٤ | دال |

وبذلك فإن الفرضيات الأولى والرابعة والسادسة والسابعة قد تحققت فيما لم تتحقق بقية الفرضيات الأخرى.

مناقشة النتائج

لقد تبين من النتائج التي خرجت بها الدراسة الحالية أن المناخ الأسري المضطرب وكذلك الاضطرابات النفسية التي يعاني منها الفرد تساهم في السلوك أو بلغة نظرية الإحباط- العدوان محرضات على السلوك العدواني، فالمناخ الأسري المضطرب يشكل في حقيقة الأمر إحباطًا قد يحرض السلوك العدواني وذلك من خلال الخلافات والمشاحنات والتوتر الذي يسود المنزل، مما يضعف بطبيعة الحال العلاقات بين الأفراد ومن ثمَّ تصبح عرضة للتفكك والانهيار ويتجلى التفكك في العلاقات بين أفراد الأسرة وهو أن كل فرد من أفرادها منشغل بهمومه ساعيًا إلى تدبير أموره بعيدًا عن مشاركة الآخرين له مما يؤدي في النهاية أن يواجه الفرد أعباء الحياة وصعوباتها لوحده دون أن يجد سندًا من الآخرين وهذا معناه أن الانحراف الذي يظهر في سلوك الفرد قد لا يجد من الآخرين الذين يعيشون معه في منزل واحد من يساعده على تقويمه، وهو لما يزل في مراحله الأولى؛ فيستمر في الانحراف مع توفير بعض الإغراءات من هذا الطرف أو ذاك من بعض أفراد أسرته أو من أقرانه كذلك الحال مع الاضطرابات النفسية التي تعد هي الأخرى محرضًا من محرضات السلوك الإجرامي، ويرجع ذلك أساسًا إلى أن الفرد المصاب بأحد الاضطرابات النفسية أو ببعضها قد يفقد توافقه الشخصي والاجتماعي وبالتالي لا يتمكن من الاندماج مع الوسط الاجتماعي، فيؤثر الانعزال والانطواء في نفسه، ويصبح من السهل استثارته ودفعه إلى ارتكاب الجريمة، لا سيما إذا كان من أولئك الذين يعانون من الرحام والاكتئاب والأعراض النفسية- الجسمية.

واستنادًا إلى نظرية الإحباط- العدوان التي ترى أن الإحباطات التي يتعرض لها الفرد في حياته من قبيل الاضطرابات النفسية والمناخ الأسري المضطرب قد تستثير السلوك العدواني شريطة أن تتيسر الإشارة بقصد إلحاق الأذى بالآخرين.

## الهوامـــش

(1) Wrigths Man, L.S. Social psychology in the seventies. (California: Brooks / Cole publishing Company Montere, 1972), p. 476.Crutch Field R.S. conformity and character in: Gergen, K.J. and Marlow, D. (Eds). Per-Sonality and social Behavior. (Califonia: Addison-Weslcy publishing Company Mennlo park, 1970), p. 195.

(2) Hunt, E.F,Social science:

Anintopdution to the study of society. 4th, (New York: the Macmillan Company, 1972), p. 267.

(3) Hurlock, E,B. personality Development. (New MCGRAW-Hill Book Company, 1974), p 359.

(4) Hunt, 1972, Ibid, p. 262.

(5) Hetherington, E,M and Parke R.D. child Psychology: Acontemporary view point. 3 rd ed (New York: MCGRAW- Hill Book Compon 1986).0p.17.

(٦) خلف عبد الكريم جعو، التحول في السلوك الإجرامي في العراق: دراسة اجتماعية ميدانية في السلوك الإجرامي العنيف لنزلاء المؤسسات الإصلاحية (بغداد، جامعة بغداد، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، ١٩٩٥، ص ٢٠٥).

(٧) حسن محمود شمال، محرضات السلوك العدواني: دراسة ميدانية عن جرائم القتل: شئون اجتماعية، العدد (٥٩)، (الشارقة: جمعية الاجتماعيين: ١٩٩٨)، ص ١٢٧-١٢٩.

(8) Hollin. C.R. psychology and crim: Anintroductoin to criminologi call psychology. (London: Routledge, 1989), p 8 cole Man, J.C. and Broen, W.E. Abnormal Psychology and Modern life, 4th ed (Glenview: scot, Fores Mon and Company, 1979)p. 165.

الحمداني: موفق وآخرون، جرائم القتل: دراسة ميدانية لعدد من مؤشراتها النفسية

والاجتماعية، (بغداد: مركز البحوث والدراسات في مديرية الشرطة العامة ١٩٨٥)، ص ٧٩. سدرلاند، ادرين هارون وكريس، دونالد.ر، مبادئ علم الأجرام ترجمة محمود السبتي وحسن صادق ٠ القاهرة: مكتبة الأنجلو/ فرانكلين، ١٩٦٨ ص ٧٩٨.

(9) Klein Munz, Bessentials of Abnormal Psychology. (New York: Harper and Row Publishers, 1980).p.387.

(10) Waston, R.E. and et al. Hostility in Neurotics and Normal. Journal of Abnormal and social Psychology. Vol. 50, No.1. 1955. p. 38.

(١١) حسن محمود شمال، دارسة المتغيرات المساهمة بسلوك المجاراة لمعيار المسئولية الاجتماعي (بغداد: الجامعة المستنصرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة، ١٩٩٧) ص ٩٠-٩٤.

(١٢) العبيدي سعد خضير خلف، دارسة تجريبية لبعض المتغيرات المؤثرة في اتخاذ القرار (بغداد: جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٧) ص ٦٢- ٩٦.

سالم غسان حسين، الخصائص النفسية للمرأة ومدى إسهامها في تحديد اتجاهها نحو الإنجاب. (بغداد: جامعة بغداد، رسالة ماجستير غير منشورة، ١٩٨٧) ص ٨٦-١١٥.

(13) Ferguson, G. statistical Analysis in psychology and Education 5th. Ed (Aucland: Mcgraw-Hill, 1981). P.53- 54:

(١٤) علام، صلاح الدين محمود، تحليل البيانات في البحوث النفسية والتربوية (القاهرة دار الفكر العربي ١٩٨٥)، ص ٥٣٨.

obeikandl.com

## زيادة نسبة الجرائم الناجمة عن الخلل الحاصل في تصميم البيئة في المدينة

(نحن نهندس عماراتنا، وعماراتنا تهندسنا بدورها بعد ذلك)

*ونستون تشرشل*

### المقدمة

بات واضحًا في ميدان علم النفس الاجتماعي أن السلوك البشري هو نتاج البيئة الاجتماعية والثقافية، فهي التي تشكله بطريقة تتناسب والقوى الفاعلة فيها ولما كانت هذه القوى هي التي تشكل السلوك البشري، فإن قوى البيئة الطبيعية Physical Environment من مناخ وتضاريس وأبنية سكنية تعمل هي الأخرى على تشكيل السلوك البشري أيضًا، وقد لوحظ على صعيد الواقع اليومي أن طبيعة تصميم البيئة السكنية قد أخذ يؤثر على سلوك الأفراد تأثيرًا بينًا، وقد أشارت الدارسات التي أجريت في هذا الميدان إلى الآثار المترتبة على تصميم البيئة السكنية على السلوك ومنها حصرًا: آثار تتعلق بالجانب النفسي والاجتماعي، وما يهمنا هنا في هذه الدراسة هو معرفة العلاقة بين تصميم البيئة السكنية والجريمة؛ إذ كلما كانت البيئة السكنية على قدر من التنظيم كانت أبعد عن الجريمة، وكلما كانت على درجة كبيرة في توفير الخصوصية لساكنيها؛ أصبحت أقل استثارة للعدوان.

في هذه الدراسة سيقتصر حديثنا على مناقشة الفقرات الآتية:

- التصميم البيئي ودوره في تنظيم الحياة الاجتماعية داخل المدينة.
- العلاقة بين تصميم البيئة السكنية واستثارة السلوك العدواني.
- مقترحات في ميدان التصميم البيئي للحد من الجريمة.

**التصميم البيئي ودوره في تنظيم الحياة الاجتماعية داخل المدينة**

بادئ ذي بدء، إن التصميم البيئي هو أحد الميادين التي عني بها علم النفس البيئي، ويعني صراحة القدرة على تكييف البيئة أو تعديلها وفقًا لمتطلبات الإنسان، سواء في الميدان النفسي أو في الميدان الاجتماعي، إذ لا بد من تكييفها وتعديلها بما يتناسب وحاجاته النفسية والاجتماعية، وفي المحصلة النهائية فإن البيئة المحيطة بالإنسان على الدوام تعدَّل أو تكيَّف وفقًا لمتطلباته؛ لأن الإنسان هو المستفيد الأول والأخير منها، لا أن يكيف الإنسان نفسه للبيئة المحيطة به، طالما أن لديه القدرة على تعديلها أو تكييفها، وقد كيفت الكثير من البيئات التي لم تكن في يوم ما صالحة للسكن البشري، غير أن الإنسان بجهوده، وبفضل ما ابتكره من التصميم البيئي جعل هذه البيئات صالحة للسكن، بل ولقد سيطر على ظروفها الطبيعية بفضل ما توصَّل إليه من تقنية راقية المستوى.

لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن التصميم.البيئي له وظائف معينة في تنظيم الحياة الاجتماعية داخل المدينة، لعل من أبرزها:

١- تسهيل التفاعل الاجتماعي بين الأفراد في مجتمع يتسم بالعزلة بين أفراده وجماعاته، فضلًا عن ضعف العلاقات الاجتماعية السائدة بين هؤلاء[1]، وهنا يبرز دور التصميم البيئي في التقارب بين هؤلاء الأفراد والجماعات، كأن يزيد من اللقاءات بينهم على مستوى التسوق فيجعله موحدًا أو في الطرقات أو في السكن فيخفف من العزلة السارية بين المنازل أو بين الشقق السكنية؛ فيجعلهم يلتقون في الفضاء Space الموجود بين المنازل أو في الفضاء المشترك بين الشقق السكنية؛ فيزداد التعارف بينهم؛ مما يفضي إلى التفاعل الاجتماعي.

٢- تقليل معدلات الجريمة، ولعل ذلك يتضح بإدخال بعض

التحسينات على نوعية البيئة السكنية، بتقليل الازدحام داخل المنزل الواحد وتيسير بعض وسائل الترفيه، بهدف إتاحة الفرصة للأفراد لقضاء بعض ساعات الفراغ فيها بدلًا من قضائها في طرقات المنطقة السكنية التي قد تفضي إلى العدوان أثناء عملية التفاعل الحادثة بينهم.

٣- إن التصميم يعمل على تحسين نوعية الأداء في المؤسسات الإنتاجية والخدمية؛ وهذا يقتضي بالطبع إجراء تحوير أو تغيير في تصاميم هذه المؤسسات سواء على صعيد الأبنية أو على صعيد مستلزمات العمل؛ بحيث تكون هذه التحويرات أو التغييرات تستجيب في المحصلة النهائية للإنسان لكونه المستفيد الأول والأخير من مخرجات هذه المؤسسات.

٤- تقليل معدلات الإصابة بالاضطرابات النفسية والعقلية، وذلك عن طريق استثمار الفضاءات الموجودة في المناطق السكنية بتحويلها إلى ساحات خضراء أو أماكن ترفيهية يقضي فيها الصغار والكبار بعض ساعات الفراغ أو عند الإحساس بالضيق والاكتئاب؛ وبذلك فإن هذه الأماكن قد تساهم في تخفيض درجة الضيق والتوتر، وفي الوقت ذاته فإن هذه الأماكن ربما تسهل على الفرد أن يلتقي بأشخاص آخرين تجمعه بهم الصداقة والمودة قد يشكلون له مصدرًا مهمًّا من مصادر الإسناد الاجتماعي Social Support.

وآية ذلك: إن العناية في تصميم البيئة السكنية مع مراعاة الظروف الطبيعية؛ سيجنب الفرد الإصابة ببعض الاضطرابات العقلية أو النفسية.

٥- إن التخطيط السليم للبيئة السكنية وتجهزيها بشبكة من الخدمات التي تساعدها على التخلص من النفايات والملوثات؛ سيشيع بيئة خالية من الأمراض، وبالتأكيد فإن إشاعة بيئة صحية سينمي أنماطًا من السلوك المقبولة اجتماعيًّا بين الأفراد، ووفقًا لهذا المنطق نتوقع أن يبرز سلوك المساعدة للأفراد

الذين يقعون في محنة أو مشكلة؛ بسبب أن الأجواء الصحية ستحث كلَّ فرد في التنظيم الاجتماعي على تقديم ألوان شتى من المساعدة، ويصح العكس لو كانت البيئة السكنية موبوءة بألوان مختلفة من الأمراض؛ فإنها ستحث الفرد بكل تأكيد على مغادرة المكان بسرعة دون تريث، غير آبهٍ ولا مكترثٍ بمصير أولئك الذين وقعوا في مشكلة أو تعرضوا إلى محنة.

نقول: إن إشاعة بيئة صحية يعتمد بالأساس على سلامة التخطيط، إذ كلما كانت البيئة السكنية مخططة بشكل سليم؛ أصبحت صالحة للسكن البشري وبالتبعية تساعده على تنمية السلوك المقبول اجتماعيًّا.

٦- إن إشاعة أجواء من الترفيه والتسلية داخل المدينة؛ سيخفف عن كاهل الإنسان بعض أعبائه الحياتية التي أخذت تؤثر تأثيرًا بينًا على أدائه وعلى علاقاته بأفراد أسرته، وبطبيعة الحال فإن إشاعة مثل هذه الأجواء، يستلزم جهودًا تخطيطية وذلك بإعادة النظر في تصاميم بعض قطاعات المدينة بحيث تتساوى ومطالب الإنسان.

**العلاقة بين تصميم البيئة السكنية واستثارة السلوك العدواني**

تحدثنا في الفقرة السابقة عن وظائف التصميم البيئي وقلنا: إنه من خلال العناية بتصميم البيئة وجعلها متساوية مع مطالب الإنسان؛ ستخفف الكثير من مشكلاته النفسية والاجتماعية، وكذلك ستخفف بعض مشكلاته الاقتصادية التي أخذ يعاني منها من جراء بعض الأخطاء المصاحبة لتصميم المدينة.

نقول: إن العناية والاهتمام بتصميم البيئة سيجعلنا نتجنب الكثير من المشكلات فيما بعد، وبالتأكيد فإن البيئة التي تتمتع بدرجة كبيرة من التنظيم في كل مرافقها وخدماتها ستقل فيها بدرجة ملحوظة بعض المشكلات؛ ولكن

يبقى التساؤل قائمًا: كيف يستثير التصميم البيئي الجريمة؟ أو بمعنى آخر كيف يحرض التصميم البيئي على ارتكاب الجريمة؟

يمكن القول: إن التصميم البيئي يعمل بمثابة المحرض على ارتكاب الجريمة، ويمكن رصد ألوان التحريض في الشكل الآتي:

١- إن مؤسسات الإسكان في بعض المدن العربية تلجأ إلى تشييد مجمعات سكنية عمودية؛ وذلك تقليلًا للكلفة والوقت، فضلًا عن أن هذا النمط من الإسكان يشغل مساحات أقل بالمقارنة مع مجمعات الإسكان ذات النمط الأفقي، ويعود سبب ذلك إلى زيادة سكان المدينة العربية والهجرة التي تتعرض إليها من المناطق الريفية، مما أوجد طلبًا متزايدًا للوحدات السكنية الأفقية، فانتشرت في كل أرجائها هذه الوحدات بمساحات مختلفة، مما أدى إلى خفض المساحات المخصصة للمدينة في أن تتوسع فيها مستقبلًا، ورافق ذلك غياب الضوابط والتشريعات التي تحد من الهجرة إلى المدينة؛ وكانت العاقبة أن المخططين في المدينة العربية أخذوا يبحثون عن بعض الفضاءات أو المساحات التي لم تشغل بعد، أو أنها قيد الحجز لمؤسسة خدمية معينة تتهيأ أن توسع فيها خدماتها مستقبلًا، وقد نشأ من جراء ذلك شحة في المساحات المخصصة لبناء الوحدات السكنية مضافًا إلى ذلك أن هناك طلبًا متزايدًا لهذه الوحدات سواء من المهاجرين إليها أو من الساكنين فيها، نتيجة انشطار الأسرة الواحدة وخروج الأبناء من منزل الأسرة الممتدة ومحاولة السكن في منزل مستقل؛ ولأن المسكن الحالي لم يعد يتسع للأسر الجديدة؛ الأمر الذي أدى إلى نقص في الوحدات السكنية، وبمرور الوقت أحدث هذا النقص أزمة في الإسكان أخذت تعاني منه المدينة العربية عمومًا، ولإيجاد حلٍّ لهذه الأزمة التي أخذت تتفاقم بمرور الوقت لجأت مؤسسات الإسكان إلى بناء وحدات سكنية عمودية وذلك تقليلًا للكلفة والوقت، فضلًا عن أن هذا النمط من الإسكان يتيح للمخططين إقامة عدد كبير من الوحدات السكنية

في مساحات قليلة.

غير أن هؤلاء في هذه المؤسسات كان جلُّ اهتمامهم التركيز على الطرق التي يتم من خلالها تخفيف الأزمة السكنية، ولم يركزوا على المشكلات التي قد تنجم عن هذا النمط من الإسكان عندما يشغله الساكنون.

نقول: إن هذا النمط من الإسكان عندما شغله الساكنون؛ تبين أنه غير مناسب للمدينة العربية وثمة أدلة وشواهد تشير إلى ذلك، لعل من أبرزها:

أ- إن السكن العمودي هو نتاج البيئات التي وجد فيها؛ وطالما أنه نتاج البيئات التي وجد فيها فهو يعكس بطبيعة الحال تقاليد وأعراف الثقافة السائدة التي تدعو إلى: عدم الاكتراث بالآخر، والعزلة، والانطواء، وتجنب مواجهة الآخر، وتقليل فرص التفاعل الاجتماعي.

ولفرض تشجيع الفرد على التفاعل والاتصال بالآخر، وتقليل العزلة الاجتماعية فقد عمد المخططون في تلك البيئات إلى جعل الأبواب متقابلة مع تيسير ممر واحد يشترك فيه جميع الساكنين في المجمع السكني وتخصيص فضاءات خارج المجمع بغرض إتاحة الفرصة للالتقاء والتحادث؛ مما يفضي في نهاية الأمر إلى تحقيق نوع من التفاعل الاجتماعي بين أفراد المجمع السكني الواحد، ولو تفحصنا الثقافة السائدة في المجتمع العربي، لوجدنا أنها تدعو إلى الاتصال بالآخر ومعاشرة الآخرين والاهتمام بهم عندما تستدعي الضرورة ذلك.

وما يهمنا هنا أن الثقافة السائدة في المجتمع العربي على الرغم من أنها تدعو إلى الاتصال والاهتمام بالآخر، فإن هذا النمط من البناء لا يتناسب مع أعراف وتقاليد هذه الثقافة؛ والسبب يعود إلى أن الأبواب المتقابلة واستخدام ممر واحد وسلَّم واحد، وعدم تخصيص مساحة معينة بقصد التمتع بالمسافة

الشخصية Personal space -والتي قد تنتهك بين اللحظة والأخرى- قد سبَّب للساكن العربي ضيقًا ربما يفسره على أنه اعتداء من الآخرين على شخصه أو على أسرته؛ وعلى ذلك فإن النظرات التي يرميها أحد الساكنين إلى الآخر دون أن يقصد بها سوءًا ربما يفسرها على أنها تحرش بشخصه وأنها تحرش بحياء زوجه، وربما تفضي مثل هذه النظرات التي لم ينتبه إليها هذا الشخص إلى شجار ومن ثمَّ إلحاق الأذى بأحد الطرفين أو كليهما؛ وتشير الوقائع إلى أن بعض مشكلات الساكنين قد تنجم عن مثل هذا النمط من السلوك.

ب- إن الفرد في المجتمع العربي عمومًا غير مهيأ للسكن العمودي، وهذا يعود بطبيعة الحال إلى عوامل تاريخية واجتماعية، فالإنسان العربي عاش في أبنية واسعة تتوفر فيها فضاءات تتيح له حرية التمتع بجمال الطبيعة وفي الوقت ذاته تمنع عنه انتهاكات الآخرين لخصوصيته الشخصية، ولذلك شاعت في المساكن المصممة على النمط الأفقي أسيجة عالية تحجب نظرات الآخرين لأهل الدار وهم يزاولون نشاطاتهم المنزلية في فضاء الدار الخارجي، وهي إشارة واضحة على أن الإنسان العربي في مسكنه يهتم اهتمامًا كبيرًا بالحفاظ على خصوصيته الشخصية ومحاولة تحذير الآخرين من انتهاكها.

ووفقًا لهذا المنطق توصلت الدراسات إلى أن الفرد يشعر بالارتياح والاطمئنان كلما وجدت مسافة مناسبة تفصله عن الآخرين[٢]، وثمة طرق شتى تتحقق بها هذه المسافة: كاللجوء إلى تعلية أسيجة المنازل، وغلق بعض المنافذ؛ لئلا أن يرى الآخرون أهل الدار، وثمة سبب آخر يجعل من السكن العمودي غير مناسب للفرد في المجتمع العربي ألا هو أن الفرد في المجتمع العربي قد كون اتجاهات سلبية نحو السكن العمودي، تنطوي على النفور وعدم التفضيل، فضلًا عن كونه مكانًا يجلب الانحراف والرذيلة. واستنادًا إلى ذلك صارت الوحدات السكنية المشيدة على النمط العمودي غير مفضلة لدى الكثير من الأفراد.

ج- يتأثر السكن العمودي بالمستوى الاجتماعي الاقتصادي لساكنيه، فلقد لوحظ أن الساكنين من المستوى الاجتماعي- الاقتصادي المتدني يفضلون المسكن المستقل وإن كان ضيقًا على السكن العمود، بسبب أن هذا النمط من السكن يقيد حركتهم ويحد من مزاولة نشاطاتهم المعتادة، وإن زاولوا بعضًا منها فقد تحدث ضوضاء ينجم عنها إزعاجٌ للساكنين، مما يؤدي إلى تذمر واستياء هؤلاء.

وقد يترتب على ذلك بعض المشكلات تأتي في مقدمتها: العداوة والكراهية والنفور ومحاولة الإيذاء عند مرور أحدهما من الممر المشترك أو من الباب الرئيس للمجمع السكني أو الوقوف عند باب الشقة ومحاولة إسماع الآخرين بعض الألفاظ النابية، وإذن فإن السكن العمودي غير مناسب بالمرة لأفراد المستوى الاجتماعي الاقتصادي المتدني لا بسبب فقرهم أو عوزهم؛ بل بسبب فقر مهاراتهم الثقافية فضلًا عن زيادة أعدادهم.

ويمكن القول بكل ثقة: إن السكن العمودي قد يكون ملائمًا لأفراد المستوى الراقي وبعض أفراد المستوى المتوسط في المدينة العربية وذلك لقلة عدد أفراد أسرهم، وارتفاع مستواهم الأمر الذي يجعلهم قادرين على معالجة المشكلات المترتبة عن هذا النمط من السكن بحكمة وروية.

د- إن الوحدات السكنية المشيدة على النمط العمودي في البيئة العربية لم يراعَ فيه حالة المناخ، فالمناخ السائد في البيئة العربية عمومًا حارٌّ جافٌّ صيفًا وباردٌ ممطرٌ شتاءً[٣].

والواقع أنه ليست ثمة عائق أو صعوبة أمام الساكن في الأشهر الباردة في هذا النمط من السكن؛ ولكن الصعوبة تكمن في الأشهر الحارة لا سيما أن هذه الأشهر في بعض المدن قد تكون أطول من الأشهر الباردة، فضلًا عن

ارتفاع درجات الحرارة أكثر من معدلاتها الطبيعية في بعض الأحيان مع هبوب عواصف ترابية مما يستدعي أن يبقى الساكنون في هذه الوحدات وعدم الخروج منها.

وهذا يعني أن ثمة خدمات لا بد من توافرها، لعل من أبزرها استمرار التيار الكهربائي على مدار الأشهر الحارة بلا انقطاع وهو الأمر الذي لا يمكن التنبوء باستمراره، وإزاء ذلك فإن الساكن أيام القيظ الحار سيشعر بحالة من الضيق عند انقطاع التيار الكهربائي.

الأمر الذي يؤدي بالساكنين إلى اللجوء إلى بعض منافذ الوحدة السكنية ومنها النوافذ المطلة على الشارع أو الأبواب أو الممرات الفاصلة بين الشقق السكنية في محاولة لالتماس البرودة، ومما نخشاه أن ارتفاع درجات الحرارة مع هبوب عواصف ترابية وانقطاع التيار الكهربائي عن الوحدات السكنية قد يعد محرِّضًا على حدوث مشاجرات أو خلافات على أقل تقدير بين الزوج وزوجته أو بين الفرد وأسرته، وربما تتطور هذه الخلافات إلى ما لا يحمد عقباه.

**من ذلك نخلص إلى قول مفاده:**

إن السكن العمودي غير مناسب للساكن في المدينة العربية، مما يقتضي استحداث وحدات سكنية تتناسب مع المستوى الاجتماعي الاقتصادي للساكن ومراعاة الأعراف السائدة، فضلًا عن تكيفها للأحوال المناخية.

٢- إن حركة المرور في شوارع وطرقات المدينة العربية تشهد ازدحامًا في الوقت الحاضر، والسبب يعود إلى أن أغلب المراكز الخدمية تتركز في وسطها، بينما تقل مثل هذه المراكز في الأطراف منها، وبطبيعة الحال فإن هذا التركز قد أدى إلى التكدس في الشوارع والطرقات العامة من جراء زيادة عدد رحلات

العمل اليومية[٤].

وكانت عاقبة ذلك بطء في حركة المركبات في شوارع وطرقات المدينة، فضلًا عن كثرة توقفاتها.

والحقيقة أن ازدحام المرور في الطرقات والشوارع ولفترة زمنية طويلة ستؤدي إلى التوتر لدى البعض من الأفراد، وذلك لأن الوقت الذي يصرف في الشارع من جراء الانتظار قد يؤدي إلى الإحساس بالإرهاق البدني مضافًا إليه إرهاق العمل.

وبالمحصلة النهائية ربما يفضي إلى الإنهاك النفسي وهي الحالة التي يفقد فيها الإنسان قدرته على احتمال الموقف؛ ولذا تنشأ حالة الضيق والتوتر والتبرم من عدم احتمال الانتظار المروري فضلًا عن ضجيج المنبهات التي تدعو سائقي المركبات إلى التحرك والسير.

إن الإلحاح في حث الآخرين على السير سيزيد من تبرم وضيق الأفراد وبخاصة أولئك الذين لديهم سمات شخصية من قبيل: الاندفاعية، وقلة الصبر، وعدم احتمال الموقف، وبمقتضى ذلك فإن حركة المرور هذه قد تستثير هؤلاء بقذف الآخرين بألفاظ نابية؛ مما يفضي إلى الشجار وربما تكون عاقبة ذلك النزول من مركباتهم والاشتباك بالأيدي، وقد يساعد تيسر بعض الأدوات الحادة أو الجارحة على مقربة من المركبة أو من مكان الاشتباك على زيادة الاشتباك، وربما ينتهي بإصابات بدنية طفيفة أو بالغة الخطورة ، وقد ينتهي بموت أحد الطرفين.

إن غياب العنصر التخطيطي لمداخل المدينة وشوارعها وفضاءاتها، وتكدس السكان في الوسط نظرًا لتوافر المراكز الخدمية فيها مع إهمال المناطق المحيطة بها، سيزيد من الازدحام المروري بمرور الوقت، مما سينجم عن ذلك

المزيد من المشكلات وفي مقدمتها: ازدياد معدل الجريمة.

٣- إن عدم مراعاة التخطيط العمراني المنظَّم للمدينة العربية، قد أدى إلى انتشار أحياء سكنية متفاوتة في نوعية السكن فلقد شاعت أحياء سكنية تتمتع بمساكن واسعة تحيطها حدائق غناء وخدمات حضرية تتناسب ونوعية مساكنها، وبالمقابل شاعت فيها أحياء سكنية مزدحمة إلى درجة التكدس تتمتع بمساكن ضيقة شديدة التراصف إلى بعضها إذ تفتقر إلى الفضاءات ا لداخلية وإلى الحدائق التي تتوسطها.

نقول: بسبب عدم مراعاة التخطيط العمراني المنظَّم للمدينة العربية أخذت تشيع في الأحياء المزدحمة منها جرائم مختلفة، ومن اللافت للانتباه أن معدلات هذه الجرائم زادت كثيرًا عن معدلاتها في الأحياء السكنية غير المزدحمة[٥]! وعند التحري عن الأسباب التي تجعل هذه المناطق تشيع فيها الجريمة بدرجة لافتة للانتباه، لعلنا نجد من أبرزها:

أ- اضطرار بعض الأسر إلى السكن مع أسر أخرى في منزل واحد، بسبب ضعف موردها الاقتصادي مما زاد من التكدس والتزاحم، فضلًا عن زيادة عدد أفرادها؛ فقد وصل معدل عدد الأشخاص داخل المنزل الواحد إلى (٨)[٦] الأمر الذي يدفع بأغلبية الأفراد في هذه الأحياء إلى ترك المنزل طلبًا للتسلية والترويح، وسبب ضيق المساحة المخصصة للترويح وقضاء أوقات الفراغ فإنهم يلجأون في العادة إلى التجمع على شكل جماعات أو أفراد بقصد التسلية أو تبادل الأحاديث، وغالبًا ما يفضي هذا التجمع إلى التحرش بحياء الفتيات أو تنقلب الأحاديث الدائرة بينهم إلى سخرية أو تهكم بالبعض منهم؛ وتكون العاقبة القذف بألفاظ نابية أو مخدشة للحياء الاجتماعي وربما يتطور الأمر فينقلب إلى اشتباك بالأيدي.

وقد يجد البعض في ارتياد المقاهي المنتشرة في هذه الأحياء نوعًا من أنواع التسلية أو قضاء أوقات الفراغ، والأهم من ذلك أن ارتياد الفرد لهذه الأماكن ربما تعلمه أساليب في غاية الانحراف، وذلك من خلال سماعه لأحاديث بعض المترددين من المنحرفين عن فنون الانحراف والتمايل والمغامرات التي خاضها هؤلاء في ميدان الانحراف.

وقد تكون أحاديث هؤلاء عن فنون الانحراف إشارة cue للتحريض على ارتكاب بعض الجرائم، لا سيما لدى أولئك الذين يعانون من حالة القهر والبطالة.

ب- ومما زاد من معدلات الجريمة في هذه الأحياء، أنها أخذت تعيش حالة العزلة عن المجتمع، فكونت لها من جراء ذلك ثقافة فرعية sub culture تهتم أو تعني بأحوالها الاجتماعية يمكن أن نطلق عليها ثقافة الأحياء المزدحمة[٧] أو الشعبية، وبموجب هذه الثقافة شاعت لدى الساكنين فيها صور نمطية stereo types مفادها:

إن الحياة في هذه الأحياء سيئة وتتسم بالقذارة وضعف أساليب التنشئة الوالدية فيها وتدني المستوى التعليمي لأبنائها فضلًا عن سيادة النزعة العشائرية أو القبلية في العلاقات الاجتماعية بين أبنائها، وعلى ذلك فإن الساكنين في هذه الأحياء من السهل استثارة السلوك العدواني لديهم بمجرد توفر إشارة التحريض.

جـ- إن المدارس في الأحياء المزدحمة أخذت تؤدي دورًا هامشيًّا، مما ترتب على ذلك أنها فقدت دورها التربوي وبالتالي عجزت عن تشكيل سلوك أبنائها بما يتناسب والفلسفة التربوية السائدة، وثمة مؤشرات تؤكد هذا الرأي، فلقد سجلت مدارس هذه الأحياء معدلات عالية في التسرب من

الدارسة[٨] وطبقًا لتقدير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا لعام ١٩٩٧، فقد بلغت نسبة التسرب بين (٢٠٪- ٣٠٪) في هذه الأحياء بمصر[٩] وفي الأردن بلغت بحدود (٤٠٪)[١٠] وفي العراق كانت نسبة التسرب أكبر بالمقارنة بالأحياء غير المزدحمة[١١] بينما وصلت هذه النسبة في اليمن إلى (٥٠٪)[١٢] وهي نسبة عالية إذا قورنت بنسب التسرب في مدارس البلاد العربية الأخرى.

وعلى ذلك فإن التسرب من الدارسة، قد يكون أحد العوامل المهيئة للجنوح، وهو في حقيقة الأمر شكل من أشكال الجريمة. ولعل ذلك يعود إلى أن المدارس في هذه الأحياء صارت طاردة أكثر مما هي جاذبة لأبنائها، وهنا يبرز دور التصميم البيئي لكونه أحد العوامل التي أضعفت فاعلية المدارس.

في هذه الأحياء لو أجرينا مسحًا لتصاميم المدارس في الأحياء المزدحمة لوجدنا أنها تدعو إلى التسرب، بل إنها لا تشجع التلميذ على الالتزام بمطالبها وواجباتها، فقد غدت حافلة بالمنبهات التي تدعو إلى النفور ابتداءً من ساحة المدرسة وانتهاءً بقاعة الدرس، فالصفوف الدراسية قد اكتظت بأعداد التلاميذ بأكثر من طاقاتها الاستيعابية لا سيما في مرحلة الدارسة الابتدائية. فلقد وصل معدل كثافة الصف الدراسي الواحد إلى (٤٥.١) تلميذًا في مصر عموما[١٣] بينما بلغ معدل كثافة الصف الدراسي في المدارس الابتدائية باليمن إلى (٦٠) تلميذًا[١٤] وبموجب الكثافة العالية في هذه الصفوف فمن المتوقع أن تكون مكانًا غير مناسب بالمرة؛ لأن يقضي فيه التلميذ وقتًا قرابة نصف النهار وهو يؤدي فيه عملية التعلم. والمعروف سلفًا أن نجاح عملية التعلم تتوقف على جملة أمور منها:

تتيسر مقاعد للجلوس يجد فيها التلميذ بعض الراحة طيلة فترة الدرس، كما يجب أن تكون هذه المقاعد متناسبة مع مستوى النظر إلى السبورة، فضلاً

عن تيسير بعض التقنيات التربوية. وساحات المدرسة هي الأخرى تفتقر إلى معدات اللعب البسيطة، وخالية من المزروعات، مما يجعلها طاردة للتلاميذ أكثر من كونها جاذبة، ولو خططت ونظمت هذه الساحات بطريقة أخرى لكانت أكثر جاذبية، ولأقبل عليها التلميذ على أقل تقدير للتمتع بمعداتها وأجوائها، مما يتوجب عليه قضاء الساعات الدراسية في المدرسة، وبذلك أبعدنا التلميذ عن الجنوح.

٤- لقد نشأت على أطراف المدن العربية أحياء سكنية غير منظمة[١٥] أو بمعنى أصح أحياء سكنية أشبه بالخربة، ولقد أطلق عليه تسميات مختلفة استنادًا إلى المادة التي تبنى منها فقد أطلق عليها مدن الأكواخ والصفيح[١٦] بسبب أن الطين والأحجار وقطع الفصيح تشكل موادًا أساسية لمنازل هذه الأحياء.

وقد أنشئت على إثر الهجرة إليها من المدن التي تعرضت إلى آثار الدمار في الحرب كما حصل في بعض المدن المصرية والعراقية واللبنانية، أو بسبب الهجرة إليها من الأرياف، أو بسبب قلة فرص العمل وتدني مستوى الخدمات في المدن المهاجر منها.

إن المتتبع لهذه الأحياء، يلاحظ أنها تتسم بحالة غياب الأمن، وهو الأمر الذي شجع بعض المجرمين على اتخاذها مأوى لهم، فأخذوا يرتكبون بعض الجرائم وإلقاء آثارها في هذه الأحياء، ظنا منهم أن القانون سوف لا ينالهم؛ طالما ظلوا متوارين عن الأنظار.

والحقيقة أن هذه الأحياء لو استمرت بالنمو والتوسع دون إيجاد بعض المعالجات التخطيطية لها، فإن الحياة الاجتماعية داخل المدن التي تحيطها مثل هذا الأحياء، ستصبح مهددة وغير آمنة، وربما يسودها هياج جماعي عندما

يمر المجتمع بأزمات اقتصادية أو عسكرية، وبطبيعة الحال إن الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الساكنون في هذه الأحياء مهيأة؛ لأن تستثير لديهم حالة السخط والتذمر والاستياء من النظام الاجتماعي؛ وعندئذ ستعم حالة من الفوضى والاضطراب والخراب، بعد أن يضعف النظام الاجتماعي بمؤسساته كافة في السيطرة على مجريات الأمور في المجتمع.

وإذن فإن العناية بالتصميم البيئي من حيث تخطيط الحي السكني وتسهيل إيصال الخدمات إليه ورفع مستوى نوعية الحياة بما يتناسب وحالة التحضر في المدينة، كفيل بتقليل معدلات الجريمة.

٥- إن بعض المؤسسات الخدمية والاجتماعية في المدن العربية، قد أخذت تحرض من دون قصد على ارتكاب الجرائم، وبخاصة لدى فئة الشباب، إذ أنها سمحت للباعة بالتجاوز على بعض أرصفة الطرقات والشوارع أو استخدام بعض الفضاءات التي عادة ما تكون أمام الأسواق العامة أو المحال التجارية في عرض بضائعهم والمناداة عليها.

والحقيقة إن العمل في مثل هذا النوع من التجارة، وفر فرصًا للعمل لشباب كانوا يشكون من البطالة أو قلة فرص العمل أو أن دخلهم من أعمال أخرى غير كافٍ؛ لذا اضطرت هذه الفئة من الشباب الدخول إلى عالم تجارة الأرصفة، وعند الاستقرار في المكان وممارسة عمليات البيع، أخذ القسم الكبير من هؤلاء الشباب بالتفكير بمشاريع مستقبلية بحيث تدر عليهم بالربح الوفير، فضلًا عن أنها فرصة لتحقيق طموحاتهم الشخصية غير أن توسع هؤلاء في تجارتهم قد أعاق حركة المرور في الطرقات وصعوبة إيصال بعض الخدمات إلى الأحياء السكنية المحيطة بهذه الأماكن، كما أن هذه التجارة أخذت تشوه المنظر الجمالي للمدينة، مما اضطر بعض المؤسسات الخدمية المعنية بالأمر إلى اتخاذ قرار الإزالة.

وكانت عاقبة ذلك أن طموحاتهم الشخصية لم يتحقق منها شيء يذكر، وذهبت أحلامهم أدراج الرياح، بل ولقد انقطع مصدر رزقهم، وأصبحوا عالة على غيرهم بعد أن كانوا مصدرًا فعالًا للإعالة في أسرهم.

وإزاء ذلك أصبح لزامًا عليهم البحث عن مصدر آخر يكسبون به قوتهم اليومي، وبما أن الحصول على فرصة عمل في مجتمع يعاني من أزمات اقتصادية، لا يعد سهلًا وعلى وجه الخصوص، تلك الفرص من العمل التي تسد بعض الاحتياجات الأسرية والشخصية؛ لذا فقد أقدم البعض منهم على ممارسة أعمال هامشية، وهي في واقع الأمر لا تخلو من بعض التمايل على القانون أو أن ممارستها ينطوي على نمط سلوكي غير مقبول اجتماعيًّا ومع ذلك، فقد مارسها مضطرًا، لا مختارًا، بسبب حالة السأم والملل والبطالة التي أخذ يشكو منها.

ومما له دلالة في هذا الصدد، أن الحالة النفسية والاجتماعية لهؤلاء تجعلهم لا يبدون أية مقاومة تذكر إزاء الإغراءات التي يقدمها لهم أولئك الذين سبقوهم في ممارسة هذه الأعمال، بقصد حثهم في العمل معهم والانخراط في مزاولة نشاطاتهم. ومما نخشاه، قد يصبح هؤلاء بمرور الوقت على درجة عالية من الحذق في فنون الانحراف؛ وإذن لا غرابة أن نجد هؤلاء في يوم ما قد قاموا بعملية سطو مسلح أو محاولة اغتصاب، أو حتى قتل بعض الأفراد لأجل تحقيق منفعة معينة.

**مقترحات في ميدان التصميم البيئي للحد من الجريمة**

على ضوء ما طرحناه في الفقرة السابقة، نجد لزامًا علينا أن نوصي ببعض المقترحات التي من شأنها أن تقلل من ارتكاب الجريمة لعل من أبرزها:

١- الدعوة إلى استثمار الفضاءات الموجودة في الأحياء السكنية وتحويلها إلى أماكن ترفيهية أو نواد اجتماعية، أو جعلها ساحات خضراء يلتقي فيها

الكبار والصغار بقصد قضاء أوقات الفراغ.

٢- الدعوة إلى حل بعض اختناقات الطرقات في المدن إذ أن بقاء هذه الاختناقات سيتسبب عنها ازدحام في حركة المرور وبالتالي قد تقود إلى الجريمة؛ وعليه فإن حل هذه الاختناقات التي تعاني منها بعض الطرقات كفيل بتقليل معدلات الجريمة.

٣- من الضروري أن يكون ثمة حل لأولئك الشباب الذين يعملون في تجارة الأرصفة بحيث يضمن استمرارية كسب قوتهم اليومي وفي الوقت ذاته يحافظ على حركة المرور وإيصال الخدمات إلى الأحياء السكنية التي يتواجدون فيها.

وبالتأكيد إن إيجاد بعض الحلول لمشكلات هؤلاء الشباب يقتضي إجراء دراسة شاملة لأحوال المدينة الاقتصادية والعمرانية وإمكانية استحداث فرص العمل.

٤- من المناسب أن تعيد الجهات المعنية النظر في الأحياء السكنية المقامة على أطراف المدن إما بتحسين شبكة خدماتها الاجتماعية والأمنية، أو التقليل من الهجرة إليها مستقبلًا أو إيجاد بدائل سكنية عنها.

٥- الدعوة إلى عقد ندوات علمية لمناقشة أوضاع الأحياء السكنية المزدحمة؛ لغرض التوصل إلى بعض المقترحات التي من شأنها أن تقلل من معدلات الجريمة فيها.

obeikandl.com

## الهوامـــش

(1) Sund Stron, E. Physical Environment and interpersonal Behaviour, in: Wrightsman, l.S. and Deaux, R.social psychology in the 80,s, 3 rd ed. (California: Brooks/ Cole publishing Company momterey, 1981), p: 530.

Zihner, R.B. Neigh bor hood and community Satis faction: Are Port on new towns and Less Planned sub urbs in: wohl will, J.F. and Carson, D.H. Environment and the social sciences: perspectives and Applications. (Washington: American Psychological Association, inc. 1972).p. 176 .

(2) Middlemist, R.D. and Knowls, E.S. personal space invasions in the lavatory: suggestive Evidence for Arousal.

Journal of personality and social psychology. Vol. 33, No.5. 1976, p. 544-545.

Albert,s. and Dabbs, J.M. Physical Distance and persuasion. Journal of personality and social psychology. Vol. 15, No.3, 1970. p. 269.

Gold stein, J.H. Social psychology. (New York: Academic Press, 1980). P. 392.

(٣) السلطاني خالد. حديث في العمارة. (بغداد: دار الشئون الثقافية العامة سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٩٨٥) ص ٨٦.

(٤) كمونة حيدر عبد الرزاق. مشكلات النقل والمرور في المدينة العراقية (بغداد: دار الشئون الثقافية سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٩٨٦) ص ٣١.

(٥) حسن محمود شمال محرضات السلوك العدواني: دراسة ميدانية عن جرائم القتل شئون اجتماعية العدد ٥٩ ( ١٩٩٨) ص ١٢٧ - ١٢٨.

(٦) موسى ماهر يعقوب التحليل الجغرافي للوظيفة السكنية في مدينة البصرة ١٩٧٧ - ١٩٩٦. (بغداد جامعة بغداد أطروحة دكتوراه غير منشورة ١٩٩٧) ص ١٩٤

العزي نجاح خالد يحيى المظاهر الاجتماعية والديموغرافية لإسكان ذوي الدخل

المحدود. (بغداد: جامعة بغداد ورسالة ماجستير غير منشورة ١٩٩٣) ص ٧٣.

(7) Clinard, M.B. slums and community Development: Experiments in self-Help. (New York: the Free press, 1966)p.11.

(٨) بوعناقة على الأحياء غير المخططة وانعكاساتها النفسية- الاجتماعية على الشباب: دراسة ميدانية مقارنة في مدينة جزائرية. المستقبل العربي.
العدد (١٤٥) بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩١) ص ١٠٢ موسى ١٩٩٧ المصدر السابق ص ٢٥٩.

(٩) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا. أثر سياسات الاقتصاد الكلي والسياسات الاجتماعية على الفقر حالة الأردن ومصر و الجمهورية اليمنية (نيويورك: الأمم المتحدة ١٩٩٧) ص ٩٤.

(١٠) الفارسي عبد الرزاق فارسي الحكومة والفقراء: من العدد (٢٢٥) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٧) ص ٨٢.

(١١) عزيز حنان. عزوف التلاميذ عن التعليم: أسبابه ومعالجاته. الأسرة العربية. العدد (٢) (تونس: المنظمة العربية للأسرة ١٩٩٤) ص ١٣٨.

(١٢) اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا ١٩٩٧ المصدر السابق ص ٩٨.

(١٣) المصدر السابق، ص ٩٧.

(١٤) المصدر السابق ص ٩٧.

(١٥) كمونة حيدر عبد الرزاق العلاقة بين ظاهرة التحضر والجريمة. (بغداد: دار الشئون الثقافية العامة سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٩٩٧) ص ٢٩- ٣٠.

(١٦) بركات حليم. المجتمع العربي المعاصر: بحث استطلاعي اجتماعي ط ٥ (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٦) ص ٩٤.

obeikandl.com

## اضطراب التنظيم الاجتماعي
## إثر تعرضه إلى الكارثة

المقدمة

لا بد من الإشارة في هذا السياق إلى أن الكارثة الطبيعية Disaster عند وقوعها ستعمد إلى تشكيل سلوك الأفراد بما يتناسب وشدتها هو يعني جملة أن السلوك البشري أثناء الكارثة سيتسم بالتفكك وعدم التنظيم وعدم القدرة على إيجاد البدائل لمواصلة المعيشة فضلًا عن حالة التبلد التي يتصف بها أثناء وقوع الكارثة. في هذه الدراسة سيقتصر حديثنا على الفقرتين الآتيتين:

- سلوك الأفراد أثناء وقوع الكارثة الطبيعية.
- الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على الكارثة الطبيعية.

### سلوك الأفراد أثناء وقوع الكارثة الطبيعية

من الضروري الإشارة إلى أن ثمة مراحل يمر بها الأفراد على العموم عند تعرضهم للكارثة سواء كانت هذه الكارثة فيضانات أو أعاصير أو زلازل أرضية أو براكين ويمكن الكشف عن هذه المراحل كما ذكرها كولمن وبروين ١٩٧٢ وعلى النحو الآتي:

١- مرحلة الصدمة.
٢- مرحلة قبول الإيحاء.
٣- مرحلة الاسترجاع أو الاستعادة[١].

**فيما يتعلق بالمرحلة الأولى وهي الصدمة Shock** يصبح الفرد مذهولًا وغير واع بما حوله ومشتت الانتباه نتيجة تعرضه للكارثة إذ إن التنبيهات البيئية الشديدة ستؤدي بكل تأكيد إلى تشتيت الانتباه وعدم التركيز؛ لذا يصبح الفرد في حالة من الذهول غير واع لحالته؛ وذلك للهول الذي تعرض له أثناء

الكارثة، وعلى هذا الأساس فإن غياب التنظيم وعدم القدرة على التفكير بالبدائل لمواصلة الحياة هي من أبرز الخصائص التي تتميز بها مرحلة الصدمة.

**والمرحلة الثانية** التي يمر بها السلوك البشري أثناء الكارثة هو تقبل الإيحاء Suqqestion ونعني بالإيحاء هنا أن الفرد يكون على استعداد لتقبل الأفكار دون مناقشة أو تأمل فيها، إذ يتقبلها كما هي دون إبداء رأي فيها ولو طبقنا ذلك على الأفراد الذين يتعرضون إلى الكارثة لوجدنا أنهم قوم سلبيون لا يفعلون شيئًا يذكر إلا في الحالات التي يطلب منهم أداء عمل معين أو اتخاذ تدابير معينة، فهم على العموم يحثهم الآخرون بهدف تقديم العون والمساعدة للمنكوبين أو إسعاف بعض المصابين أو نقل الجرحى إلى المستشفى أو تهيئة بعض مستلزمات إدامة الحياة.

وعلى ذلك فإن سلوك الأفراد في الكارثة لا يتسم بالفاعلية المطلوبة في مثل هذه الحالات، كما أن هول الكارثة قد لا يتيح لكثير منهم التفكير بأسلوب الحياة لما بعد الكارثة أو على نحو أدق تخيل صور الحياة بعد الكارثة أو ما يسمى بيوتوبية الحياة بعد الكارثة. والحقيقة أن ذلك يقتضي أن تكون ثمة مؤسسات اجتماعية تتولى إعادة تأهيل الأفراد لحياة ما بعد الكارثة.

**والمرحلة الثالثة:** هي المرحلة التي سيدور فيها الحديث عن تأهيل الأفراد لمرحلة ما بعد الكارثة.

نقول: إن المرحلة الثالثة وهي مرحلة الاسترجاع أو الاستعادة وفيها تتم استعادة الفرد لوعيه بعد أن أخذ قسطًا من الراحة فضلًا عن الاستبصار في المشكلات التي سببتها الكارثة؛ وعليه فإن تقديم الإسناد الاجتماعي للأفراد الذين عانوا منها بدرجة شديدة بات ضروريًّا وهنا تبرز وظيفة المؤسسات الاجتماعية فهي التي تأخذ على عاتقها مهمة تأهيل الأفراد بهدف تقبل الحياة

الاجتماعية بعد الكارثة بكل سلبياتها وهذا يقتضي في واقع الأمر أن تكون هناك وحدات إرشادية تتخذ من المؤسسات الاجتماعية مقرًا تتولى تقديم الإرشاد الجماعي للحالات التي تعرضت إلى الكارثة بعد أن فقدت بعض أبنائها أو ممتلكاتها.

**والغاية من الإرشاد الجماعي هنا:** هو تبصير الفرد بحجم الأضرار التي خلفتها الكارثة والإمكانيات المتاحة للتعويض، ومحاولة حث الأفراد كافة على حشد قواهم بهدف إعادة البناء وإنقاذ الحالات التي تشكو من الضرر الكبير، وكذلك تقديم الإسناد الاجتماعي لكل الأفراد الذين تعرضوا للكارثة وذلك من خلال النصح والإرشاد أو من خلال إيجاد معنى لحياة أو وجود كل فرد من الأفراد الذين تعرضوا إلى الكارثة وعلى العموم فإن مرحلة الاسترجاع أو الاستعادة تعد من المراحل الضرورية التي يجب التركيز عليها بدرجة كبيرة. إذ تتم من خلالها استعادة التوازن النفسي الذي اختل أثناء وقوع الكارثة لذا فإن تهيئة البرامج الإرشادية فضلًا عن تهيئة الموارد اللازمة لمواصلة الحياة تعد من العوامل الهامة لمواجهة أية كارثة.

**الآثار النفسية والاجتماعية المترتبة على الكارثة الطبيعية**

لقد بات في حكم المؤكد أن ثمة آثارًا نفسية واجتماعية تترتب على الكارثة بعد وقوعها لاسيما إذا لم تكن هناك برامج لمعالجة الأضرار الناجمة عنها وعادة ما تشيع مثل هذه الآثار في البلدان النامية حصرًا؛ وذلك لقلة إمكاناتها الاقتصادية والتكنولوجية في معالجة الأضرار الأمر الذي يعني أن ثمة آثارًا نفسية أخرى اجتماعية تترتب عند وقوعها وفي هذا السياق سنتعرض إلى الآثار النفسية ثم نعرِّج بعد ذلك إلى الآثار الاجتماعية.

الآثار النفسية

١- لعل من أبرز الآثار النفسية الدالة على الكارثة هو شيوع حالة من التفكك في سلوك الأفراد وغالبًا ما يكون هذا التفكك لمدة قصيرة[٢] بعدها يستعيد الأفراد حالة الهدوء وسيادة التنظيم والتفكير بالمصير ومحاولة ابتكار البدائل المطلوبة للعودة إلى الحالة السابقة.

هذا معناه أن الكارثة ما أن تقع حتى تؤدي إلى تشتيت الانتباه ونشر حالة من الذعر والهلع بين صفوف الأفراد.

٢- قد تسيطر على الفرد حالة انفعالية لم تكن معهودة لديه قبل الكارثة[٣] إذ إن هذه الحالة الانفعالية ستقترن بكل نمط سلوكي يصدر عنه ولعل الضغوط أو الشدائد التي يتعرض لها الفرد أثناء الكارثة قد تستثير الانفعال لديه.

وبناء على ذلك يفترض أن تكون الحالة الانفعالية لدى الفرد مستقرة إلى حد ما أو أنها تتسم بالاستقرار قبل تعرضه إلى الكارثة ولكن وجد أن الكارثة ما أن تقع حتى يستثار غضبًا ولو لأتفه الأسباب. ومرد ذلك أن الكارثة بكل أهوالها وشدائدها وضغوطها قد أحدثت خللًا في اتزانه الانفعالي.

٣- وبسبب أن الكارثة الطبيعية هي نوع من أنواع الضغوط الشديدة التي يتعرض لها الأفراد فمن الطبيعي أن تسبب لهم اضطرابات نفسية شتى، ولو أجرينا عملية كشف ومعاينة لأولئك الذين تعرضوا إلى الكارثة لوجدنا أن هؤلاء أخذوا يعانون من أنواع متعددة من هذه الاضطرابات لعل من أبرزها:

أن هؤلاء -وبسبب هول الكارثة- أخذوا يعانون فيما بعد من اضطرابات سايكوسوماتية PSYCHOSO SOMATIC DISORDERS أمراض عضوية ذات منشأ

نفسي -نذكر منها: قرحة المعدة والاثنى عشر، وآلام المفاصل والظهر والقلب وما إلى ذلك. هذه الاضطرابات تحدث بطبيعة الحال بفعل التعرض الشديد إلى الضغوط STERSS أو المحن أو الشدائد فتحدث خللًا في وظيفة أحد أعضاء البدن مما يفضي إلى آلام مبرحة نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

قرحة المعدة: إذ تنشأ القرحة في العادة من الضغوط النفسية الشديدة التي يتعرض لها الفرد مما يؤدي إلى زيادة إفراز الحامض المعدي، وزيادة الإفراز أو نقصانه يؤدي إلى اختلال التوازن الداخلي وتأسيسًا على ذلك تؤدي الزيادة في الحامض المعدي إلى نخر جدار المعدة أو إحداث قروح في جدارها الأمر الذي يؤدي إلى إحساس الفرد بآلام في معدته تلازمه في بعض الأوقات وللتدليل على العلاقة الوثيقة بين الضغوط النفسية الشديدة والاضطرابات السايكوسوماتية نسوق في هذا الصدد إحدى التجارب العلمية التي أجريت على الحيوانات ففي هذه التجربة وجهت إلى قردين اثنين صدمات كهربائية كل (٢٠) ثانية وكان كل منهما يجلس بجوار الآخر وكان أمام أحد القردة زر يضغط عليه في الوقت المناسب؛ ليتقي به هذه الصدمات فإذا ضغط القرد على الزر قبل الصدمة أو بعدها أو لم يضغط على الإطلاق يتعرض كلاهما للصدمة.

لقد تبين أن القرد الذي يجلس مستريحًا ولم يتحمل مسئولية الضغط على الزر تبين أن التجربة لم تؤثر عليه إلا قليلًا، أما القرد المكلف بالضغط على الزر فقد أصيب بقرحة في المعدة[٤] وذلك لأن الدور الذي يجب أن يقوم به يقتضي أن يكون يقظًا بهدف إبعاد شبح الصدمات الكهربائية الأمر الذي جعله في حالة من الحذر واليقظة مصحوبة بالتوتر لأن إغفال الوقت وعدم الانتباه إليه بدقة سوف يعرضه إلى الآلام، وبذلك فإن الضغوط الشديدة قد تسبب للفرد بعض الآلام البدنية.

وثمة مظاهر سلوكية تبدو على الأفراد الذين تعرضوا إلى الكارثة الطبيعية

هي في حقيقة الأمر دالة على الاضطرابات النفسية من بينها: الإحساس بالحزن الشديد والانعزال عن الآخرين[٥] والنفور منهم يصاحب ذلك أحلام مزعجة أو كوابيس ليلية يتعرض لها الفرد إذ تعكس هذه الكوابيس الكارثة بكل مظاهرها من الدمار والحرائق والهدم والمخلفات الأخرى فليس من السهولة بمكان نسيان ما حدث وتبعًا لذلك ستظل صور ومشاهد الكارثة ملازمة للأفراد لفترة قد تطول، أو تقصر: استنادًا إلى الإسناد الاجتماعي الذي يقدم إلى الأفراد فكلما كان هذا الإسناد قويًا فاعلًا كلما خفف من آلامهم ومعاناتهم وقلل من وطأتها عليهم والعكس صحيح إذا كان الإسناد الاجتماعي ضعيفًا إذ سيزيد من الآلام النفسية المترتبة على الكارثة.

ومما له دلالة في هذا الصدد أن الأطفال سيكونون أكثر تأثرًا بالكارثة الطبيعية من الفئات العمرية الأخرى وذلك يعود إلى أن خبراتهم الحياتية فضلًا عن نموهم الانفعالي لا يسمحان لهم بالتعرض إلى مثل هذه التنبيهات البيئية الشديدة وعلى ذلك فإن تعرض الطفل إلى هذا النوع من التنبيهات قد يترتب عليه مظاهر سلوكية دالة على الاضطراب النفسي من قبيل: الحمى والتبول اللاإرادي والصراخ أثناء الليل مصحوبًا بكوابيس[٦] والحقيقة أن هذه المظاهر السلوكية ستظل تلازم الطفل إلى أجل غير مسمى أي: إننا لا نستطيع أن نحدد بكل ثقة الفترة الزمنية لاختفاء مثل هذه المظاهر والسبب وراء هذا كله هو اختلاف المناخ الأسري فالمناخ الأسري الذي ينطوي على الدفء والتفاهم غالبًا ما يساعد على اختفاء المظاهر السلوكية الدالة على الاضطراب النفسي بينما يحدث العكس في المناخ الأسري الذي ينطوي على النبذ والصرامة فإنه على الأغلب سيطيل من فترة اختفائها.

٤- إن الكارثة الطبيعية تعمد إلى تشويه مدركات الفرد أو بلغة بياجية تعمد إلى تشويه مخططاته Schemata.

معروف أن المخططات الإدراكية: هي العملية التي يتم بموجبها تفسير خبرات الفرد في عالمه الإدراكي ومن ثمَّ تنظيمها بحيث تبدو منسقة مع بعضها ووفقًا لهذا المنطق من المتوقع أن تسيطر صورة الكارثة على مخططاته طوال فترة الصدمة وما بعدها وفي هذا السياق تشير إحدى الدراسات التي أجريت على مجتمع مهجر أن الخبرات المؤلمة الناجمة عن التهجير قد سيطرت على مخططات أطفاله فقد طلب من الأطفال الفلسطينيين الذين عاشوا فترة الحرب لعام ١٩٦٧ أن يرسموا صورًا شتى لا على التعيين وبعد تحليل الرسوم أظهرت النتائج أن فكرة الكارثة وما تضمنته من معاناة وآلام قد سيطرت على رسومهم.

فلقد عكست هذه الرسوم حالة الهلع الذي تعرض له أفراد هذا المجتمع من جراء القصف أو مشاهدة الناس الذين دفنوا تحت الأنقاض أو الصور البشعة لأولئك الذين ماتوا في العراء وقد برزت أحشاؤهم[٧] هذه الصور الناجمة عن الكارثة، قد أحدثت بها لا يقبل مجالًا للشك تغييرًا في مخططات الفرد وهذا معناه أن فكرة التشاؤم والسخرية والحيرة وفقدان المعنى قد سيطرت على مخططاته وبهدف تعديل هذه المخططات ينبغي أولًا تغيير بيئة الفرد وذلك بإزالة مخلفات الكارثة ليتسنى بعد ذلك ترتيب مخططاته من جديد.

٥- بات في حكم المؤكد أن الأزمات الاجتماعية تعمد إلى تغيير النسق القيمي للأفراد ولما كانت الكارثة الطبيعية هي نوع من أنواع الأزمات فإنها بكل تأكيد ستعمد إلى تغيير الأنساق القيمية عند وقوعها لا سيما إذا استمرت آثارها مدة طويلة ولم يكن ثمة معالجات بصدد تعويض الممتلكات أو المستلزمات الحياتية الأخرى العائدة إلى المنكوبين والمتضررين منهم أو محاولة إسكانهم في أماكن مناسبة توفر لهم الحياة الحرة الكريمة وتأسيسًا على ما سبق يمكن القول: إن النسق القيمي السائد سيصبح عرضةً

للتغيير ومن الممكن أن يشيع نسق قيمي وافد أو طارئ يتشكل نتيجة الكارثة بين أفراد التنظيم الاجتماعي.

إذا نحن عدنا إلى الأنساق القيمية السائدة في المجتمعات البشرية أو ما يصطلح عليها في بعض الأحيان بنماذج البشر لوجدنا أن ثمة نماذج إيجابية وأخرى سلبية وهو أمر طبيعي ولا غرابة فيه ذلك أن البناء الاجتماعي ينطوي على الجانب السلبي والإيجابي من نماذج البشر أو من التوجهات القيمية وبهدف التعرف على نماذج البشر الشائعة ندرج في أدناه أهمها:

١-نموذج الإنسان المتدين.
٢- النموذج الإنساني.
٣- نموذج الإنسان المواطن.
٤- نموذج الإنسان المنجز.
٥- نموذج الإنسان المغترب عن المجتمع.
٦- نموذج الإنسان المقهور.
٧- نموذج الإنسان السوق.
٨- نموذج الإنسان الاستعراضي.
٩- نموذج الإنسان المنحرف[٨].

معروف أن هذه النماذج من البشر أو الأنساق القيمية السائدة هي نتاج الظروف المجتمعية أي هي انعكاس لتوجهات المجتمع وتصوراته الحياتية ونظامه الاجتماعي وطبيعة الحضارة السائدة فيه سواء كان هذا المجتمع متقدمًا أو ناميًا.

وما يهمنا هنا أن الكارثة الطبيعية ستعمد إلى تقوية نماذج معينة من البشر وإضعاف نماذج أخرى واستنادًا إلى ذلك فإن الكارثة ستعمد إلى تقوية نماذج

من البشر السلبية التي نعني بها حصرًا: نموذج الإنسان المغترب عن المجتمع، ونموذج الإنسان المقهور، ونموذج إنسان السوق، ونموذج الإنسان الاستعراضي، ونموذج الإنسان المنحرف بينما ستعمد إلى إضعاف نماذج البشر الإيجابية التي نعني بها حصرًا: نموذج الإنسان المتدين، ونموذج الإنسان المواطن، والنموذج الإنساني، ونموذج الإنسان المنجز؛ وستكون عاقبة ذلك أن المجتمع سيعاني من فقدان المعايير أو ما يسمى بالأنوميا Anomie وسيجد الأفراد أنفسهم أمام تفكك اجتماعي يصعب السيطرة عليه مما يقتضي أن تكون هناك مراكز بحثية تعني بدراسة الكوارث وما يترتب عليها من آثار بقصد تهيئة الخطط والبرامج اللازمة لمجتمع ما بعد الكارثة.

**الآثار الاجتماعية**

لا بد من التسليم ابتداء أن الكارثة الطبيعية ما أن تحل بأفراد المجتمع حتى تحدث فيه تصدعًا في بنائه الاجتماعي وغاية ما يمكن قوله بشأن الكارثة أن ثمة آثارًا اجتماعية ستترتب عليها لعل من أبرزاها:

١- إن من أشد الآثار الاجتماعية المترتبة على الكارثة الطبيعية هو احتمال تعرض التنظيم الاجتماعي الذي تحل بهه الكارثة إلى التحلل الاجتماعي Social Disorgani Zatoin والسؤال الذي يثار هنا كيف تعمل الكارثة الطبيعية على إشاعة التحلل الاجتماعي؟

نقول: إن بقاء الأفراد في أماكنهم دون توافر مستلزمات المعيشة التي تحافظ على بقائهم ومحاولة تركهم في العراء دون مأوى يقيهم من حرارة الصيف اللاهبة أو برودة الشتاء اللاسعة سيؤدي بطبيعة الحال إلى استثارة سخطهم واستيائهم من الحياة وربما يفضي ذلك إلى الإحباط ومن ثمَّ العدوان فيما بينهم وإذا طالت مدة البقاء دون إيجاد مستلزمات للسكن والمعيشة فإن ذلك قد يشيع بينهم حالات من التحلل الاجتماعي نذكر على سبيل المثال: البغاء وجنوح الأحداث وازدياد معدلات خرق المعيار الاجتماعي فضلًا عن

ازدياد معدلات الجريمة على أن التحلل الاجتماعي لكي يشيع بين أفراد التنظيم الاجتماعي يشترط أن يسجل الأفراد درجات متدنية في الحكم الخلقي لكي تصبح الكارثة بعد ذلك العامل المعجل في إحداث التحلل الاجتماعي.

**٢- إشاعة أنماط سلوكية غير مقبولة اجتماعيًّا**

ونعني بذلك أن ثمة أنماطًا سلوكية لا يقرها أفراد التنظيم الاجتماعي ستشيع بعد وقوع الكارثة ومن أهمها: سرقة مواد الإغاثة والمتاجرة فيها أو محاولة إيجاد سوق سوداء لها بالاتفاق مع الموظفين المسئولين عنها، أو محاولة القائمين على توزيع هذه المواد بوضع بعض التعقيدات الإدارية لإجبار الأفراد للرضوخ إلى تقديم بعض الهدايا أو الهبات وبذلك سيشيع سلوك الرشوة داخل التنظيم والذي كان في وقت مضى انتشار مثل هذا النمط من السلوك ضئيلًا أو على نطاق محدود.

ومن الأنماط السلوكية غير المقبولة التي يتوقع أن تشيع بين أفراد مجتمع الكارثة هو الدخول إلى المحال التجارية والعبث بممتلكاتها ونهب المواد التي فيها دون الاكتراث بالعواقب المترتبة عليها وظاهرة المبالغة في تقدير حجم الخسائر تعد من الأنماط السلوكية غير المقبولة التي يتوقع أن تشيع بين أفراد مجتمع الكارثة وذلك بالاتفاق مع الموظفين القائمين على تعويض المتضررين بذكر ممتلكات إضافية والمبالغة في تقدير أسعارها وهنا تكمن الخطورة ذلك أن إشاعة مثل هذا النمط من السلوك سيؤدي إلى فساد بعض الأجهزة الإدارية ربما يؤدي ذلك إلى إشاعتها في أجهزة إداريه أخرى وبالمحصلة النهائية إن إشاعة مثل هذه الأنماط من السلوك سيؤدي إلى إضعاف مؤسسات المجتمع وضعف سلطة القانون في ضبط سلوك الأفراد.

٣- لا بد من التأكيد على أن ثمة منازل سكنية ستتمكن من مقارنة الكارثة ومنازل سكنية أخرى سيصعب عليها الصمود أمامها والسبب وراء هذا

كله هو متانة البناء وقدرته على تحمل عبء الكارثة. وعليه فإن تلك المنازل التي ليس بإمكانها المقاومة ستتعرض إلى أضرار بالغة بينما المنازل الأخرى سوف لا تتأثر بالكارثة إلا قليلًا ما سيترتب على ذلك تركها والبحث عن منازل أخرى يتوافر فيها الأمان فضلًا عن احتوائها على بعض المستلزمات الحياتية ومن الطبيعي أن الأسرة التي تكون ميسورة الحال ستجد لها منزلا مستقلًا تمارس فيه نشاطاتها الحياتية بسهولة ويسر أما الأسرة التي لا يسمح لها دخلها بالاستقلال في منزل لوحدها فإنها ستضطر إلى السكن مع أسرة أخرى في منزل واحد. وقد يؤدي إلى التكدس والتزاحم Crowding وسيترتب على هذا التكدس والتزاحم داخل المنزل الواحد بعض المشكلات الاجتماعية من بينها: أن الأفراد الذين يقيمون في منزل واحد لا يتسع إلا للقليل منهم سيتركونه لفترة زمنية قد تطول أو تقصر أثناء النهار طلبًا للتسلية والترويح وقد تضعف جراء ذلك رقابة الأسرة على أبنائها: بسبب إدراكها أن المساحة المخصصة للترويح ضيقة فتبدي إثر ذلك مزيدًا من التساهل جراء التأخر الحاصل في العودة إلى المنزل ثم إن إقامتها في حي سكني جديد قد لا يسمح لها بالتعرف عن كثب على الأصدقاء الجدد للأبناء وعلى ذلك فإن الحي السكني الجديد والسكن المزدحم أخذ يضيف مشكلات اجتماعية إلى مشكلات الأسرة الأخرى.

نقول: إن خطورة التكدس والتزاحم سواء على مستوى المنزل الواحد أو على مستوى الحي السكني الذي يعاني هو الآخر من الازدحام سيدفع بالأفراد إلى الخروج من المنزل والالتقاء ببعض أفراد الحي السكني وذلك بعقد تجمعات بهدف تجاذب أطراف الحديث في أجواء تبعث على الملل والسأم والاكتئاب.

إن تجمع الأفراد داخل الحي السكني غالبًا ما يفضي إلى التحرش بحياء

الفتيات أو تنقلب الأحاديث الدائرة بينهم إلى سخرية أو تهكم بالبعض منهم وتكون العاقبة: القذف بألفاظ نابية أو مخدشة للحياء الاجتماعي وربما يتطور الأمر فينقلب إلى اشتباك بالأيدي.

وقد يجد البعض في ارتياد المقاهي المنتشرة في هذه الأحياء نوعا من أنواع التسلية أو قضاء أوقات الفراغ بعد أن انقطعت بهم سبل العيش أو بسبب تعطل المدارس نقول: إن ارتياد الفرد لهذه الأماكن ربما تعلمه أساليب في غاية الانحراف وذلك من خلال سماعه لأحاديث بعض المترددين من المنحرفين عن فنون الانحراف والتمايل والمغامرات التي خاضها هؤلاء في ميدان الانحراف. وقد تكون أحاديث هؤلاء عن فنون الانحراف إشارة cue للتحريض على ارتكاب بعض الجرائم لا سيما أن أوضاعهم الاجتماعية في الوقت الحاضر مهيأة للانحراف[٩].

**٤ - التسرب من الدراسة**

إن الأضرار الفادحة التي ستلحق ببعض المدارس من جراء الكارثة الطبيعية ستؤدي إلى تعطلها لحين إصلاح الضرر أو محاولة إيجاد بناية أخرى لمواصلة الدراسة فيها والحقيقة أن عملية الإصلاح أو إيجاد البديل المناسب ليس سهلًا بكل تأكيد وعلى وجه الخصوص في المجتمعات النامية لذا سيترتب على هذا الانقطاع تسرب لبعض الفئات من الطلبة وسيكون أولئك الذين يتمتعون بخلفية دراسة ضعيفة في مقدمة طلائع المتسربين وإذا قدرنا نسبة هؤلاء (المتسربين عن الدراسة) في المجتمعات النامية لوجدنا أن النسبة تكاد تكون كبيرة.

إذا نحن عدنا إلى إحصاءات التسرب في هذه المجتمعات ومنها البلدان العربية باعتبارها بلدانًا نامية لوجدنا أن نسبة التسرب تكاد تكون كبيرة قياسًا بنسبة التسرب في بلدان أخرى غير نامية:

ففي مصر على سبيل المثال بلغت نسبة التسرب طبقًا لتقدير اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا لعام ١٩٩٧ بين (٢٠٪- ٣٠٪) في الأحياء المزدحمة[١٠] وفي الأردن وصلت هذه النسبة في تلك الأحياء إلى (٤٠٪)[١١] فيما بلغت هذه النسبة في اليمن (٥٠٪) في مدارس الأحياء المزدحمة[١٢] والبلدان العربية الأخرى تكاد لا تخرج عن هذه النسبة انطلاقًا من أن المدارس العربية عمومًا تعاني من معدلات عالية في التسرب.

يمكن القول: إن نسبة التسرب في البلدان العربية عمومًا كبيرة لا سيما في مدارس الأحياء المكتظة بالسكان وإذا أضفنا إلى هذه الأحياء في تلك البلدان أعباء الكارثة الطبيعية فإن ذلك يؤدي بكل تأكيد إلى زيادة هذه النسبة.

ولنا أن نتصور بعد ذلك ما يمكن أن تحدثه هذه النسبة من المتسربين من مخالفات في التنظيم الاجتماعي نقول: إن نسبة معينة من هؤلاء المتسربين ستتعرض إلى الجنوح انطلاقًا من القول القائل: إن التسرب قد يكون أحد العوامل المهيأة للجنوح وذلك يرجع أساسًا إلى أن هذه المدارس بفعل تعرضها إلى الكارثة وما سيلحق بها من أضرار ستصبح طاردة أكثر من كونها جاذبة لعموم الطلبة هذا فضلًا عن أن أولياء أمور الطلبة سيشيع بينهم حالة عدم الاكتراث بالمستوى الدراسي لأبنائهم على الأقل في ظروف الكارثة.

**٥- إشاعة الفقر**

معروف أن الكارثة الطبيعية ما أن تقع حتى تشيع المزيد من المعاناة والآلام ولعل من بين هذه المعاناة التي ستشيعها الكارثة أنها ستجعل بعض الأفراد يعاني من الفقر والعوز أو الفاقة وعلى وجه الخصوص من ذوي الدخل المحدود وذلك يعود إلى أن هذه الفئة من الأفراد ليس بإمكانها تعويض ما دمرته الكارثة من السلع المنزلية أو تعويض الأضرار التي ستلحق بالمنازل الأمر الذين يعني أن الكارثة الطبيعية ستضيف أعباء اقتصادية جديدة

إلى أعبائها الحياتية؛ وستكون عاقبة ذلك ارتكاب البعض من أفراد هذه الفئة مخالفات اجتماعية أو قانونية[١٣] وعندما تطول فترة الآثار المترتبة على الكارثة دون إيجاد البدائل المناسبة؛ فإن هؤلاء سيتعلمون المزيد من التحايل والانحراف لا سيما إذا وجدوا في أساليب التحايل والانحراف هذه ما يشبع حاجاتهم النفسية والاجتماعية

obeikandl.com

## الهوامـــش

(1) Coleman. J.C. and Broen W.E. Abnormal psychology and modern Life, 4th ed. (Glenview: Scott. Foresnan and company. 1972) p. 202.

(2) Spencer, m. and etal. Foundations of Modem socialogy. (New jersey: perntice- Hall,inc. Engle woodm, 1976)p. 291.

(3) Mcdavid, J.W. and Harari, H. psychology and social Behavior. (New York: Harper and Row, publishers 1974)p. 342.

(4) Hays. N. and Orrel, S. psychology: An introduction. (London: uk Limited, 1987). P. 79.

(5) Coleman and Broen, 1972, Ibid, p. 203.

(٦) أبو سمرة يوسف ، دراسة في الآثار النفسية الاجتماعية للانتفاضة داخل المجتمع الفلسطيني، دراسات عربية العدد (٩-١٠) (بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٨٩)، ص ٥٩.

(٧) حوراني هاني، الفلسطيني الصغير: دراسة في رسوم أطفال النازحين الفلسطينين، شئون فلسطينية، العدد (٦) (بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، ١٩٧٢)، ص ١٦٨.

(٨) حسن محمود شمال، دراسة المتغيرات المساهمة بسلوك المجاراة لمعيار المسئولية الاجتماعية. (بغداد: الجامعة المستنصرية، أطروحة دكتوراه غير منشورة: ١٩٩٧). ص ٩٩- ١٠١.

(٩) العلاقة بين تصميم البيئة في المدينة العربية والسلوك العدواني. شئون عربية، العدد ١٠٨ (كانون الأول- ديسمبر) ٢٠٠١/ ، ص ١٧٠ - ١٧١.

(١٠)اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا، أثر سياسات الاقتصاد الكلي والسياسات الاجتماعية على الفقر: حالة الأردن ومصر والجمهورية اليمنية.

obeikandl.com

(نيويورك: الأمم المتحدة، ١٩٩٧)، ص ٩٤.

(١١)الفارس عبد الرزاق فارس. الحكومة والفقراء: من يستفيد من الإنفاق العام المستقبل العربي العدد (٢٢٥) (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ١٩٩٧). ص ٨٢.

(١٢)اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغربي آسيا: ١٩٩٧/ المصدر السابق. ص ٩٨.

(١٣) حسن، محمود شمال. محرضات السلوك العدواني: شئون اجتماعية: العدد (٥٩) (الشارقة: جمعية الاجتماعيين، ١٩٩٨)، ص ١٢٩ - ١٣٠.

obeikandl.com